

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥٩ م

٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٧٨ هـ

ثلاث رحلات

الطهطاوي — الشدياق — كردعلي

إذا بحثنا عن بدء نهضتنا الحديثة فلا مندوحة لنا عن الإشارة إلى ثلاث رحلات كانت لأصحابها أعمق الأثر في هذه النهضة ، فقد وقفوا على أشياء كثيرة من خصائص الغرب وأخلاق أهله وعاداتهم ومذاهبهم في السياسة والفن والأدب ، فعملوا كتباً أودعوا ما وقفوا عليه وما دهشوا منه فتركت هذه الكتب في آفاقهم آثاراً شتى ، ولئن اختلفوا بعض الاختلاف في نظراتهم إلى الأمور على قدر أمرجتهم وأذواقهم ومداركهم فقد اتفقوا في غاياتهم من رحلاتهم ، فقد كانت غاياتهم منها إيقاظ الشرق من رقدته وحثه على الأخذ بأسباب العلم والحضارة وكان لكل واحد منهم أسلوب خاص في التنبية والإرشاد .

أما الرحلات الثلاث فأصحابها رفاعة رافع الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق ومحمد كردعلي ، وقد وضع كل منهم في مقدمة رحلته غايته من الرحلة أكل توضيح .

خرج الطبطبائي من مصر سنة ١٢٤١ و وضع كتاباً سماه : تلخيص الأثرين في تلخيص باريز طبع الطبعة الأولى في بولاق سنة ١٢٥٠ وإذا رجعنا إلى مقدمة الكتاب وجدنا فيها ما يدلنا على الغرض من رحلة صاحبه فقد أرسل من قبل واني مصر محمد علي إلى باريز في جملة من أرسل : « ليتعلم العلوم والفنون الموجودة بهذه المدينة البهية » هذا ما قاله الطبطبائي ، إلا أنه كانت له غايات أبعد فصلها في قول آخر :

« فلما رسم اسمي في جملة المسافرين وعزمت على التوجه أشار علي بعض الأقارب والمحبين لاسمنا شيخنا المطار ، فانه مولع بسماع عجائب الأخبار والاطلاع على غرائب الآثار أن أنه على ما يقع من هذه السفرة وعلى ما أراه وما أصادفه من الأمور الغريبة والأشياء العجيبة وأن أفيد ليكون نافعا في كشف القناع عن محيا هذه البقاع فما قصرت في أن قيّدت في سفرى رحلة صغيرة تزعتها عن خلل التساهل والتحامل ويرأتها عن زلل التكاسل والتفاضل ووشحتها ببعض استطرادات نافعة واستظهارات ساطعة وأنطقها بمحت ديار الإسلام على البحث عن العلوم البرآنية والفنون والصنائع فان كمال ذلك ببلاد الافرنج أمر ثابت شائع والحق أحق أن يتبع ، ولعمرك الله إنني مدّة اقامتي بهذه البلاد في حسرة على تمنعها بذلك وخلو ممالك الإسلام منه ، وأياك أن تجد ما أذكره لك خارجا عن عادتك فيعسر عليك تصديقه ، فتظنه من باب الهذر والخرافات أو من جنس الإفراط والمبالغات . .

وقد أشهدت الله سبحانه وتعالى على ألا أحيّد في جميع ما أقوله عن طريق الحق وأن أفشي ما سمع به خاطري من الحكم باستحسان بعض أمور هذه البلاد وعوائدها على حسب ما يقتضيه الحال ومن المعلوم اني لا أستحسن إلا ما لم يخالف نص الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأشرف التهية . »

وختم مقدمته بقوله :

« وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الكتاب مقبولا لدى الخاص والعام وأن يوقظ به من نوم الغفلة سائر أمم الإسلام من عرب وعجم . »
من هذه المقدمة يتبين لنا أن الطهطاوي قد توخى في رحلته في جملة ما توخاه من طلب العلوم والفنون حث ديار الإسلام ، عرسها وعجمها على الانصراف الى هذه العلوم والفنون وإيقاظ أهل هذه الديار من غفلتهم وهذا ما يثبت لنا أن رحلته الى الغرب كانت عاملاً من عوامل نهضتنا الحديثة فقد رمى فيها الى الإيقاظ والتنبيه .

ولم تكن هذه الفكرة فكرة الطهطاوي وحده فان الذين فكروا في أدل بعثة الى الغرب كانت غايتهم إحياء العمران والعلوم والفنون في بلادهم ، فهم في تفكيرهم هذا وفي إنقاذ هذا التفكير من أعظم الباعثين على النهضة الحديثة وقد وضع الطهطاوي هذه الفكرة في الباب الأول من رحلته فقال :

« ولهذا تنبه المتولي على بلاد مصر أن يرجع اليها شبابها القديم ويحيي روتقها الرميم ، فمن مبدأ توليته وهو يماح في مداواة دائها الذي لولاه كان عضالاً ويصلح فسادها الذي قد كاد يكون زواله محالاً . »

ثم أفاض الطهطاوي بعد ذلك في مدح والي مصر والتنبيه على ميله الى العمران ونشر العلوم والفنون والصناعات .

لا أريد التوسم في الكلام على رحلة الطهطاوي وعلى خصائصها في مثل هذا المقام وإنما الذي رميت إليه أن أبين أن هذه الرحلة كانت عاملاً من عوامل النهضة الحديثة فقد رجع صاحبها الى مصر ونشر كتابه بين ظهرائي قومه وقد قضى هذا الكتاب ما وقعت عليه عينه في الغرب من أكثر أمور الحياة ، ولا سيما حرية الرأي فكان لكثير من مشاهداته تأثير في العقول ، فبدأت النهضة الحديثة .

وإذا فرغنا من مطالعة تخلص الأبريز وانصرفنا الى مطالعة كتابي الشدياق :
 الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف اغنيا عن فنون أوروبا وجدنا أن غاية
 الشدياق من رحلته الى الغرب لا تختلف كثيراً عن غاية الطباطوي ، ماذا يقول
 الشدياق في مقدمة رحلته التي طبعت الطبعة الثانية في قسطنطينية سنة ١٢٩٩ :
 « ويعلم الله اني مع كثرة ما شاهدت في تلك البلاد من الغرائب وأدركت
 فيها من الرغائب كنت أبداً منقش العيش مكدره كمن فقد وطره ولزمه مصره ،
 لا يروقي نزار ولا نصرة ، ولا نعمة ولا مسرة ولا طرب ولا لهو ولا حسن
 ولا زهو لما أني كنت دائم التفكير في خلو بلادنا عما عندهم من التمدن
 والبراعة والتفنن ثم تعرض لي عوارض من السلوان بأن أهل بلادنا قد اقتصوا
 بأخلاق حسان وكرم يغطي العيوب ويستتر ما شان ولا سببا الفيرة على الحرم
 وصون العرض عما من هذا الصوب بنم ثم أعود الى التفكير في المصالح المدنية
 والأسباب المعاشية وانتشار المعارف العمومية والى إتقان الصنائع وتعميم الفوائد
 والمنافع فيجفل ذلك السلوان وأعود الى الأشجان . »

هذا كلام صريح ، فقد رحل الشدياق الى مالطة وفرنسة وانكثرة وقابل
 بين بلادنا وبلادهم في أبواب التمدن والعلوم والصناعات فكانت هذه المقابلة
 تدخل الحزن على قلبه خلوة بلاده مما اشتملت عليه بلاد الافرنجة ، تكثر المقابلات
 والموازنات في رحلة الشدياق فهو يقابل بين أخلاق وأخلاق وبين عادات وعادات
 وبين طبائع وطبائع ، يقابل بين زواج وزواج ، وبين لباس ولباس وبين طعام
 وطعام فينقد ويحكم ويسخر ولكنه في كل قده وحكمة وسخرية لا يتوخى إلا
 الإصلاح والإرشاد ، إصلاح ما اعوج من أخلاق بلاده وعاداتها وإرشادها
 الى محاسن الأخلاق والعادات ، لقد نقل الشدياق الى الشرق كثيراً من محاسن
 الأمور التي رآها في الغرب فكانت عنصراً قوياً من عناصر النهضة الحديثة
 فهو مصلح اجتماعي من أكبر المصلحين ولم يعرف بعد مقامه في هذا الإصلاح

حق المعرفة حتى يومنا هذا فلا تزال الظلمات تغطي على ضياء عقله الراجح وأفق الواسع .

قابل مرّة في رحلته بين بعض أوضاعنا وبعض أوضاع الافرنجة ، تكلم على العلم في بلاد الانكليز فقال :

« غير أن العلم عندهم لا يكون بمعرفة قواعد النحو والصرف أو بنظم قصائد وإنما هو مطالعة اللغتين اليونانية واللاتينية ومعرفة أدبها ومعرفة التاريخ والفلسفة والهندسة والرياضيات » .

هذه المقابلات التي كانت تجري خلال رحلته كان يرمي فيها إلى إرشاد أهل بلاده إلى حقائق الأمور فلم يترك فرصة تمرّ به دون أن ينتهزها لا يقاط قومه ، كان يتكلم على الوظائف في بلاد الانكليز وعلى ترتيب أصناف الناس فقال وقد خطرت بباله حالة بلاده :

« فأما في بلادنا حرصها الله فان ناظر المدايع جدير بأن ينظر في جلود بني آدم ويصبها بلون الدرة والسوط أو يسبر ما هي عليه من الطراوة والنعومة ، والمحتسب خليق بأن يزن أعمال عباد الله وأموالهم في يوتهم ويروّز ما في عياب صدورهم من الخواطر والأفكار وللحاكم أو للمطران أن يسقط حق الحق لحرف أسقطه في الكلام والضابط أن يبيت الناس في مضاجعهم وللشرطي أن يقبض على أي شخص كان والضابط المسكر أن يحتار سيفه على أي عنق سخط له وللطرك أن يحرم أي شخص كان من رعيته حتى لا يعود لأحد من أقاربه وأهل بلدته استطاعة على مخاطبته ومبايعته » .

وبعد أنت أحصى هذه الأمور كلها التي كانت تجري في عصره ، عصر الظلمات ، بعد أن قابل بينها وبين الأمور التي رآها في الغرب صرخ هذه الصرخة :

« وإلى من المشتكى وأمين المصير وأمين المهجر ، فياليت شعري متى نصير نحن ولد آدم كهؤلاء البشر ومتى نعرف الحقوق الواجبة لنا وعلينا ، أنخال أن معنى

التمدن هو أن يكون الناس في مدينة وفيها ذئاب وسباع ، كلاً ثم كلاً ،
جبر أن اجتماع الذئب والخروق في مرعى واحد ليوجب على اليهود أن يؤمنوا
بأن المسيح قد جاء .»

فاذا تفتت العقول في نهضتنا الحديثة فانها لم تنبّه إلا بمثل هذه الأفكار
التي اشتملت عليها كتب الرحلات وبمثل هذه المقابلات ، فالشذباق كان في مقدمة
الذين نبّهوا الناس في نهضتنا .

أما كردعلي فقد سَمَّى رحلته : غرائب الغرب ، قال في مقدمته :

« هذه فصول ومقالات ، بل آهات وتأوهات ، كتبتها في وصف معالم
الغرب وما لقيته فيه وقد زرته ثلاث مرات وأنا على مثل اليقين بأنها
لا تحل في مطاويها في تلك المدينة الساحرة إلا بقدر ما تصل اليه بد غير
سبيل ويتفطن لها التزيل والدخيل .»

لاشك في أن كلمة آهات وتأوهات تدلنا على أن كردعلي بهر ما رأى من
مدينة الغرب فتحسّر على خلوّ بلاده من هذه المدينة ، ولئن لم يوضح في هذه
المقدمة غايته من الرحلة فقد وضحها في أول فصل من فصول كتابه إذ قال :
« كان من أعظم أماني النفس منذ بضع سنين أن أرحل الى أوروبا رحلة
علمية ، أنضي فيها ردياً من الدهر للتوفر على دراسة حضارة الغرب في منبعتها
واستطلاع طالع المعاهد التي منها نشأ المخترعون والمكتشفون والفلاسفة المنزهون
والعلماء العاملون والساسة المستعمرون والقادة والغازون والتجار والصناع والزراع
والماليون وهم على التحقيق مادة تلك المدينة وهيلولاها .»

غاية كردعلي في هذا الكلام واضحة فانّ همه التوفر على دراسة حضارة
الغرب ولكن ما هو غرضه من هذه الدراسة ، إن هو إلا الإصلاح ، شأنه

في ذلك شأن الشدياق من قبله الذي سبقه الى الغرب ، لقد كثرت أوهامه وتأوهاته في الغرب ، من ذلك قوله :

« ومن الأسف العظيم أننا لو أحصينا عدد ما يصدر من جميع الجرائد والمجلات العربية والتركية والفارسية في البلاد المصرية والمثانية والایرانية لا يبلغ بكبته قدر ما نطبع كل يوم جريدة : البتي مارسيبله ، إحدى جرائد ولايات فرنسا ، وعلى هذه النسبة قس ولا تخف درجة ارتقائنا وارتقاء الفرنسيين وسجل علينا بالفقر المدقع في كل شيء ، ولا سيما في الأمور العقلية » .

شرع كرد علي في المقابلات على نحو ما فعله الشدياق في رحلته ، فهو يقابل بين انتشار الصحافة في مصر وتركيا وإيران وبين انتشارها في مدينة واحدة من مدن فرنسا ويستخرج من هذه المقابلة درجة ارتقاء بلاده وارتقاء الفرنسيين وتؤدي به هذه المقابلة الى الحكم بانحطاط الشرق في كل شيء ، ولا سيما في الأمور العقلية ، ليس غرضنا في هذا المقال المناقشة والمجادلة ، فقد يخطئ كرد علي في حكمه ، ان بلاد الشرق التي ذكرها كانت في أول نهضتها ولذلك فان عدد صحافتها قليل ، أما فرنسا فقد كانت في أيام رحلته تذوق نعمة الحرية من زمن بعيد ، فلا تصح المقابلة بين بلاد في أول نهضتها وبين بلاد في عز نهضة ، غير أن كرد علي لم يتحسر هذا التحسر إلا ليحمل بلاده على الأخذ بأسباب حضارة الغرب ، فهو لم يرحل الى الغرب إلا ليعود الى بلاده وينفخ فيها روح الاقتباس .

لقد كثرت دهشات كرد علي في رحلته ، دهش من حضارة الغرب حتى كاد يحسبها من باب الحلم والخيال ، ولا غرابة في ذلك فقد خرج من بلاد كلها ظلمات ، الى بلاد يستفيض فيها النور ، فقابل على حين لا تصح المقابلة في هذا الوجه ، ولكنه لم يقابل إلا ليحس أبناء وطنه على الاقتباس من مدينة الغرب على نحو ما أشرت إليه ، ولا بد من الإشارة في هذا المقام الى أن فرنسا التي

دهش كرد علي من حضارتها في رحلته اليها من نصف قرن كانت سمعتها تملأ الأرض ، فلم يكن الناس يعرفون عنها في تلك الأيام ، ما عرفوه عنها في هذا العصر من أساليبها في الاستعمار .

ليس هذا موضوعنا ، لنترجع الى لب الموضوع ، لقد كان لاتصال الشرق بالغرب أثر قوي في نهضتنا الحديثة ، كان كرد علي يرى ما يرى من سياسة الغرب ومذاهبه في الاجتماع والعلم والصناعة والزراعة والاقتصاد وغير ذلك من مظاهر الحياة فيدرس ويختبر ثم يستنبط من دراسته واختباره عبرة صالحة لينفع بها قومه ومجتمعه ، فالكتاب الثلاثة الذين أشرنا إليهم في هذا المقال عرضهم من رحلتهم الرجوع بخواطر وأفكار تنهض ببلادهم ، وكما تحسر الشدياق على تأخر بلاده فكذلك تحسر كرد علي :

« فيارب ! ما هذه الروح التي نجرّد منها جسم الشرق وسرت في عظام الغرب وشرابيته ، فأنى أهله بالعظام ونحن بقينا جامدين ، مبهوتين ، منحلّين ، متضائلين ! »

ولئن كان هؤلاء الكتاب الثلاثة مادة خصبة من مواد نهضتنا الحديثة بسبب رحلاتهم لقد كان لكل واحد منهم أسلوب خاص في النظر الى حضارة الغرب والحكم عليها ودرجة الاستفادة منها والافتباس عنها ، فالطباطبائي غلبت عليه نزعة دينية ، فقد تمسك باسلامه فلم يستحسن من أمور الانجليزية إلا ما كان الاسلام يسمح باستحسانه والشدياق غلبت عليه السخرية فهو يسخر بالغرب اذا رأى ما يحمل على السخرية وبمعظم منه ما يستوجب التعظيم وأما كرد علي فقد بلغت دهشته من حضارة الغرب كل مبلغ بحيث كاد لا يرى فيها إلا حسنات ، وكيف كان الأمر فان هؤلاء الائمة الثلاثة كانوا في مقدمة من بنوا نهضتنا الحديثة ، فقد قلوا الى الشرق ما وقفوا عليه من كثير من أمور الغرب في كل باب من الأبواب ، فكان لرحلاتهم انعكاس على عقول أهل البلاد .

ثقافة الأطباء عند العرب

لم أَعثر في الكتب العربية الطبية على بحث خاص يربط كيف كان أطباء العرب في عصورهم العلمية وحضارتهم الزاهية يبيثون أنفسهم لدراسة علم الطب وماذا يتعلمون من كتبه الموجودة في زمنهم .

واننا وان كنا نعرف الكثير عن البيمارستانات والمشافي وأقسامها وفروعها وإدارتها وأطبائها وما يلحق بها من معاهد للتدريس والتعليم ، ولكننا لا نعرف بالضبط ما هي العلوم التي كانوا يدرسونها وكيف كانت تجري امتحاناتهم ؟ .

ولأهمية الموضوع وجدت ضرورة للبحث في مختلف المراجع القديمة والتراجم الطبية^(١) علني أهندي إليه ، وإلى معرفة العوامل التي أدت إلى ازدهار العلوم الطبية والعلوم الطبيعية وغيرها وما كان لأطباء العرب من نصيب في هذا المضمار . والذي اتضح لي بعد كل جهد أن أطباء العرب في القرون الخمسة الأولى من حضارتهم كانوا (انكلويديين) أي (موسوعيين) بمعنى أنهم كانوا يتعلمون

-
- (١) كيون الأنباء في طبقات الأطباء لمؤلف الدين أبو العباس بن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٥٦٨ هـ . ٢ - وقاربخ الحكماء لطيفر الدين البيهقي المتوفى عام ٥٦٥ هـ . ٣ - وإخبار الطاء بأخبار الحكماء لجلي الدين القفطي المتوفى عام ٦٤٦ هـ . ٤ - وكتاب البيمارستانات في الإسلام للدكتور أحمد عيسى . ٥ - والطب عند العرب للأستاذ خير الله . ٦ - وكتاب الأعلام لحيدر الدين الزركلي . ٧ - والحضارة الإسلامية لكردي علي . ٨ - وقاربخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان . ٩ - ودائرة المعارف البريطانية . ١٠ - وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان . ١١ - وقانون حوراني للمؤلف .

علومًا عديدة يضيفونها الى ثقافتهم الطبية العامة وخاصة التي بلغوا فيها شأواً عظيماً ما زالت آثاره اخلالدة مسطرة في كتبهم ومعاهدهم ومؤسساتهم .

واذا تساءلنا لماذا كانوا يتعلمون تلك العلوم التي كان أولها وأهمها اللغة العربية والصرف والنحو والإعراب والبيان والبديع والبلاغة ، ثم العلوم الأدبية كالشعر والأدب والروايات ، ثم العلوم الاجتماعية كالتاريخ والتراجم والسيرة والقانون والقضاء ، ثم العلوم السياسية كنظام الحكم وأصول الإدارة والعلاقات الدولية ، ثم العلوم الفلسفية كالمنطق وعلم النفس وما وراء الطبيعة وعلم الأخلاق واللاهوت . ثم العلوم الرياضية كالحساب والجبر والهندسة والفلك والمنطق ، ثم العلوم الطبيعية كالكيمياء والنباتات والحيوانات وعلم المعادن وعلم الأقاليم والمياه ، ثم يتعلمون العلوم الطبية كالتشريح ، والطب الداخلي وأمراض الجلد ، وعلم الجراحة وعلم الولادة وأمراض النساء ، وعلم النيسبولوجيا ، والصحة ، وأمراض العيون ، ومفردات الطب ، والأقرباذين ، والصيدلة وغيرها^(١) . أقول اذا تساءلنا عن السبب لم نجد جواباً إلا أن عصرهم كان يحتم على أكثرهم دراسة هذه العلوم مع علوم الطب تبعاً لأصول التحصيل الجاري في زمنهم ، واستجابة لحاجات الناس الذين يعتبرون الطبيب ملماً وعارفاً بكل شيء . أما كيف وصلوا الى غاياتهم فكتب التاريخ والتراجم قدلنا على أن أطباء العرب اتبعوا أساليب اليونان في ثقافتهم التي لم تقتصر على الطب والطبابة بل تناولت ما ذكرناه من العلوم

(١) ومع تعامل المهنة الطبية كان بينهم من اشتغل في السياسة والوزارة ، ومنهم من كان ندياً خاصاً للوك والأمراء والوزراء ، ومنهم من كان معلماً منقطعاً للعلم والبحث والتجربة والاستقراء ، ومنهم من تعامل في الطب ثم تركه واشتغل في الفقه والتدريس ، ومنهم من تصوف والقطع عن الدنيا ، ومنهم من كان موسيقاراً أو شاعراً ، ومنهم من اشتغل في الفلك والرصد والرياضيات .

المتعددة والفنون المشهورة كما هو المعروف عن أبقراط^(١) ، وسقراط^(٢) ، وأفلاطون^(٣) ، وأرسطو^(٤) ، وجالينوس^(٥) أثمة العصور اليونانية والرومانية وكما هو معروف عن أثمة أطبائنا كالفارابي ، وابن رشد ، وابن سينا ، والرازي ، والزهرى ، والزهرائى ، وابن البيطار ، وابن حزم ، وابن أبي أصيبعة ، وابن خلدون وغيرهم .

وسببه كما قلنا تأثير المجتمع وحاجات الزمن وطبيعة الثقافة التي فرضت على الطبيب أن يكون حكيماً عالياً ملماً بما وصلت إليه معارف الزمن ، ماهراً في صنعه ، ذكياً في تدقيقاته وتحرياته ، فيلسوفاً في أفكاره ، وتصرفاته ، إنسانياً في معاملاته ، مدنياً في أخلاقه ، وعليه أن يمثل الفضيلة في سيرته ، وأن يتصف بالخصائل التي تجعله قدوة في النظافة وأدب المحادثة ، وجدبة العناية ، وكرم السر ، وخدمة المحتاج .

وعليه أن يكون بعيداً عن الأذى والضرر وسوء النية ، لا يقتصر في معونة من يحتاجون الى علمه ، ورأيه وتدبيره ، كنفواً في صنعه ، شريفاً في معاملاته . وكلها صفات حميدة لا يستغرب من المجتمع الانساني إن تطالبها من أطبائه

(١) أبقراط Hippocrates يعتبر أبا الطب ووضح أساساته ، ولد عام ٤٥٠ ق. م

(٢) سقراط Socrates أشهر حكماء اليونان ولد عام ٤٦٨ ق. م وتوفي عام ٣٩٩ ،

وعلم في أثينا وكان يلقى دروسه في الأزقة والشوارع وبين الجماعات ثم قُلب عليه السوفسطائيون وجرووه أمام الحكم فحكم عليه بشرب السم وهو في السجن فشربه ومات .

(٣) أفلاطون Platon فيلسوف وطبيب يوناني ولد عام ٤٣٠ ق. م وتوفي عام ٣٤٧ قبل الميلاد .

(٤) أرسطو Aristotle فيلسوف وطبيب من أكبر فلاسفة اليونان ولد في عام ٣٨٤ ق. م وتوفي عام ٣٢٢ ق. م

(٥) جالينوس Galenus من أعظم أطباء اليونان ولد عام ١٣١ بعد الميلاد وتوفي عام ٢٠١ .

فما مضى والآن ، لأن علم الطب كان في جميع العصور التي مرت على تطوّر البشرية ورفي الإنسان معدوداً من أرقى العلوم وأهمها ، ومعاطاة الطب كانت ولا تزال من أشرف المهن ، والطبيب العالم الحاذق الفاضل كان ولا يزال صاحب الاعتبار والتقدير في مجتمعه وبين أفرادهِ ، لأن يده تخفيف الألم وإزالة شفاء السقام أو تعديله ، وجبر الكسر ، وبتر الفاسد ، ومداواة العلة ، وحفظ الصحة ، ووقاية الجسم ، وتشخيص المرض ، ومحاربة الوباء ، ومعالجة الجروح ، وإعادة النفوس العليلة الى حالها الطبيعي .

واذا كانت تلك اخصال والمزايا والعلوم من ضرورات العصر اليوناني ومن ضرورات العصور العربية ، وكانت أيضاً من ضرورات العصر المصري والبابلي والآشوري والآيراني فلماذا لا تكون من ضرورات عصرنا وان تطوّرت وتنوعت ثقافة أطبائنا وأصبحت ذات فروع وذات اختصاص ، ولها معاهد ومؤسسات ومختبرات ، ولها أدوات ومعدات ؟ أليست الفضائل التي كانت مطلوبة من الأطباء الأقدمين هي ذات الفضائل التي تتطلبها ويجب أن تتطلبها من كل طبيب اليوم وغداً وفي يدم أرواحنا وحياتنا ؟ وإذا كانت أساليب تعليمنا الطب قد تغيّرت اليوم وفاقت ما كانت عليه ، وثقافتنا الطبية قد اتسعت آفاقها وارتقت مقاييسها العلمية فهل من الضروري أن تتغير أخلاقنا الطبية وخصالنا المهنية ، وواجباتنا الأدبية ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال المهم سلباً أو إيجاباً ، وقبل يأت ماهية ثقافة أطبائنا العرب ، بتعمّ علينا - ولو بصورة وجيزة - استعراض نشأة الطب من أقدم الأزمنة حتى أيام العرب الزاهية ، وبيان ما كانت عليه نظرة المجتمع الى الأطباء ومهنتهم ، وما هي مجمل الفضائل التي كانوا يتعلّون بها ؟ .

تذكر كتب التاريخ والحفارة أن الكهنة في مصر وبابل وآشور والمهند

والصين كانوا يمارسون الطب ويعلمونه ويعرفون خواص الأعشاب وكيفية استعمالها ، وكانوا يتوارثون المعرفة والمهنة خلقاً عن سلف ، ويتعلمون معها السحر والتنجيم وعلم الكيمياء ، وعلوم الدين وما يتصل بالعبادات والطقوس والشرائع ، ويتعاطون التطبيب كما يتعاطون خدمة الهياكل والمعابد ، والآلهة والأصنام .

وكان هؤلاء الكهنة الأطباء وسدنة الهياكل والمعابد صفة القداسة وسلطة القضاء والحكم بين الناس .

وكان الكهنة يعتبرون الطب والطبابة ومعرفة الكيمياء من الأمور السرية المقدسة التي لا يجوز إباحتها لكل طالب ، لأن لها أسرارها وأصالتها ، وأدعيتها ، وتعاوينها ، فلا يعلمونها إلا من كان من أولاد الملوك أو الأمراء أو من طبقة الأشراف النبلاء ، ويتعلمون بالصفات المؤهلة التي تمكنهم من أن يكونوا خدمة الآلهة والملوك وخدمة الطبابة تقديساً للعلم والطب والطبابة ورفعاً لدرجاتها واعتبارها .

وفي أيام البابليين كانت أهل المرضى يضعون مرضاهم في الشوارع العامة ويعرضونهم على المارة لعل واحداً منهم يكون قد أصيب بما أصيب به المريض ثم شفي من دائه فيصف للواقفين ما استعمله من العقاقير والأدوية والأعشاب والتعاضيد والأدعية حتى زال عنه المرض وتخلص من الروح الشريرة التي كانت سبباً لمرضه ، فيدونون ما قاله على ألواح مشوية من الآجر ويسلمونها إلى سدنة الهياكل ليحفظوها ويضيفوها إلى غيرها من الألواح التي اكتشف علماء الآثار الكثير منها .

ولعل ما حدث في الماضي السحيق يحدث مثله اليوم بين القبائل المتوحشة التي تعيش في حالة بدئية في مجاهل إفريقيا وأمريكا الجنوبية ، وفي صحارى

أستراليا ، وفي آسيا وجزر الهند ، فان مرضاهم يلجأون الى الكهنة والسحرة لمداوتهم وطرد الأرواح الشريرة عنهم .

وبما خلفه المصريون والبابليون والهنود من آثار وكتب وروايات نستطيع أن نقول بأن تاريخ الطب قد بدأ في عصور تلك الأمم وأمثالها ومن أتى بعدها . وبدلنا تاريخ اليونان على أن الطب أيام (اسقولايبوس ^(١)) انحصر فيه وفي أولاده وعائلته التي انحدر منها (أبقراط ^(٢)) ، وتدلنا وصية أبقراط وهي الميثاق الخالد في عالم الطب على وجود النظام الوراثي في تعاطي الطب ومعاطائه . على أن هذا الانحصار العائلي لم يتبدل إلا في زمن (أفلاطون ^(٣)) الذي أنشأ (الأكاديمية) للعلوم والطب والفلسفة والرياضيات في (أثينا) وخصها بتلامذته وصريديه يؤمنونها ويحضرون دروسه . وكانت أبواب (الأكاديمية) مفتوحة لأبناء الشعب ولكن لا ينتب إليها إلا من توجد فيه الأهلية والجدارة لتحصيل العلم من أبناء اليونان .

وجاء في المصادر المصرية بأن سكان مصر هم أقدم من تعاطى صناعة الطب لاعتقاد ملوكهم وكهنتهم وعلمائهم أن الروح عائدة الى الجسم بعد مفارقتها له اذا بقيت الأجسام سليمة من الفناء .

وبدافع هذه العقيدة اشتغلوا بأمر التحنيط واكتشفوا ما يلزم له من مواد كالزيوت العطرية ، والراتنجية ، والدهنية ، والمعدنية ، وكانوا يستعملون معها

(١) أسكولايبوس Asclepius إله أسطوري عند اليونان ويقال انه ابن « أبولو » إله الشمس والآلهة . وكانت أمه سوريه اسمها كورونيس ، ووصفه هو سر بأنه طبيب طاهر وكان يجلس في المعابد ويعبد ، وله ابنة هي إلهة الصحة اسمها هياجين وولد من إلهة الفناء .

(٢) أبقراط Hippocrates .

(٣) أفلاطون Platone عاش في سنة ٤٣٠ - ٣٤٧ ق.م

الكافور وزيت الصندل ، والمر ، وحصى الثبان ، ومر كبات الزبيق ، ومر كبات الذهب ، والأنتيمون ، والأرسنيك الطبيعي ، وأملاح الكلور والصوديوم والبوتاس ، والزرصاص ، والبور كس والنطرون وغيرها من المواد العضوية وغير العضوية لاحكام عملياتهم الكيميائية الدقيقة المعقدة .

وأشهر من عرف من أطبائهم (هرمس الأول^(١)) الذي ألف اثنين وأربعين كتاباً مقدماً كان منها ستة في الطب وتركيب البدن وأعضائه ، ولا سيما في العينين وفي الجراحة والآلات الجراحية المستخدمة لتوليد النساء ، ومعالجة أمراضهن . وكان يعتقد أن المعرفات والقياسات والحقن من مميزات المرض وموجبات الشفاء .

ثم جاء من بعده وسار على منواله الهراسة الثلاثة الذين أورد ذكرهم صاحب طبقات الأطباء وكان أقدم كتاب طبي عرف عند المصريين « رسالة في التشریح » ورسائل طيبة عديدة تأليف (أنوبيس بن منيا) من ملوك الدولة الأولى المصرية .

وقد لنا شريعة حمورابي المؤرخة في حدود عام (٢٠٨٤ — ٢٠٨٠) قبل الميلاد على أن البابليين كان لهم أطباء وجراحون ، وكحالون ، وبياطرة ، وكانت أجرة الطبيب والجراح واليطري معينة ومنصوصاً عليها في مواد الشريعة ، وكذلك ورد فيها عقاب من يسيء عمله عمداً أو جهلاً .

وفي القرن السابع من الميلاد اكتشفت فيما بين النهرين (دجلة والفرات) إحدى المدارس التي كان يدرس فيها الطب .

(١) هرمس Hermes هو الاسم اليوناني للإله (طوت أوتوت) المصري ويقال الاسم أيضاً لرجل من حكماء مصر نسب إليه بعض الكتب الطبية . والهراسة عدة أشخاص اشتهروا كلهم بالطب والعرب نسي (هرمس الأول) لتدريس وهو من بابل .

والبابليون أول من بنى أساسات المعالجة على الأربعة الأربعة^(١) والأخلاق الأربعة^(٢) وأول من مارس الاختصاص في مهنة الطب . وكانوا كالمصريين يستعملون بالأدوية والتعاويذ والرقى والسحر لشفاء الأمراض وطرد الأوبئة وإخراج الأرواح الخبيثة من المصابين بالصرع أو الجنون . وكان التنجيم عندهم من جملة الوسائل لشرب الدواء وقطف الزهور وجمع الأعشاب وتعيين وقت العمل ووقت تناول ، ووقت الفصد والحجامة .

ولما ازدهرت حضارة اليونان كان «أيقراط» المولود عام ٤٦٠ قبل الميلاد أول من ألف كتب الطب وأول من فصله عن الدين ، وأول من جعل مصدر الأمراض الغذاء والهواء . وكان طبيباً ماهراً وله مدرسة يدرس فيها الطب ، وعيادة خاصة يداوي فيها مرضاه . وقد عرف عنه أنه كان يعتمد في معالجة المرض ومداواته على الملاحظة والتجربة . ومن تعالجه : (أن الأربعة^(٣) أربعة ، والعناصر^(٤) أربعة ، وخواص الأشياء^(٥) أربعة) ، وكان يعتني بالصحة والتشخيص ، ويتعاطى التشريح والجراحة ، وامتاز في عملياته .

وذكر التاريخ أن «أيقراط» سكن مدينة حمص ، وذهب منها إلى دمشق ، وأقام فيها في بستان غربي الصالحية في محل يسمى (قبة اليسار^(٦)) . وهو واضح

(١) الأربعة الأربعة : المزاج الصفراوي ، والمزاج الدموي ، المزاج البليسي ، والمزاج السوداوي .

(٢) الأخلاق الأربعة : الدم ، والبليسم ، والمرارة الصفراء ، والمرارة السوداء .

(٣) الأربعة الأربعة : الدموي ، والبليسمي ، والصفراوي ، والسوداوي .

(٤) العناصر الأربعة : هي النار ، والهواء ، والماء ، والتراب .

(٥) خواص الأشياء الأربعة : حار ، وبارد ، ورطب ، ويابس .

(٦) قبة اليسار (ولعلها اليسار) : محل بالقرب من (دهر سران) ذكره القفطي في أخبار الحكماء وفي معجم البلدان (٤ - ١٧٢) هو الدبر الكائن بالقرب من دمشق على تل مترفع على مزارع الزعفران ورياض حنة وبنائوه بالجلس وأكثر لونه بالبلاط الملون وهو دير كبير وفيه رهبان ومدحه الصوري . ويوجد في آخر هذا الاسم ولقع على جبل يترفع على (كفر طاب) قرب حمص ، ويقال إن فيه قبر عمر بن عبد العزيز .

الميثاق الطبي الشهير الذي طلب من تلامذته أن يقرعوا عليه ويعملوا بموجبه ، وقد بقي منذ ذلك العهد حتى زمتنا الحاضر عهداً يقسم عليه الأطباء في كلياتهم وجامعاتهم أمام أساتذتهم قبل أن يتخرجوا ويمارسوا مهنتهم .

ما هو هذا القسم ؟

جاء في كتاب (طبقات الأطباء) للطبيب ابن أبي أصيبعة أن محتويات القسم هي ما يأتي :

« اني أقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء ، وكل علاج ، وأقسم بأسقليبوس ، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً وأشهدهم جميعاً ، على اني أفي بهذا العهد وهذا الشرط ، وأرى أن المعلم لي هذه الصناعة بمنزلة أبي وأواسيه في معاشي واذا احتاج الى مال واسيته وواصلته من مالي الخاص ، وأما الجنس المتناصل منه فأرى أنه مساو لاخوتي ، وأعلمهم هذه الصناعة ان احتاجوا الى تعلمها بغير أجره ولا شرط ، وأشرك أولادي وأولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وحلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلوم وصائر ما في الصناعة ، وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك ، وأقصد في جميع التدبير بقدر طاقتي منفعة المرضى ، وأما الأشياء التي تضر بهم وتدني بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيي ، ولا أعطي اذا طلب مني دواء قتالاً ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة ، وكذلك أيضاً لا أرى أن أدني من النسوة فرزجة^(١) . نسقط الجنين وأحفظ في نفسي في تدبيري وصناعتي على الذكاء والطهارة ، ولا أشتق أيضاً غنى في مثانته حجارة ولكن أنترك ذلك الى من كانت حرفته هذا العمل .

(١) للفرزجة : هي التعبة التي تحملها المرأة لاسقاط الجنين وفي الغالب تكون من

« وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخل إليها لمنفعة المرضى ، وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد ارادي مقصود اليه في سائر الأشياء ، وفي الجماع للنساء والرجال الأحرار منهم والعبيد . وأما الأشياء التي أعاينها في أوقات علاج المرضى أو أسمعا في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا ينطق بها خارجا فأمسك عنها وأرى أن مثالا لا ينطق به » .

ويظهر أن أبقراط لم يكتف بهذا القسم بل توكيدا له وضع قاموسا لتعاطي الطب ، ووضع وصايا لمن يريد أن يكون طبيبا وأبدى الدرب في قسمه وقاموسه ووصاياهم واتبعوها قولاً وعملاً .

أما التاموس^(١) فقد قال فيه : « ان الطب أشرف الصنائع كلها ، إلا أن قص فهم من يتحلوا صار سببا لسلب الناس إياها لأنه لا يوجد لها في جميع المدن عيب غير جهل من يدعيها من ليس بأهل للتسمي بها . إذا كانوا يشبهون الأشباح التي يحضرها أصحاب الحكاية ليلهاوا الناس بها ، فكما أنها صور لا حقيقة لها ، كذلك هؤلاء الأطباء بالاسم كثيرون وبالفعل قليل جداً . وينبغي لمن أراد تعلم صناعة الطب أن يكون ذا طبيعة جيدة مؤاتية وحرص شديد ورغبة تامة ، وأفضل ذلك كله الطبيعة لأنها إذا كانت مؤاتية فينبغي أن يقبل على التعليم ولا يضجر لينطبع في فكره ويثر ثماراً حسنة مثل ما يرى في نبات الأرض . أما الطبيعة فتثل التربة وأما منفعة التعليم فتثل الزرع ، وأما تربية التعليم فتثل وقوع البذر في الأرض الجيدة ، فمتى قدمت العناية في صناعة الطب بما ذكرنا ثم صاروا إلى المدن لم يكونوا أطباء بالاسم بل بالفعل . والعلم بالطب كنز جيد وذخيرة فاخرة لمن علمه مملوء سروراً ، سرّاً وجهرًا ، والجهل به لمن اتحل به صناعة سوء وذخيرة رديئة عديم السرور ، ودائم الجزع ، والتهور ، والجزع دليل على الضعف ، والتهور دليل على قلة الخبرة بالصناعة » .

(١) هلا من ابن أبي أصيبعة : ١ - ٢١ .

وفي الوصية قال : « ينبغي أن يكون المتعلم للطب في جنسه حراً ، وفي طبعه جيداً ، حديث السن ، معتدل القامة ، متناسب الأعضاء ، جيد الفهم ، حسن الحديث ، صحيح الرأي عند المشورة ، عفيفاً ، شجاعاً ، غير محب للمال ، مائلاً لنفسه عند الغضب ، ولا يكون تاركاً له في الغاية ، ولا يكون يلبداً ، وينبغي أن يكون مشاركاً للعليل ، مشفقاً عليه ، حافظاً للأسرار ، لأن كثيراً من المرضى يوقفونا على أمراض بهم لا يحبون أن يقف عليها غيرهم ، وينبغي أن يكون محتلاً للثنيمة لأن قوماً من المبرسمين ^(١) وأصحاب الوسواس - السداوي) يقابلوننا بذلك . وينبغي أن نتعلمهم عليه ونفهم أنه ليس منهم ، وإن السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة ، وينبغي أن تكون ثيابه نقيه وممشره سليماً . وتأيداً لما تقدم أذكر اعتقاد أطباء العرب فمن يريد أن يكون طبيباً . قال الطبيب مذهب الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل البغدادي المتوفى عام (٦٢٠) هجري في كتابه « المختارات الطبية » ^(٢) :

- (١) المبرسم : مشتق من البرسام - وهو التهاب في الحاجر الواقع بين الكبد والأمعاء ، والمبرسم من يصاب بهذا الداء . وأصل الكلمة دخيل على العربية وهي مركبة من « بر » ومنناه الصدر بالفارسية و « سام » ومنناه (الموت) .
- (٢) وما جاء في وصايا البغدادي يتفق مع ما جاء في وصايا عبد أطباء القاهرة (ابن رضوان) الذي اشترط على الطبيب أن يكون متعلماً بجمع خصال ، هي :
 - ١ - أن يكون تام الخلق صحيح الأعضاء ، حسن الذكاء ، جيد الروية ، عاقلاً ، ذكوراً ، خيراً الطبع .
 - ٢ - أن يكون كدوماً لأسرار المرضى لا يبرح بني من أمراضهم .
 - ٣ - أن يكون حسن اللبس ، طيب الرائحة نظيف البدن والتوب .
 - ٤ - أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة ، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء .
 - ٥ - أن يكون حريصاً على النعيم والمباينة في منافع الناس .
 - ٦ - أن يكون سليم القلب ، عفيف النظر ، صادق الهجة ، لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأموال التي شامدها في منازل الأعلام فضلاً عن أن يتعرض لها أو ال شيء منها .
 - ٧ - أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال ولا يصف دواء قتالاً ولا يسهله . ولا دواء يسقط الأجنة . يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيه .

« ان لكل واحد من الناس حداً من الاستعداد في قبول العلوم والصنائع بحسبه يكون مطبوعاً فيها ، فاذا توفر على ما هو مستعد له ومطبوع فيه انتفع به ونفع ، وان تعداه الى غيره ضرر واستضر ، والصنائع والعلوم تنمى وتزيد بوقوعها الى المستعدين المطبوعين فيها ، وتنقص وتفسد بوقوعها الى غيرهم . ويعرف المطبوع في الحكمة بصحة مزاجه وتناسب أعضائه وطهارة أخلاقه » .

« مجلد ٢ ص ٦ » .

ويضيف على قوله :

« وما يمتنع به حتى يوثق بعلمه وعمله أن ينظر فيما اذا اتفق زمانه في الماضي في الاشتغال بهذه الصناعة وملازمة خدمة الكبراء من هو أهل لها ، وطول ملازمتهم والقراءة عليهم والعلاج بين أيديهم ، والتدرب في الدخول على المرضى في بيوتهم ، وملازمة خدمة البيمارستانات التي يجتمع فيها حذاق الأطباء وكثرة نظره الى معالجة الأستاذ فيشار اليه ويعول عليه . وكذلك هل يثني عليه الناس لحسن سيرته ودباته ، وان همته اذا خلا في بيته مطالعة الكتب ودراسة هذه الصناعة ، وأنه غير مشتغل باللهو واللعب والشرب وموارة السكر ، ولا يعض هذه الخلال المذمومة التي تستغرق الزمان بالتضييع ، والخطر بالتوزيع ، فان كان ينسب الى شيء من ذلك فلا ينبغي أن يوثق اليه ولا يعول عليه في هذه الصناعة » .

وهو قول اذا نظرنا اليه بعين تلك الزمن وبين زماننا وبين التحليل السيكولوجي والصحي والسلوكي نجد متوافقاً مع قسم ايقراط ومع تاموسه الطبي ومع وصاياهم ومع ما كانت تتطلبه العصور العربية في معاهدها وبيمارستاناتها من أطبائها ، ومع ما نرى الى تحقيقه والعمل به معاهدنا العلمية الحديثة في تنشئة الأطباء وتهذيب أخلاقهم وتربيتهم الصناعية لأنه قول صادر عن تجربة وعلم ، وقس

نذرت نفسها للتعليم والتدريب والتنشئة وخدمة المهنة ، وخدمة الإنسان والإنسانية .
وبعد هذا لنعد الى متابعة بحثنا عن تطور الطب ونشأة الأطباء ، فأقول :
ومن بعد أفلاطون ظهر أريستو الذي ولد في عام ٣٨٤ قبل الميلاد ومات في
عام ٣٢٢ وكان من أعظم فلاسفة اليونان وهو وإن لم يكن طبيباً ولكن
تعاليمه أثرت تأثيراً عميقاً في تقدم الطب وفي ذهنية العرب فدعوه المعلم الأول .
ويذكر متنبو حياته وآثاره أنه ألف في مواضيع عديدة تتعلق بالطب
كعلم الأحياء ، وعلم التشريح المقارن ، وعلم الفسيولوجيا ، وعلم الأجنة ،
وعلم الحيوان ، وعلم النباتات ، علاوة على ما ألفه في الفلسفة والمنطق والبيان
والسياسة وعلم النفس وعلم الأخلاق .

وكان أستاذاً ومرياً لاسكندر الكبير في صفوه ولما تولى اسكندر زمام
الحكم ، وقاد جيشه للفتوحات اتخذ معلمه مشاوراً له في اجراءاته وأموره السياسية .
وقد اشتهر أريستو بالولع العلمي والتحري الواسع والدقة العلمية والنهج الرتيب .
وفي أيامه أنشأ الاسكندر مدينة الاسكندرية عام ٣٣١ قبل الميلاد وأنشأ
مها مدرسة الاسكندرية التي ارتقت ارتقاءً عظيماً في عهد البطالسة وبقيت
مناراً للعلم ونشره ومعهداً لتخريج العلماء والفلاسفة والأطباء والحقوقيين حتى الفتح
الإسلامي عام ٦٤٢ ميلادية . ومن هذه المدرسة تخرج الأطباء (هيروفيلس ،
وارسطرارطس) واشتهروا بترقية علمي التشريح والفسيولوجيا ، وتخرج منها
(جالينوس ^(١)) أعظم طبيب ترجم له العرب وأخذوا عنه أيام الأمويين لأنه
كان خاتمة الأطباء الكبار الثانية الذين اشتهروا في هذه المدرسة .

وفي طبقات الأطباء يقول الطيب ابن أبي أصيبعة : « ان جالينوس لما ظهر
وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء السفسطائيين ، وانحلت

(١) جالينوس Galinus ولد عام ١٣١ وتوفي عام ٢٠١ . له اكتشافات خطيرة
في التشريح ، اهتم به علماء أطباء العرب .

محاضنها ، فانتدب لذلك وأبطل آراء أولئك وشيد أقوال (أبيقراط) وآراءه ، وآراء التابعين له ، وصنف في ذلك كتباً كثيرة كشف فيها عن مكنون هذه الصناعة ، وأفصح عن حقائقها ونصر القول الحق فيها ، ولم يجبي بعده من الأطباء إلا من هو دون منزلته ومتعلم منه » .

وكانت مدة حياة جالينوس على رأي الطيبت النحوي سبعة وثمانين سنة ، منها صبي ومتعلم (١٢) سنة ، وعالم ومتعلم (٢٠) سنة . ولكن جالينوس يقول عن نفسه في كتابه (مراتب قراءة كتبه) : « ان أبي لم يزل يؤدبني بما كان يحسنه من علم الهندسة والحساب والرياضيات التي تؤدب بها الأحداث حتى انتهت من السن إلى خمس عشرة سنة ، ثم انه أسلمني في تعليم المنطق وقصد بي حينئذ في تعليم الفلسفة وحدها ، ثم رأى رؤيا دعتني الى تعليمي الطب فأسلمني فيه تعليمه وقد أتت علي سبع عشرة سنة ، وبعدها تعلمت الطب وتعاملته حتى بلغت الثاني وثلاثين سنة » .

وكان جالينوس عبقرياً واسع المعلومات ، ذرب اللسان ، كتب الكثير في مختلف المواضيع الطبية المعروفة في زمانه انما كان ينقصها سلاسة أبيقراط ووضوحه . وكان في حياته ومعيشته يحب الفخفة ، وطالما سافه عقله المولد الى الدخول في عالم الخيال والفلسفة ، ولذلك أتى ببعض الآراء الوهمية غير المعقولة ، وأنت مؤلفاته صعبة الدرس والفهم ، ومع هذا فقد كانت بين المؤلفات الأولى التي نقلت الى العربية ، ترجمها حنين بن اسحق وولده اسحق وابن اخته حبيش الأعسم . وكانت مدرسة الاسكندرية جمعت تآليف جالينوس كلها وبورتها ووضعتها في ١٦ مجلداً ليسهل درسها ، وذكر ابن أبي أصيبعة أن هذه المجموعة من الكتب المترجمة الى العربية كانت المتداولة بين الناس وفي أيديهم والمعتمد عليها في دراسة الطب (ككتاب الترقى الطبية ، وكتاب الصناعات الصغيرة ، وكتاب التبط الصغير ، وكتاب « غلوغن » الذي معناه الأزرق كتبه في الثاني لشفاء

الأمراض ، وكتاب في الفطام ، وكتاب في العضل وتشرح العصب ، وتشرح العروق غير الضواري ، وتشرح العروق الضواري ، وكتاب الأسطوانات^(١) وهو يبين جميع الأجسام التي تقبل السكون والفساد وهي أبدان الحيوان والنبات ، والأجسام التي تنولد في بطن الأرض ، وكتاب المزاج ، وكتاب القوى الطبيعية ، وكتاب العلل والأمراض ، وكتاب تعريف عمل الأعضاء الباطنة «باثولوجيا» ، وكتاب النبض الكبير ، وكتاب أصناف الحيات ، وكتاب البحران ، وكتاب حيلة البرء ، وكتاب علاج التشريح الكبير ، وكتاب فيسيولوجيا الأعضاء ، وكتاب في قوى الأدوية المسهلة ، وكتاب في العادات ، وكتاب في الأدوية المفردة ، وله كتب أخرى في أمور طبية ومساائل تتعلق بالتداوي نظر فيها وفسرها من جاء بعده من الأطباء الاسكندرانيين كاصطفان ، واثقيلادوس ، وجامبيوس ، ومارينوس ، وثادودوسيوس ، وديسقوريدس ، ويحيى النحوي الذي عاش وخلق زمن عمرو بن العاص في مصر وله كتب عديدة ترجمت الى العربية أيضاً مع كتب ديسقوريدس صاحب الفضل في تعليم وتصنيف مفردات الطب .

وبعد ما انتقلت الامبراطورية الرومانية^(٢) الى مملكتين واضطهد رؤساء النساطرة السريان الذين كانوا في مدارس أثينا هاجر النسطوريون الى الشرق وكانوا من العلماء والفلاسفة والأطباء وحملوا معهم العلوم اليونانية وثقافتها وسكنوا بلاد الرها وما جاورها وأقاموا فيها مدارسهم .

(١) الأسطوانات : معناها العناصر . وهي عند الأقدمين . (الماء والأرض والهواء والنار) وأصلها مأخوذ من اليونانية .

(٢) لم يكن النصر الروماني البيزنطي المتد من عام ٤٧٦ الى ٧٣٢ بعد الميلاد من الصور التي لها أثر كبير على العرب ، بل كانت المدينة اليونانية خلالها في انحطاط وانحسرت تحت أيديراط ، وسوقراط ، وجالينوس في الأهمية .

ومنهم من سكن في نصيبين ، وقسرين ، وميافارقين ، وأسسوا فيها مدارس علمية وطبية أخرى بلغت خمسين مدرسة ، ومنهم من هاجروا الى جنديسابور من بلاد العجم وأوجدوا أيضاً مدرستهم الشهيرة التي تخرج منها الطبيب العربي الشهير الخوارزمي بن كلداء أول طبيب في الجاهلية قابل كسرى أنوشروان مع وفد من رؤساء العرب وتحدث اليه ووصف له فضائل العرب ومكارمهم وأجابته على عدة أسئلة سأله عنها ليمنح معرفته .

وكان النساطرة ترجموا العلوم اليونانية الى السريانية ، ولما فتح العرب بلاد سورية والعراق وايران ، وفتحوا قلوبهم للعلم وبذلوا الأموال للحصول عليه وصرفوا حياتهم للحصول على كتبه وترجمتها وسافروا لأجل ذلك الى بلاد اليونان وايران والهند والصين وعملوا على ترجمتها ، واستقدموا العلماء والتراجمه لهذه الغاية والتعليم والتدريس والتطبيب ، كانت هؤلاء النساطرة وغيرهم من خير ما ساعد على ذلك .

والذي نستطيع استنتاجه من كل ما تقدم أن أطباء العرب بدأوا تعلم الطب من الذين كانوا في مدرسة الاسكندرية ابان فتح مصر ، ثم من أطباء النساطرة الذين كانوا يدرسون في مدارس الرها وغيرها مما ذكرنا أسماءها .

(يتبع)

عبد الرحمن الكبيسي

العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »
في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

— ٤ —

ان المرحلة الطويلة التي عاش فيها العرب الفسامة متحدثين بالسريان في مناطق سورية وغيرها ، أتاحت أعظم فرصة للقاء اللغتين العربية والآرامية السريانية ولاتصالهما الطويل ، مما كان له الأثر الفعال في كليهما ، وعلى الأخص في بلاد سورية ، وقد بقيت آثاره الى اليوم دائرة على الألسن السورية ، إذ اصطبغت اللغة العربية المحكية فيها بصفات سريانية كثيرة منذ تلك العصور الى يومنا هذا .
وأم الآثار السريانية الآرامية في اللغة العربية المحكية في بلاد الشام على الأخص هي ما يأتي :

١ - قلب (ميم انجمع) الى نون في ضميري المخاطبين والغائبين مثل (أبوكن ، أخوكن ، بيتكن) ، عوض (أبوكم ، أخوكم ، بيتكم) ، ومثل (أيوهن ، أخوهن ، بيتهن) عوض (أيوهم ، أخوهم ، بيتهم) . وذلك مستمد من السريانية الآرامية اذ يقال (احصح ، احصح ، احصح) كما يقال (احصح ، احصح ، احصح) . وهي صيغة سريانية لا غير .

٢ - اسكان الحرف المتحرك بحركة الاختلاس في وسط الكلمة ، وقد تنقل حركته الى الحرف الذي قبله مثال ذلك : (علتْك ، عمَّتْك . ونحمله ، زلقطه) وما اليها عوض (علتْك ، عمَّتْك . ونحمله ، زلقطة) كما هي الحال في بقية البلاد العربية .

٣ - اسكان المتحرك في أول الكلمة وفي مواضع أخرى من ذلك :
(كنييز ، صفيير ، كيار ، نروح) وهذه توجد في لغة الموصل العامية
أيضاً ، وهي مستمدة من السريانية لا غير ، لأن هذه الحالة لا توجد إلا في
اللغة السريانية .

٤ - استمداد لغة الشام العربية المحكية الى الآن كلمات كثيرة سريانية صرفه
من ذلك : دقر أي (صدم) ، سكر (أطلق الباب ونحوه) ، دنق (نظر) ،
ققع (انفجر) ، دلف (بمعنى وكف) ، شخط (احتل السيف ونحوه) ،
شطح (بسط ، مد ، وامتد) فلش (هدم) ، (وهذه توجد في عامية الموصل أيضاً) ،
شقل (قتل ، أخذ) . ومن الأسماء : شوب (الحر) ، شرش (جذر) ،
شكارة (ما يزرع لأجل القوت القليل) ، وهذه توجد في عامية الموصل أيضاً) ،
القاقول (القاتل) ، الشاقول (ما يستعمله المعمار لوزن استقامة البناء) ، القرطب
(نوع من الشوك معروف) .

كل هذه الأفعال والأسماء مستمد من السريانية الآرامية ، وهي فيها سيف
هذه الصيغة . ونحن لا ندعي أنها موجودة من عهد الفساسنة العرب كلها ،
فلا بد أن هنالك ألفاظاً واصطلاحات دخلت اللغة العربية منذ انتشارها بعد
هروب السريانية من الألسنة السورية ، ومن هذا القبيل أيضاً أسماء كثير من
القرى والأنهار والأماكن التي ورثت أسماءها من اللغة الآرامية القديمة .
وهذه الأمور تكفي للدلالة على تأثر اللغتين أحدهما بالآخرى في سيرهما
جنباً الى جنب كل هذه المدة الطويلة ، وتمازج أهلها في مختلف العصور التاريخية .
والآن ننتقل الى منطقة عربية أخرى هي منطقة نجران في بلاد اليمن السعيدة ،
فقد تبوأها العرب المسيحيون منذ أقدم العصور المسيحية ، وكانوا متعددين مع
الكنيسة السريانية الآرامية في بلاد سورية وغيرها ، وهو ما جعل اتصالاً آخر
مباشراً بين اللغتين العربية والآرامية بعد الاتصالات القديمة التي هرفناها سابقاً .

في مدينة نجران العربية ازدهرت المسيحية^(١) ، وأقيمت الكنائس الجليلة فيها وفي بقية المدن اليمنية أمثال مأرب والمجران^(٢) ، وأصابها الشدة بين سنتي ٥١٩ — ٥٢٤ م ذاهما ذو نواس اليهودي فعاث فيها وفي سائر المدن المجاورة تقتيلاً وتفظيعاً ، واشتهر من الشهداء المسيحيين العرب الشجعان الحارث بن كعب وبضع مئات من الرجال والنساء والأطفال^(٣) . وكذلك اشتهرت من الشهاديات عقيلة الحارث الشريفة (روي) ، وقد أثبت خبر شجاعته المؤرخ ميخائيل الكبير نقلاً عن رسالة شمعون الأرميني معاصر هذه الحوادث الدامية^(٤) .

ان المسيحية في نجران والمدن المجاورة لها كانت مسيحية عربية آرامية بأن واحد ، كما كانت قبلها الوثنية وثنية عربية آرامية حيث عبد العرب وعلی الأخص قبائل حمير (الشمس)^(٥) وهو (شمس) الآلهة الآرامية القديم ، فتكون القبائل العربية في هذه المنطقة متعلقة بالآرامية في عهدها الوثني والمسيحي ، لأن الفرصة أنيحت في كلا المهدين لقاء اللغتين العربية والآرامية ، غير أنه في العهد المسيحي قويت العلاقة بين هاتين اللغتين الشقيقتين ، لأن أهل حمير أخذوا يكتبون بالقلم الآرامي السرياني بدلاً من الخط المسند الشائع عندهم قبل ذلك^(٦) .

ويظهر من سياق حوادث التاريخ أن أهل نجران كان فيهم كثيرون ممن يقرأون اللغة الآرامية ويفهمونها . وقد وجه اليهم العلامة يعقوب السروجي الملفان رسالة ضافية يشجعهم فيها على الثبات في إيمانهم ومكافحة المعتدي الأثيم

(١) الطبري جلد ١ ص ٩١٨ وابن خلدون ، المعبر ٢ ص ٥٩ .

(٢) الدور النخبية لنبطة البطوريك أفرام برصوم ص ٣٩٣ و ٤٩١ - ٤٩٢ .

(٣) ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ .

(٤) ميخائيل الكبير ص ٢٧٣ - ٢٧٦ .

(٥) ابن العبري مختصر الدول ص ١٥٩ .

(٦) المكتبة لترقية لسمالي الجلد ٣ ص ٦٠٣ .

بالصمود في حومة الاستشهاد وذلك في شدة ذي نواس اليهودي سنة ٥١٩ م .
 وكتبت هذه الرسالة بالسريانية وهذا مطلعها : « الى المجاهدين المختارين ،
 محيي النصر الحقيقي ، عبيد الله المؤمنين الصادقين في نجران مدينة
 الحميريين » ^(١) وذكر من أساقفة نجران العرب قس بن ساعدة (الخطيب العربي
 المشهور) كما ذكر من أساقفتها السريان الأسقف فولاذ الذي كان قد توفي
 قبل اضطهاد ذي نواس ، فأخرجت عظامه من القبر وأحرقت بأمر هذا الطاغية ^(٢) .
 وعلى ذكر كتابة الحميريين بالخط السرياني الآرامي نعود فنقول مع الأستاذ
 ولفندون : إن العرب في عهد جاهليتهم الوثنية كانوا يستعملون الخط النبطي
 الآرامي المتأخر ، وكانت حضارة العرب الوثنية مرتبطة بالنبط ارتباطاً وثيقاً ،
 وكان نصارى العرب يستعملون الكتابة النبطية واللغة الآرامية التي كانت
 لغة الصمران والدين عند نصارى الشرق ، وكان أهل نجران على الأخص ،
 وهم عرب خلص ، يعرفون اللغة الآرامية ^(٣) ، وعلى الأخص في طقوسهم الدينية ،
 واتصلهم بالكنيسة الأم في سورية وفي غيرها من الأصقاع الكنسية ^(٤) ،
 وهذا كاف لتأييد رأينا في اتصال اللغتين الساميتين ، وتبادل المادة بينهما كما
 سنرى فيما يأتي :

وكانت في العراق قبائل عربية كثيرة تسير تحت راية الكنيسة السريانية
 الأرثوذكسية متحدةً معها بالإيمان والعمل ، وأشهرها قبائل تغلب وطي ونمر
 واباد ، ومن أشهر أساقفتها الأقدمين العلامة الفيلسوف أحوذامه ، وكان أسقفاً
 للمنطقة المعروفة بـ (باعرباي) أي ديار العرب ، وهي الواقعة بين الموصل وسنجار

(١) المتحف البريطاني - المخطوطات السريانية رقم ٤٧٢٦ ١١ ورقم الرسالة في هذه
 المبرقة ١٥ وخاتل الرمان بملتا ص ٤٣ - ٤٥ .

(٢) ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ .

(٣) ولفندون ص ٢٠٢ .

(٤) تحقيقات تاريخية ص ٢٧ .

ونصيبين^(١) ، وبعد أن قلده مار يعقوب البرداعي مطرانية بلاد المشرق العامة سنة ٥٥٩ م سار بنفسه الى جنوبي العراق ، فدعى بقية العرب الرحل الى النصرانية ، فهدى جماهير كثيرة منهم الى المسيحية ، وأنشأ لهم ديرين وعدة كنائس^(٢) . وهذا يدل على أن هذا المبشر كان يتكلم العربية كما كان يتقن لغته السريانية ، ومن المؤكد أنه أنشأ لهم الشعائر الدينية ، هو والكهنة الذين رسمهم لهؤلاء العرب ، باللغة العربية ، كما اشتهر بعده من الأساقفة العرب جرجس أسقف العرب الفيلسوف الذائع الصيت^(٣) ، ومنكتب عنه دراسة وافية إن شاء الله .

على أن أشهر القبائل العربية العراقية هي قبيلة تغلب ، وقد حدثنا التاريخ عن وحدتها مع الكنيسة السريانية الأم في العراق ، ورسم البطارقة الانطاكيون السريان لها أساقفة كثيرين ، يتصل بعضهم بنسب عربي والبعض الآخر ينحدر من محمد سرياني ، ومن أولئك الأساقفة يوسف التخلي الذي رسمه البطريرك يوليان الثالث (٦٨٨ - ٧٠٩ م)^(٤) . ورسم البطريرك قرياقس التكريتي (٧٩٣ - ٨١٧) ثلاثة أساقفة لهؤلاء العرب ، أولهم الأسقف يوحنا للكوفة ، ثم الأسقف داود ، ورسمه في (دقلا)^(٥) عاصمة التغلبة ، والأسقف عثمان العربي ، وهو الخامس والأربعون في عداد أساقفته^(٦) ، ورسم البطريرك التلمحري (٨١٨ - ٨٤٥) خمسة أساقفة للعرب التغلبة هم : يوحنا من دير قرقنسا ، وتوما من دير بيرقوم ، وحبيب من دير كنوشيا ، ويوسف ويسى (مرزوق) ، وجرجس ، وكذلك رسم لبقيّة العرب أساقفة آخرين

(١) المؤلّف المنشور من ٩٥٩ الطبعة الأولى ونصته السريانية المخطوطة .

(٢) نصته السريانية المخطوطة .

(٣) المؤلّف المنشور من ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٤) التاريخ الكنسي لابن العبري ، ترجمة البطريرك يوليان الثالث .

(٥) دقلا كلمة سريانية معناها النخل .

(٦) ثبت البطارقة والأساقفة في تاريخ ميخائيل الكبير من ٧٥٢ - ٧٦٩ .

أشهرهم يوحنا أسقف العرب الرجل ، ويوحنا أسقف قدس ، وسبرو من دير أطو^(١) . ورسم البطريك يوحنا الخامس (٨٤٧ - ٨٩٤ م) سبعة أساقفة للعرب من بني معد والتغالبة والتجرايين (هم بقايا مسيحيي نجران الذين شتتتهم ذو نواس اليهودي في اضطهادهم سنة ٥١٩ - ٥٢٤ م) وهم : الأسقف يعقوب للتغالبة وأحودامه أسقف بني معد ، وطبري لبني معد ، وشمعون لبني نجران وبني معد من دير كنوشيا ، وماكوس للتغالبة ، ويوحنا من دير مار زكي لبني معد ، ويوحنا للتغالبة الضاربين في بادية الموصل ، ومثلهما فعل البطارقة أغناطيوس الثاني ، وتيودوسيوس ، وديونيسيوس الثاني ، ويوحنا السادس ، وباسيل الثاني من سنة ٨٧٨ الى سنة ٩٣٥ م^(٢) ، فرسموا أساقفة كثيرين لهذه القبائل العربية المتحدة بالكنيسة السريانية في سورية والعراق .

وكان معظم هؤلاء الأساقفة ينتقلون مع قبائلهم من دار الى دار ، يسكنون الخيام ، ويقبضون الشعائر الدينية في بيوت الشعر ، وقد حدثنا الفيلسوف يحيى بن جرير التكريتي منهم قال : « وقد كان في العرب نصارى كبني تغلب وقوم من اليمن وغيرهم ، ومعهم أسقف يطوف معهم في الحلال في سفرهم ، وينقل المذبح أعني الدقة المقدسة (الطليث)^(٣) من موضع الى موضع ، الى سنة ثلاثمائة للعرب (٩١٢ م) ، فوصل الى تكريت قوم من العرب النصارى وابتاعوا لهم ميرة ليجتاروا بها ، وكان منهم رجل دين حسن الطريقة فقلده مطران تكريت الأسقفية ، وكان يقدس لهم باللفظ العربي ، وكانت يقدس لهم على الإنجيل^(٤) » .

(١) الثبت نفسه ص ٧٥٤ - ٧٥٥ .

(٢) الثبت نفسه .

(٣) هي قطعة من الخشب تكرس ليوضع عليها القربان المقدس .

(٤) كتاب المرشد ليحيى بن جرير التكريتي الباب ٤٤ (مخطوط) .

نستنتج من هذا كله أن العربية والآرامية ، سارتا جنباً الى جنب في جميع العصور منذ عهد الوثنية الى قرون عديدة من عهد للمسيحية ، حتى بعد انتشار الاسلام ، مما أثر في كليهما تأثيراً عظيماً وعلى الأخص العربية التي أفادت من اختها الآرامية فوائد عظيمة . قال الأستاذ محمد عطية الأبراشي : « في الوقت الذي كان للغة الآرامية الغلبة والانتصار أثرت تلك اللغة الآرامية في اللغة العربية تأثيراً عظيماً ، وكما أمنا في الفحص والاستقصاء أنضح لنا أن كثيراً من الكلمات العربية التي كانت تستعمل للتعبير عن الأفكار والمواد التي تدلّ على درجة معينة من المدنية استعيرت من اللغة الآرامية ، ومن هذا نستنبط أن العرب شعروا بالمدنية التي كانت لدى جيرانهم الآراميين في الشمال وأنهم قد تأثرو بها » (١) .

ونختم بحث العلاقات التاريخية بين اللتين العربية والآرامية بقول الأستاذ الأبراشي أيضاً وهو : « إن اللغة العربية الفصحى . . . نشأت من الآرامية في الشمال والسبئية في الجنوب ، إلا أن آرامية الشمال تغلبت على السبئية في القرون القريبة من الاسلام » (٢) . ونضيف عليه قولنا : إن ذلك يحدث بفعل الاتصال الدائم الذي رأيناه بين هاتين اللتين الشقيقتين منذ أقدم عصورهما التاريخية الى العصور المتأخرة .

٥ - العلاقات الفنية في الأيجدية

ان العلاقات الفنية في نشوء الأيجدية بين اللتين الآرامية والعربية هي من الأهمية بمكان عظيم ، بل هي الناحية الأعظم إشراقاً والأرفع شأناً في كيفية

(١) لغة العرب وكيف تنبض بها لحد عطية الأبراشي طبع مصر سنة ١٩٤٧ ص

١١٤ - ١١٥ والآداب السامية ٤ طبع سنة ١٩٤٦ ص ١٠٨ .

(٢) لغة العرب للأبراشي ص ١٢٢ .

تعاونهما وسيرهما جنباً الى جنب في جميع عصورهما التاريخية ، وتآزرهما على الحياة والنمو والتكامل ، وانبثاق القوى الحيوية وانسكابها من إحداها في الأخرى ، فما هو الحق التاريخي الذي تحوزه كل من الأبيديتين ؟ وما هو التسلسل الزمني والفني الذي سار فيه كل من القلمين ، كل ذلك سندرسه في سطورنا التالية :

يذهب علماء الساميات الى أن أقدم أبجدية سامية هي الأبيدية الكنعانية ^(١) ، وعنهما نشأت بقية الأبيديات في عصور متفاوتة ، فصدرت الأبيديات الآرامية ^(٢) والعبرية ^(٣) ، وفي العصور القريبة من الإسلام انبثقت الأبيدية العربية منحدرة من الأبيدية النبطية الآرامية ^(٤) ، ونحن لا يهنا هذا التدرج التاريخي في بحثنا هذا وإن كانت فيه هنات لا يصح التفاضل عنها ، إنما تهنا العلاقة الوثني بين الأبيديتين الآرامية والعربية ليكون بحثنا حائزاً على كل صفاته الموضوعية الكاملة .

من البديهي أن علماء الساميات أصدروا قرارهم السابق بشأن التدرج التاريخي في نشوء الأبيديات السامية استناداً على الكشف الأثرية التي وجدت الى الآن ، ولكن الكل يعلم أن هذه الكشف مازالت قليلة جداً - رغم كثرتها - بالنسبة الى ما ستحدثه الكشف الأثرية القادمة في المستقبل ، لذلك لا يسوغ الركون الى تقرير يستند على مصادر ناقصة ، قد تنقلب رأساً على عقب في لحظة واحدة ، اذا اكتُشف رقيم واحد يضاد معلوماتنا الحاضرة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية إن تقريراً يستند على مصادر مازالت آخذة في الازدياد والتكامل يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام لا يسوغ أن 'تبنى عليه حقيقة علمية تاريخية

(١) ولغسون ص ٥٢ .

(٢) فيه .

(٣) فيه ص ٥٣ .

(٤) فيه ص ٢٠١ احمد رضا ص ١٧ و ٢٨

هامة كأصالة الأبجديات وتقديم بعضها على البعض الآخر ، ولذلك نقول إن لدينا نصوحاً تاريخية هامة من القرن السابق للميلاد والقرنين اللذين يليانه تذهب الى أن الآراميين هم أول من اخترع الكتابة ، وبالتالي تجعل الأبجدية الآرامية أول أبجدية سامية ، وتدعى أن الأبجدية الكنعانية هي الصورة الأولى البسيطة للأبجدية الآرامية ، ونورد هنا نصين من تلك النصوص بحفظ غير جازمين الآن بصحتها المطلقة . قال ديودوروس الصقلي المؤرخ الشهير الذي عاش في القرن السابق للميلاد : « إن اختراع الكتابة يعود الفضل فيه الى الآراميين » . وقال اقليدس الإسكندري في القرن الثاني للميلاد : « ذهب كثيرون من القدماء الى أن الآراميين هم الذين اخترعوا الكتابة »^(١) . وعلى هذا الأساس نقول إن لم تكن الأبجدية الآرامية أقدم أبجدية سامية فهي حتماً من أقدمها^(٢) . أما العلاقة الفنية بين الأبجديتين الآرامية والعربية فتتعرض في أربع وجوه هامة هي :

١ - انحدار الأبجدية العربية من الأبجدية الآرامية .

اختلف المؤرخون العرب في المصدر الذي انحدرت منه الأبجدية العربية ، فذكر معظمهم أنها منحدرة من الخط المسند^(٣) . ولكننا لا نستطيع إقامة دليل ملموس على صحة هذا الرأي ، لأننا لا نحوز آثاراً خطية تؤيده ، وقد ظهرت في الآونة الأخيرة رقم حجرية عثر عليها المستشرقون في قترات متناوثة من الزمن ، وهي تحوي دلائل ملموسة تنير طريق البحث في هذا الموضوع ، وبعد دراسة هذه الرقم الحجرية الهامة قرّر علماء الساميات أن الأبجدية العربية اشتقت من الأبجدية النبطية الآرامية^(٤) . ولا نعدم شهادة تاريخية عربية هامة تؤيد هذا

(١) اللغة النبية . ليوسف داود . ج ١ ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) التؤلؤ المشور . بطريك أنرام برصوم ص ٢٦ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٨ - مطبعة مصطفى محمد . صبح الاعشى ص ١٣ .

(٤) ويلسنون ص ٢٠١ واحد رضا ص ١٧ و ٣٨ . (٣)

الرأي . قال البلاذري في فتوح البلدان : « اجتمع ثلاثة نفر من طيء يقة وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن صدره ، وعامر بن جدوة ^(١) فوضعوا الخط ، وقاصوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه منهم قوم من الأنبار ، ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار ، وكان بشر بن عبد الملك أخو أكيدر ابن عبد الملك بن عبد الجن الكندي ثم السكوني صاحب دوحة الجندل ، يأتي الحيرة ، فيقيم بها الحين ، وكان نصرانياً ، فتعلم بشر الخط العربي من أهل الحيرة ، ثم أتى مكة في بعض شأنه فرآه صفيان بن أمية بن عبد شمس ، وأبوقيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب ، فسألاه أن يعلمها الخط فعملها المهجاء ، ثم أراهما الخط فكتبا » ^(٢) .

وإذا دققنا هذا النص التاريخي الهام نجد أنفسنا أمام شهادة صريحة تؤيد ما ذهب إليه علماء الساميات وهو أن (النفر) الذين (اجتمعوا) يقة (وضعوا الخط وقاصوا هجاء العربية على هجاء السريانية) . والأصح أن يقال أن هؤلاء الثلاثة (تعلموه) لا وضعوه .

أما الخط المسند فانه خط حمير ^(٣) ، ومن المعروف أن الحميريين استبدلوا الخط المسند بالخط السرياني ^(٤) . والمعروف أيضاً أن الخط المسند الحميري هو خط ميّ ، وقيل إن الخط المسند منقول من الخط الكنصاني مباشرة ^(٥) ، إلا أن ثقات المستشرقين ينكرون ذلك ، ويؤيدون أن خطوط شمال بلاد العرب منقولة مباشرة عن الخط الآرامي اعتماداً على ما كان بين الآراميين وهذه القبائل

(١) ذكر ابن خلدون في مقدمته غير هؤلاء (للنظر) ص ٤١٨ .

(٢) البلاذري . فتوح البلدان ص ٤٧١ .

(٣) التراث لابن التديم ص ٨ .

(٤) المكتبة الشرقية لسمال الجزء ٣ ص ٦٠٣ .

(٥) ويلسنون ص ١٧١ .

العربية من القري والجوار^(١) ، وهذا الرأي نرجعه ، لأن القبائل العربية لم تلتق مطلقاً بالمدينة الكنعانية ، بل امتزجت بالمدينة الآرامية كما رأينا في أوائل بحثنا هذا .

أما صدور الأيجدية العربية من الأيجدية النبطية الآرامية فنرى أنه تم على مراحل وفي فترة تقارب القرنين من الزمن ، وقد ظهرت رقم أثرية هامة أنارت الطريق أمام الباحث في هذا الموضوع .

إن هذه الرقم الأثرية توضح لنا كيف تولدت الأيجدية العربية من الأيجدية النبطية الآرامية ، ويتم لنا ذلك إذا قابلنا بين القلم النبطي المتأخر والقلم العربي القديم ، وأشير الرقم التي يجب دراستها في هذا المضمار هي خمسة نقلها المستشرقون نييه آبوت^(٢) وصفت ووايت^(٣) ، وقد حظينا بدراسة وافية لبعضها قام بها صفت ووايت وهو ما يساعدنا على الافادة منها في موضوعنا ، ونقلها أيضاً وعلق عليها الأستاذ امرايل ليفنسون^(٤) كما نقلها الأستاذ ناصر النقشبدي في مقاله (منشأ الخط العربي)^(٥) .

أما كيفية المقابلة بين هذه النصوص الأثرية فتم بملاحظة القلم النبطي المتأخر ، والقلم العربي القديم ؛ ويمكن وضع هذين الرقيمين (النبطي المتأخر والعربي القديم) أنموذجاً للملاحظة والمقابلة والاستنتاج ، أما النبطي المتأخر فانه رقيم أم الجبال الأول الذي عُثر عليه في أم الجبال الواقعة في جنوب حوران في شرق الأردن ، وهو يعود الى قبر فهر بن جذيمة ملك تنوخ^(٦) ، وتاريخه نحو سنة ٢٥٠ م ،

(١) ولفنسون ص ١٧١ .

(٢) نييه آبوت لوح ١ ص ٥ .

(٣) صفت ووايت ص ١ - ٥ .

(٤) ولفنسون ص ١١٠ و ١٩١ ، ٩٢ .

(٥) مجلة سورس الجلد ٣ الجزء ١ ص ١٣٠ - ١٣٣ كانون الثاني سنة ١٩١٧ .

(٦) دوستا هذا الرقيم سابقاً وترجمناه يجب نظم الله السريانية الحاضرة .

وأما العربي القديم فإنه رقيم النارة الذي 'عثر عليه في موقع النارة بجبل الدروز وتاريخه نحو سنة ٣٢٨ م ، وهو يعود لقبر امري' القيس بن عمرو ملك العرب في الحيرة^(١) ، وملاحظة هذين الرقيمين تعطينا فكرة كاملة في تولد الخط العربي ، فان معظم الحروف متشابهة تقريباً ، وهذا التشابه يظهر في شكل الحروف ، ومن المعروف أن الخط النبطي القديم كانت حروفه منفصلة بعضها عن بعض على ما نراه في رقيمي (مرافا ملك النبط)^(٢) و (مجرس الملك)^(٣) . أما هذا الرقيم وما اليه^(٤) فنجد فيه كثيراً من الحروف متصلة بعضها ببعض ، وهو ما يوضح كيفية تطور هذا القلم حتى تولد منه القلم العربي ، ويظهر لنا هذا التطور اذا وضعنا ازاءه رقيم النارة الذي يعد أقدم نص عربي ، فحروفه في معظم الأحوال متصلة على غرار الرقم النبطية المتأخرة ، وهي تتشابه تشابهاً عظيماً .

ولنتنقل الى دراسة رقيمين آخرين هما رقيم زبد الذي وجد في خربة كنيسة بين قنسرين والقراة بثلاث لغات هي اليونانية والسريانية والعربية ، ويعود تاريخه الى سنة ٥١٢ م ورقيم حران الذي وجد في المنطقة الشمالية من جبل الدروز مكتوباً باليونانية والعربية على حجر فوق كنيسة قديمة ، ويعود تاريخه الى سنة ٥٦٨ م ، ويعتبر أول نص عربي كامل في جميع كلماته وأسلوبه ، ففي دراسة هذين الرقيمين نجد تطوراً عظيماً في أسلوب الخط العربي وسيره أشواطاً هامة في الاستقلال عن مصدره الخط النبطي ، فالحروف في جميع الكلمات متصلة تماماً ، وقد اتخذت اتجاهها مستقلاً خاصاً ، ولم يبق فيها من الشكل النبطي إلا الشيء القليل ، تجده في بعض الحروف فقط وهو الدلالة الباقية على مصدره الأصلي النبطي .

(١) دوستا هذا الرقيم سابقاً وترجمناه وعللنا عليه سابقاً .

(٢) وليفسون ص ١٤٣ .

(٣) وليفسون ص ١٤٤ .

(٤) وليفسون ص ١٤١ و ١٤٢ .

وإذا تقدمنا في الزمن فاستعرضنا رقيم أم الجبال الثاني ، الذي بعد أحدث نص عربي عُثر عليه حتى الآن ، ويعود تاريخه الى منصرم القرن السادس الميلادي ، نجد أماننا كتابة عربية مستقلة تمام الاستقلال ، مع الاحتفاظ بأشباح باهتة من الشكل النبطي ، وهذا آخر تطور للخط العربي بعد اتخاذه صيغته الخاصة .

وأقدم صورة للخط العربي المستقل هو الخط الكوفي الذي كان يسمى أيضاً بخط الجزم^(١) ، وإذا تأملنا هذا الخط نجد فيه الأشباح النبطية لم تزل ماثلة ، ثم انتقل هذا الخط من الحيرة الى مكة ، وقيل وصل من اليمن الى الحيرة والأندلس بواسطة كنده والنبط^(٢) . وهكذا لم يزل الخط العربي يتطور وينمو جانب السهولة والتبسيط حتى وصل الى حاله الحاضرة ، كما أن الخط الآرامي أيضاً تطور تطوراً محسوساً فاشتقت منه عدة أقلام وأشكال مختلفة ذكر بعضها ابن النديم في فهرسته^(٣) .

وأجل أقلام الخط الآرامي المتأخر الاسطرنجيلي ، ويقال له الخط الرهادي أو الثقيل ، وقد استنبطه بولس بن عرقا أو عتقا الرهادي في مطلع القرن الثالث ، وقد تأثر به الخط الكوفي تأثراً عظيماً ، بل قيل إن أصل الخط العربي الكوفي هو الخط الاسطرنجيلي نفسه^(٤) . إلا أننا نعتقد أن الخط الاسطرنجيلي هذا انتقل في القرن الثالث الى اليمن فاحتلّ كتابات آل نجران^(٥) ثم وصل الى الحيرة القريبة من الكوفة ، والظاهر أن الخط الكوفي بعد أن

(١) صبح الاعشى جزء ٣ ص ١٤ واحد رضا ص ١٤ و ٤٣ و ٦٥ .

(٢) اسرائيل وليفسون ص ١٩٨ واحد رضا ص ٣٩ و ٥٧ .

(٣) الفهرست ص ١٨ .

(٤) القلزم المنور ص ٢٦ الطبعة الاولى . حص سنة ١٩٤٣ .

(٥) المكتبة الترقية لسمالي ص ٦٠٣ الجزء ٣ .

أخذ عناصر من الخط النبطي تأثر بالخط الآسطنرجيلي وأخذ أشكاله عنه ، وذلك عن طريق فجران والحيرة . وقد علمنا أن اليمن والحيرة كانتا مركزين للكتابة والثقافة ^(١) وتأثر الخط العربي بهذا الخط الآرامي معقول جداً ، بل إنه صواب ، لأن أشكال الخطين المتقاربة تؤيد ذلك ، وقد دام استعمال الخط الآسطنرجيلي عند السريان الى المئة الرابعة عشرة ، على أنه نشأ من خط سرياني آخر في القرن التاسع ، وهو الخط السرياني الغربي الذي تطور نحو السهولة واحتفظ الآن بالخط الآسطنرجيلي كاملاً لتزيين رؤوس الفصول ^(٢) في الكتب الخطية الهامة ، كما نشأ عن الخط الآسطنرجيلي أيضاً ما يسمى بالخط السرياني الشرقي ، ونشأت أشكال أخرى للخط السرياني مازالت ماثلة في المخطوطات الكثيرة النفيسة التي تملأ خزائن الشرق والغرب .

ولو عدنا مرة أخرى نستعرض هذه النصوص الأثرية الخمسة ، لرأينا أعظم نصر يحققه التعاون الوثيق بين الآرامية والعربية ، فالنص الأول (رقيم أم الجال الأول) هو آرامي الأبيدية واللغة ، شأن عدد كثير من الرقم الأثرية المكتشفة في مواطن الآراميين الأول . ولكنه ينقل النسخة حادثة عربية صرفة . أو بالحري إنه بُني بتخليد علم عربي خالص ، والنص الثاني (رقيم النار) نجد فيه لوناً جديداً من ألوان الحياة ، فانه آرامي عربي بلغة وأبيديته ، أي ان اللغة التي كُتب فيها وردت فيها مفردات آرامية الى جانب المفردات العربية ، وأبيديته مازالت محافظة على لونها الآرامي ، إنما ظهرت فيها بوادر أبيدية فنية جديدة هي طلائع الأبيدية العربية ، والنص الثالث (رقيم زيد) يشبه النص الذي سبقه بامتزاج اللغتين الآرامية والعربية مادةً وحرماً ، إلا أننا نلاحظ زيادة في جنوح الناحية العربية الى التبلور والاستقلال ، أما النص

(١) للبلاذري . فتوح البلدان ص ٤٧٧ وصحح الاصل جز ٣ ص ١٢ و ١٣ و ١٤

(٢) المزل المتور ص ٢٦ و ٢٧ .

الرابع (رقيم حران) فقد زالت منه المفردات الآرامية ، وبقيت فيه صيغتها الحرفية ماثلة ، ومثله النص الخامس (رقيم أم الجبال الثاني) نجد فيه تهور العربية من الآرامية مادة وحرفاً ، ما خلا ما بقي من الدلائل الشكلية التي تعيد الى أذهاننا صور الأبجدية الآرامية بشكل ضئيل ، وهذا لعمرى أعظم دليل على سبر اللغتين الشقيقتين في طريق النمو والاكتمال .

وعند انتشار اللغة العربية في مواطن الآراميين في سورية والعراق ، على أثر الفتوحات العربية ، نشأت طريقة جديدة عند الآراميين المسيحيين ، وهم السريان ، لكتابة العربية ، وهي التي تسمى (الكرشوني ، أو الجرثوني بالجييم المصرية) وهي أن تكتب اللغة العربية بالحروف السريانية ، وذلك منذ منتصف القرن السابع الميلادي . وكأني بالسريان أرادوا بهذه الطريقة إعادة مجد أبجديتهم التي كتبت بها اللغة العربية في عهد كتابتها الأولى . وهذه الطريقة ما زالت مستعملة عند عموم طوائف السريان الى يومنا هذا ، فتجد جميع طقوسهم وكتبهم المقدسة الكنسية المترجمة الى العربية 'تكتب' بالأبجدية السريانية . ولدينا نسخ كثيرة من هذا النوع قديمة وحديثة في جميع كنائسنا السريانية .

أما لماذا سميت هذه الطريقة من الكتابة بـ (الكرشوني) فلم يتصل بنا تعليلها من السلف ، مع أنها قديمة جداً كما علمنا الآن ، والأظهر أنها اتخذت اسمها (الكرشوني) من (قریش) . ونحن نعلم أن القرشيين في مستهل القرن السابع كانوا يؤمنون أمصار الشام وغيرها لغايات تجارية ، ومن المعلوم أن التجار يحتاجون الى سجلات ودفاتر حداية وغيرها في عملهم التجاري ، ولما كانت الأبجدية العربية في مستهل القرن السابع غير شهيرة على الأقل ، بكون من المؤكد أن تجار قریش كانوا يكتبون سجلاتهم بالحرف الآرامي واللغة العربية ، وربما شاعت هذه الطريقة في ربوع الشام قبل غيرها ، ولما كان القرشيون هم الذين روجوها واستعملوها أكثر من غيرهم نسبت اليهم . ولكن كلمة

(كرشوني) لا تحمل طابعاً عربياً في صيغة النسبة بل تحمل طابعاً سريانياً آرامياً صرفاً ، لأن صيغة النسبة باللغة السريانية كثيراً ما تكون بالتون قبل الياء السابقة لألف الإطلاق ، وهكذا وضعت في هذه اللفظة التون قبل الياء السابقة لألف الإطلاق الملقاة ، فتكون لفظة (كرشوني) والحالة هذه منسوبة الى قريش العربية ، وبذلك عادت الأبجدية الآرامية السريانية الى معانقة صديقتها القديمة اللغة العربية ، ولما كان حرف (القاف) يُقلب في اللهجات العربية المحكية الى (ج) كالجيم المصرية (مثل القاف في : قلب ، قبر ، قصر ، ويقال فيها : كلب ، كبر ، كصر) ، قيل في نسبة هذه اللفظة (كرشوني - لا قرشوني) كما كان يجب أن يقال فيها وهذا أوجه تعليل نراه الآن .

ولما كان في الأبجدية السريانية اثنان وعشرون حرفاً فقط ، وهذه ليست كافية لكتابة اللغة العربية التي تحتاج الى ثمانية وعشرين حرفاً ، عمد السريان الى الطريقة التي اعتمدها العرب أولاً عندما استمدوا الأبجدية السريانية الآرامية لفتحهم ، فصوروا كل حرفين متجانسين شكلاً بحرف واحد ، فصوروا التاء والتاء بحرف (التاو) ، والذال والذال بحرف (الدولث) ، والصاد والصاد بحرف (الصودي) ، والطاء والطاء بحرف (الطيث) ، والجيم والغين بحرف (الجومل - بالجيم المصرية) ، والكاف والطاء بحرف (الكوف) ، وميزوا بين هذه الحروف بطريقة الترفيق والتفشية السريانية المعروفة عندهم ، فوضعوا نقطة حمراء فوق الحرف القامي كالذال ، (ونقطة حمراء تحت الحرف اللين كالذال) وهكذا أعادوا الحروف الآرامية السريانية الى سابق عهدها مع اللغة العربية .

(يتبع) (الموصل) غريغور بروس بولس بهنام

بطولات العرب^(١)

يا دامي الجرح ، لا جرح ولا ألم	الجرح بعد اتفاض العرب ملثم
امسح دموعك إن ماجت موائجها	فكل ثغر على الأيام مبتسم
أسا جمع وبطاح الأرض في لجب	كأنما الأرض والأفلاك تصطدم
أتحسب الشمس من أبراجها هبطت	فجئت الشمس والأبراج والنجم
ما صيحة في سواد الليل رابعة	كأنما الليل من أصدائها وجم
الله أكبر هذا الصوت من مضر	دوى فزلزلت الأطلود والأجم
في كل غاب ضجيج من مواكبهم	وكل طود على هاماته شمم
كانهم والأعادي نصب أعينهم	سيل يفيض على أعدائهم عرم
هل العيون خلال الليل في يقظ	أم العيون على أجفانها حلم
كلا وربك ما في العين من حلم	وانما العرب ثارت فيهم الهمم



(١) القصيدة التي ألقاها الأستاذ شفيق جيري عضو المجمع العلمي العربي وعضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في مهرجان الشعر في دمشق في ١٦ مايس ١٩٥٩ .

شتان ما حاضر نزهى بغرته
 أتت ليال وعين العرب ساهية
 على بصائرهم إن أرشدوا حجب
 تكاد تحسبهم في دارهم رمما
 تبجح العجم في أوطانهم زمنا
 فما اللسان لسان العرب إن نطقوا
 أصبح العرب في أوطانهم هملا
 وغابر فاض فيه الدمع والألم
 كأنهم في ذرا ذؤبانهم غنم
 وفي مسامعهم إن خوطبوا صمم
 وهل تثور على أكفانها الرمم
 لله ما اعتسفوا فيه وما اجتزموا
 ولا الثغور تغور العرب إن بسما
 ويزحم اليوم هذا الأفق والرخم

هوّن عليك ، فللايام دولتها
 أما ترى العرب من إغفائهم نهضوا
 كأنما بعثوا التاريخ من أمم
 كانوا العمالق والدنيا تساندهم
 هذا ابن حمدان والآثار ناطقة
 حمى الديار ديار العرب فانطلقت
 سيوفه من دماء الروم قد رويت
 ملّ البطاريق من غاراته وبدا
 اضرب بعينك في آيات شاعره
 تكاد تسمع صوت الروم إن صرخوا
 فما تدوم على حالاتها الازم
 من كل فجّ لهم زحف ومقتحم
 فاليوم مجدهم من عيتنا أمم
 هيات ما يستوي العملاق والقزم
 فما يعقّي على آثاره القدم
 له الأناشيد والأوتار والنغم
 وكاد يشرق منها السيف والقلم
 على البطاريق من أهوالها السأم
 تظل تنطق في آياته الكلم
 وتلمس الخوف إن خافوا وإن وجموا

إِما قَتيل تَواري الأَرْض أَضْلَعَه
لو كان يَعْبُد دون الله من صَنَم
لولا جِهَاد بني حَمْدان في حَلَب
أو سَالم من سِوَف العرب مَنهَزَم
ما كان لي غَير سِيف الدِولَة الصَنَم
ما كان للعرب تَاريخ ولا عَلم

❖ ❖ ❖

تلك البَطُولات كالأَهْرام راسِخَة
انْهَض ورَتَل صَلاح الدِين آيَتِها
جاءوا إِلِيك بِجِيش يَعصَمون بِه
لو كان هَمهم قَبْر المَسيح لَمّا
أَيمَنحون بني صَهيون تَربَتَه
الحَقْد يأكُل أَكلًا من جِوانِبِهِم
عِيسى بن مَريم في الإِسلام حَرمَتَه
ما في شَريعَتَه إَلا السَلام فَهل
أَين السَلام وَقَد هَدّوا قِواعِدَه
مَحوتَهم وبَطون الأَرْض تَكتُمُهم
حَطين قَد غَذيت مَنهم مَنابِئِها
أَين الحِصون وأَين النازلون بِها
وَدَ العِباب الَّذي خاضوا غِوارِبه
لِغِسل العار عَن شِئْء هَزَمَتَهم
فَإين مَاطَمَوا مَنها وما هَدَموا
الأَذن مَصغِيَة وَالعين تَلتَهِم
قَبْر المَسيح فَمّا صانوا ولا عَصَموا
تَهودت مَنهم ذَريَة ظَلَموا
ويزَعَمون التَقى ، هِيات ما زَعَموا
والحَقْد نار عَلى الأَكباد تَضطَرم
في كُل قَلب لَه من أَهلِه حَرم
صَمّوا عَن الشَريع إنكارًا لَه وَعَمّوا
وإنما السَلم في أَفِائِئِنا عَدَم
في كُل رايَة عَظَم لَهم وِدم
فاخضُوضِر الشَيح وَالقيصوم وَالسَلم
لَم يَفْتَهُم عَن جِماح العرب مَعْتَصم
لو كاد يَلعَمُهم من بَعد أن هَزَموا
وَكيف يَغسل هذا العار بَعدَهم

❖ ❖ ❖

يا أمة من تراث الدهر خالدة
ظنوا اجتياحك مأموناً عواقبـه
كم غارة لهم في الشام عاصفة
في كل غور من الأغوار معترك
مضوا وخلوا هشيماً من شبابهم
حلوا بأرضك حيناً ثم مالبتوا
مضت ولم تستبح آثارك الأمم
وما دروا أنهم في ظنهم وهموا
فلم يصبك على غاراتهم هـرم
وكل نجد من الأنجاد مصطدم
نما به العود والغيطان والأكم
أن غادروا الأرض لم تثبت لهم قدم

❖ ❖ ❖

لما رأوك وقد أعيت جحافلهم
كأن أنسالهم من بعدهم حلفوا
فأقحموا في ديار العرب شرذمة
هذي حضارتهم والشرّ يملؤها
يشردون شيوخاً من ديارهم
قوم يموتون من يؤس يشتبهم
خير من العلم جهل تستقرّ به
هل يبعث الله نوحاً في سفينه
كأنما الروض من آثامهم ييست
ولوا وقد أورثوا الغيظ الذي كظموا
أن يعيشوا الحق نيراناً ويتقموا
من آل صهيون لا عهد ولا ذم
ماتت على ضرحها الأخلق والشيم
كأنهم في صحارى تيههم يهـ
وآخرون على أظلالهم نعم
حرية الخلق والأنفاس والنسم
حتى يعم الورى الطوفان والديم
فما ينضرها ورد ولا غـم

❖ ❖ ❖

مهلاً فلا تيأسن اليوم ان عبست
ما ضرّ موكبك الجرار إن طرحوا
فما يعوق ضياء الشمس إن سطعت
تمضي الليالي واسرائيل جاثمة
ذل ومسكنة في كل أعصرهم
أضحوا جراثيم في الأوطان ناخرة
تلك الثعابين إن سالت مزاحفها
فهل تظل سفوح القدس ضائعة
إذا ضحكنا فما في جدهم ضحك



ألهى بني يعرب عن نصر إخوتهم
على الفراتين من آثاره ثلم
كأن دجلة قد ثارت أباطحه
تخاله معرباً عن نار غضبته
بيني وبينك يا بغداد واشججة
أتصرمين حباً لا حاكها نسب
ماذا تقولين للمنصور إن لمحت
كانت قصور بني العباس آمنة
دم يسيل على أطرافها دفعاً
شمل على غمرة الأحداث منفصم
فهل عابهما هل سدّت الثلم
أما ترى هذه الأمواج تلتطم
وللخضمّ لسان معرب وفم
من الأواصر ماتنّفك تلتحم
من العروبة يا ويح الذي صرموا
عيناه في حلمه الملك الذي قسموا
واليوم ألوت بها الأحقاد والنقم
وأربع ملء عين الناس تهديم

فما تنام عيون تحتها وَّسن
 في الليل إن جنحت ظلماؤه ظن
 كأنما الثورة الحمراء ديدنها
 فهل يثوب رجال بعدما جهلوا
 متى أرى حمرة الرايات صائرة
 ولا تين شفاه فوقها لجم
 وفي الصباح على إشراقه تهم
 ملك على ظله الأرواح تخترم
 أم هل يثوب رجال بعد ما علموا
 إلى البياض عليها السلم منتظم

* * *

سيندم العرب إن طال الشقاق بهم
 لم ين ملكاً ولم نلهج بثورته
 إن الدماء التي روت جوانبه
 أيذهب اليوم ما ضحوا به هدرأ
 أخبث بها نزوة أملى وساوسها
 وليس ينفع عض الكف والندم
 ليهدم العرب ما بني ويختصموا
 يكاد منها يشيب الرأس واللمم
 أما لنا من هدى إيماننا حكم
 إيلس حتى يرى منا الذي يصم

* * *

هذا فؤادي وقد هاجت هوائجه
 ليست قوافي ما غنيت سامعها
 فهل أرى العرب أغصاناً يلفهم
 حتى يعيدوا ضحى التاريخ خافقة
 فكان مثل لبيب النار يحتدم
 وإنما عبرات القلب تسجم
 على الديار يان العرب والرحم
 أعلامه فيرف العز والكرم

الزجاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه «الإيضاح»

(٢)

مؤلفات الزجاجي :

ورد في إنباء الرواة ، وبنية الرواة ، وكشف الظنون ، وكتاب يروكن كثير من أسماء الكتب التي ألّفها أبو القاسم الزجاجي في شتى علوم اللغة . ولكن لم يصل إلينا من هذه الكتب إلا القليل ، ولم يُطبع مما وصل منها إلينا إلا كتابان ، وما زال سائرهما ينتظر الجهد والمزينة لينفض عنه الغبار ، وبأخذ مكانه في المكتبات .

وسنتحدث فيما يلي عن هذه الآثار وما يتصف به كل منها ، بادئين بما طبع منها ، ومعقبين بعد ذلك بالخطوط من موجودة ومفقودة .

١ - كتاب «الجلل» : وهو أهم كتب الزجاجي ، وموضوعه النحو ، يتحدثوا عنه أكثر مما تحدثوا عن صاحبه ، وذكروا أنه صنّف بمكة ، وكان إذا فرغ من باب منه طاف به سبع مرّات داعياً أن يعفّر الله له وأن ينفع بكتابه قارئه ^(١) . وكان عدد الذين اتفقوا به وافراً لا يحصى ، وكلهم وصفه بالبركة حتى عمّ قعه بلاد الإسلام ^(٢) .

(١) إنباء الرواة ٢ : ١٦١ ، وكشف الظنون ١ : ٦٠٣ ، وبنية الرواة ٢٩٧

(٢) مرآة الجنان ٢ : ٣٣٢ ، وشذرات الذهب ٢ : ٣٥٧

ويبدو أنه كانت لهذا الكتاب قيمة عالية كبيرة في عصره ، حتى اشتغل به الناس وجعلوا حفظه مهمم . قال الفهرري - وهو أحد شراح الجمل - : « أكثر الناس من استعمال « الجمل » ودراسته ، وألزموا أنفسهم حفظه ودرأيته ، ... وإنه تصنيف قد أنجد وغار وطار في الآفاق كل مطار » ^(١) . و « الجمل » هو الكتاب الفهرري الذي عول عليه الدارسون حتى جاء الفارسي وابن جني فشغلام بكتبهما . قال القفطي : « وهو كتاب المصريين ، وأهل المغرب ، وأهل الحجاز واليمن والشام ، إلى أن اشتغل الناس به « اللحم » لابن جني ، و « الإيضاح » لأبي علي الفارسي » ^(٢) .

ونجمة الكتاب هذه ، هي التي تفسر لنا هجوم العلماء على شرحه ، وازدحامهم على الكتابة عنه . قال صاحب مرآة الجنان : « أخبرني بعض فضلاء المغاربة بأن عندهم لكتاب - أي للجمل - مائة وعشرين شرحاً » ^(٣) . وكذلك نقل ابن العماد في شذرات الذهب ^(٤) . وقد طوت الأيام معظم هذه الشروح ، ودرست أسماؤها ، فلم يبق إلا أقلها .

أما كتاب « الجمل » نفسه فقد ذكروا أنه كتاب جيد لولا طوله بكثرة الأمثلة . ولعل أحد المتقدمين أطلق هذا الحكم ، بالقياس إلى كتب التحويين الأولين ، فتناقل المؤلفون هذا الحكم دون تمحيص ، وهو حكم غير مصيب . فالكتاب جيد ومن تمام الجودة فيه وضوح الأمثلة . وقل أن نجد بين كتب النحو القديمة مثل كتاب الجمل وضوحاً وبياناً . وليس عيباً أن يخرج الزجاجي عما وضعه ميبوه من منهج في التأليف قائم على الإيجاز والاختصار ، والتكثيف ،

(١) مقدمة ونفي الجمل .

(٢) إنباء الرواة ٢ : ١٦١

(٣) مرآة الجنان ٢ : ٣٣٢ .

(٤) شذرات الذهب ٢ : ٣٥٧

والجمل بتوضيح المثال أو إتمامه ، حتى بات « الكتاب » لا يفهم إلا فقهاء العلم والراشخون فيه .

ثم إن كتب النحو لا توضع كلها لطبقة واحدة من الناس . فلئن كانت كتاب سبويه وأمثاله يصلح لشيخ الدين تعمقوا في العلم ، ووقفوا على دقائقه وأسراره ، فإن كتاب الزجاجي وأمثاله لينفع المبتدئين في النحو والمتعلمين الى تعلمه ، وذلك لأنه : « كانت طريقته في النحو متوسطة ، وتصانيفه يقصد بها الإفادة »^(١) . ولقد شهد له بعض العلماء أنهم بتآليفه فتحوا أنظارهم على النحو ، قال ابن السند البطلنوسي : « وإنه - أي الزجاجي - من أئمة هذه الصناعة ، فإننا بكتابيه قد افتحنا النظر في هذا العلم ، وهو الذي رشح بصائرنا لما نمتناه من الفهم . »^(٢)

ويجدر بنا - ونحن بصدد الحديث عن صعوبة النحو ، وضرورة تبسيطه - أن نعود إلى مثل كتاب الجمل ، لنرى النحو فيه واضح البارة ، قريب المتناول ، سخياً بالأمثلة ، بعيداً عن التعقيد . وتظهر رغبة الزجاجي في توضيح النحو وتقريبه حين يهجر بعض المصطلحات أو يفسرها ليكون كلامه أقرب الى الفهم ، ويصرح بذلك فيقول : « وليس هذا من ألفاظ البصريين ، ولكنه تقريب على المبتدئ »^(٣) . وكذلك ينقل أفكار الكوفيين بغير عباراتهم ، لأن ألفاظهم لا يفهمها إلا من تعود النظر في كتبهم »^(٤) . بل هو يشرح كتاب « الزاهر » ويختصره « لأنه كتاب مقصود به المبتدئون للنظر في علم اللغة . »^(٥)

(١) إنباء الرواة ١ : ١٦٠

(٢) اصلاح الخلل : الورقة ١

(٣) الجمل : ٩٠

(٤) الايضاح

(٥) مختصر الزاهر : الورقة ١

والزجاجي - على عادة القدماء - 'يلحق بالنحو في كتاب الجمل بعض ما يتصل بالإملاء كبابي الهجاء ، وهما بحثان منفصلان في رسم الحروف ، وباب أحكام الهزة في الخط ، وهو بحث في قواعد الهزة الإملائية وما دار حولها من خلاف بين البصريين والكوفيين ، الذين امتدّ اختلافهم في النحو حتى شمل قواعد الخط فكان لكل منهم رأي فيه ! وتعرض في كتابه أيضاً للضرورات الشعرية فخصها باب عنوانه « ما يجوز للشاعر أن يستعمله في ضرورة الشعر » ؛ ولكنه كان بحثاً موجزاً خالياً من الشواهد والأمثلة على خلاف العادة .

وضمن الكتاب أيضاً بعض البحوث الصوتية كباب الإمالة وباب الإدغام وما يتصل بخصائص الحروف من مهموسة ومجهرورة .

ومن كتاب الجمل نسخ خطية كثيرة منتشرة في أكثر مكاتب أوروبا^(١) . ومن نافلة القول أن نتحدث عن نسخة الخطية بعد أن 'طبع'^(٢) . وكان طبعه سنة ١٩٢٦ بنفقة كلية الآداب في الجزائر وجعته الشيخ الأستاذ الشيخ ابن أبي شنب . وجاء في هذه النسخة المطبوعة أن المستشرق الألماني « يوحنا ثولف » طبع في لينغ سنة ١٩٠٤ مقالة خص فيها كتاب الجمل ، وترجم إلى اللغة الألمانية الأربعة والستين شاهداً الأولى^(٣) .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢ : ١٨٣

(٢) من الواجب أن أشير هنا إلى وجود نسخة غير معروفة من كتاب الجمل ، فلكل منفتح بها أحد المقتنين بالعربية أو للطابعين إلى إعادة طبع « الجمل » بعد أن فقدت نسخة من أشهر المكتبات العامة وهذه النسخة في دار الكتب بالقاهرة مجلدة مع مخطوطات أخرى ، ورقها / ٤٨٦ مجاميع / وهي لا تحمل اسم الجمل ، ولكنها تحمل اسم الزجاجي ، وقد قيت لي لدى قراءتها ومصادفتها بالنسخة المعروفة لجمل ذات الرقم / ٦٧ من / أنها نسخة أخرى كاملة من الكتاب نفسه . وقد كتبت في حلب سنة ٨٩٥ هـ . وهي تبدأ من الورقة ٩٦ وتنتهي في الورقة ١٧٠ .

(٣) الجمل : ٣٨٣

وأما الكتب التي ألّفت حول الجمل فكثيرة جداً ، منها الشروح ، ومنها شروح الشواهد ، ومنها في التعقيب عليه أو التعليق . . . وقد رأينا أن شروحه بلغت في المغرب وحده مئة وعشرين شرحاً . ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن الجمل نستختان : كبرى وصغرى ، وأن أكثر هذه الشروح كانت للكبرى . ومن شروح الصغرى شرح ابن بابشاذ الذي شرح الجمل وألّف كتاباً في الزيادة التي بين الصغرى والكبرى ^(١) . على أن هذه الشروح جميعاً لم يُطبع منها شيء ، فيما أعلم ، وقد ضاع أكثرها ، ولم أستطع أن أصرف منها أكثر من ثمانية وثلاثين كتاباً أقصر على ذكر أهمها فيما يلي :

أ - شرح الجمل لأبي القاسم الحسين بن الوليد ، المعروف بابن العريف والمتوفى بطليطلة سنة ٣٩٠ ^(٢) .

ب - عَوْنُ الْجُمْل ، وهو شرح لشواهد الجمل ألّفه أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري المتوفى سنة ٤٤٩ لأبي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم . وهو آخر كتاب أملاء أبو العلاء ^(٣) . وللمعري كتابان آخران يتصلان بجمل الزجاجي ، كما ذكر باقوت ^(٤) ، وهما « تعليق الجلبس » ^(٥) و « إصناف الصديق » .

ج - شرح آيات الجمل لابن سيده ، علي بن اسماعيل المتوفى سنة ٤٥٨ ^(٦) .
د - شرح الجمل لأبي الحجاج ، يوسف بن سليمان ، المعروف بالأعلم الشنكري ، المتوفى سنة ٤٧٦ . وله أيضاً شرح آيات الجمل .

(١) مقدمة الجمل .

(٢) منه نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة . رقها / ٤٦٤ غور / وعدد أوراقها ١٥٥ ورقة .

(٣) معجم الأدباء ٣ : ١٦٠ .

(٤) المصدر السابق ٣ : ١٥٧ و ١٥٨ .

(٥) جاء في إنباء الرواة أنه « تعليق المجلس » ١ : ٦٤ .

(٦) منه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة . رقها ١٤٩٣ .

هـ - إصلاح الخلل الواقع في الجمل^(١) ، لأبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ . قال عنه صاحب كشف الظنون « إنه أحسن شروح الجمل »^(٢) .

و - الخلل في شرح أبيات الجمل^(٣) ، للبطليني أيضاً ، وهو يشرح فيه معاني الأبيات ويهزوها الى قائلها . وجدير بي أن أبه علي سهو القفطي حين عدّ الكتابين السابقين كتاباً واحداً^(٤) .

ز - شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد ، المعروف بابن خروف الأندلسي ، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ^(٥) .

ح - شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد بن منصور الاشبيلي ، المتوفى سنة ٦٦٩ هـ^(٦) .

ط - شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الاشبيلي ، المعروف بابن الضائع ، المتوفى سنة ٦٨٠ هـ^(٧) . وذكر السيوطي أن

(١) منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة ، رقها ١١١٠ نحو . وعدد أوراقها ٧٦ ورقة مكتوبة بخط مغربي . وذكر محقق الجمل أن منه نسخة أخرى في مكتبة ليدن

(٢) كشف الظنون ١ : ٦٠٣

(٣) منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة ، مجلدة مع كتاب البطليني السابق / رقم ١١١٠ نحو / بتدوين من الورقة ٧٧ وتنتهي في الورقة ١٥٠ . ومنه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة رقها ١٤٩٤ . وقال ثشر الجمل ان منه نسخة في مكتبة برلين .

(٤) إنباء الرواة ٢ : ١٦٠

(٥) ذكره السيوطي في الأشباه والنظائر ٢ : ٣٠ . وأشار إليه بروكمن . وقال ثشر الجمل إن منه نسخة في مكتبة برلين .

(٦) قال السيوطي كثيراً منه في الأشباه والنظائر ١ : ٢٠ و ١٠٧ و ١٤٣ و ١٤٩ و ٢١٤ و ٢٩٨ و ٣٣٨ . ج ٢ : ٧٤ و ٨٠ و ٩٨ . ومنه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة رقها ١٤٩٢ . وقال ثشر الجمل إن منه نسخة في ليدن وأخرى في انبروزبلا .

(٧) قيل إنه في ثلاثة أجزاء . ورأيت منه جزأين في دار الكتب بالقاهرة . كتابا سنة ٧٣٥ الأول في ٩٨ ورقة والثاني في ٩٧ ورقة .

أبا الحسن هذا ردّ اعتراضات البطلبوسي على الزجاجي .

ي- شرح الجمل لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الخوري ، المتوفى سنة ٧٦٢ .

وقد نقل السيوطي كثيراً من جمل الزجاجي ، وأقوال شارحيه في كتبه ولا سيما الأشباه والنظائر والاقتراح .

٢- كتاب الأمالي :

طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٣٢٤ هـ ، وحققه الأستاذ أحمد بن الأمين الشنقيطي ، إلا أنه لم يكف نفسه عناء التعريف بالكتاب أو بصاحبه ، بل اكتفى بأن ذكر موجزاً لما قاله ابن خلكان عن الزجاجي .

وقد جاء ذكر الأمالي في كل الكتب التي تحدثت عن الزجاجي أو آثاره ، كما جاءت تقول عنه في الأشباه والنظائر^(١) وفي خزانة الأدب^(٢) . إلا أننا بمراجعة هذه الأقوال ومعارضتها بالنسخة المطبوعة نقبين أن للأمالي أكثر من نسخة واحدة ، فقد نقل البغدادي في خزانة الأدب عما أسماه بالأمالي الوسطى ، ونحن لا نجد ما نقله في « الأمالي » التي بين أيدينا . وكذلك نقل السيوطي في الأشباه والنظائر كثيراً من أخبار الأمالي ، لا نجد في النسخة المطبوعة إلا بعضه فقط ، كمنظرة أبي حاتم السجستاني والتويزي^(٣) ، ومنظرة ابن الأعرابي والأصمعي^(٤) . وقد يكون السبب في ذلك ، أن السيوطي كان يتقلد عن نسخ الأمالي المختلفة دون أن يشير إلى ذلك . فما كان منقولاً عن الأمالي الصغرى وجدناه في هذه المطبوعة وما كان عن غيرها لم نجده فيها . وهكذا

(١) خطبة الكتاب . ج ٢ : ٢ و ج ٣ : ٢٢ و ٢٣

(٢) ج ٢ : ١٠٩

(٣) الأمالي : ٧٦ والأشباه والنظائر : ٢٢

(٤) الأمالي : ٣٩ والأشباه والنظائر : ٢٣

فما دنا لم نجد في نسختنا ما نقله البغدادي عن الوسطى ، ولا كثيراً مما نقله
السيوطي ، فالأرجح أن تكون النسخة الموجودة هي الأماي الصغرى . وقد
أشار يروكن الى وجود الوسطى والصغرى ، ولم أعثر على غير النسخة المطبوعة
التي رجعت أنها الصغرى ، فلذلك سأقصر حديثي عليها وحدها .

كتاب الأماي عبارة عن مجموعة أخبار وقصص متتالية متنوعة ، لا نظام لها ،
ولا رابطة بينها . ينتقل القارئ فيها من تفسير آية من سورة الكهف مثلاً ،
وما قيل فيها من أقوال ، إلى خبر وقع بين معاوية بن أبي سفيان وعامله رَوْح
ابن زُبَاع^(١) ، ومن شعر لابن أبي ربيعة وجميل بثينة الى رثاء قيل في أحمد
ابن أبي دُوَاد^(٢) .

ولست أدري ، لعل ذلك يعود إلى أن الشيخ كان يلمي دروسه على طلابه ،
فإذا ما انتهى الخبر انتهى معه الدرس ، ثم يأتي الدرس الجديد فيأتي معه الخبر
الجديد على نحو ما كان يدور في الدروس القديمة التي تعرف بالمجالس .
على أن هذا التباين في الأخبار لا يعني أن الكتاب أشتات جمعت ، فقد
تكون الناحية اللغوية هي التي تنظم كل ما ورد في الكتاب من أخبار وحكايات
وأشعار . وعناية الزجاجي باللغة تظهر في هذه الأماي أكثر من أي ناحية
أخرى ، حتى كأنها هي وحدها الغرض من إملائه ؛ إنه يورد الخبر أحياناً
ولا شيء فيه غير اللغة . قال : « أخبرنا أبو عبد الله نسطوبه ، عن أحمد بن
يحيى ، عن ابن الأعرابي ، قال : الصبر مصدر صبرت . والصبر لغة في الصبر
هذا المر . والصبر الحبس ، يقال صبرت فلاناً على كذا وكذا أي حبسته عليه .
وفي الحديث أن رجلاً أمسك رجلاً فقتله آخر ، فقال : اقتلوا القاتل واصبروا
الصابر أي احبسوه . والصبر الاجترار على الشيء ، ومنه قول الله عز وجل :

(١) الأماي : ٦

(٢) الأماي : ٥٥ و ٥٦

«فما أصبرم على النار» أي ما أجراًم عليها . وقال المبرد تأويله ما دعاهم إلى الصبر عليها (١) . وأنشد ابن الأعرابي :

سقيناهم كأماء مقونا بمثلها ولكننا كنا على الموت أصبرا
أي كنا أجراً منهم على الموت فاقبحناه (٢) . ومثل هذا كثير جداً في الأمالي .

وقد تعرض لبعض المسائل التحوية فيورد أقوال النحاة فيها ثم يذكر رأيه ويطله كما فعل حين أورد في بعض الأخبار قصيدة الأحوص التي يقول فيها :

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

فقال : «وأما قوله سلام الله يا مطر عليها فإنه منادى مفرد ونونه ضرورة . فأما الخليل وسيبويه والمازني فينتارون أن ينوتوه صرفوعاً ويقولون : لما اضطررنا إلى تنويته نوتناه على لفظه . وإلى هذا كان يذهب الفراء ويختاره . وأما أبو عمرو ابن العلاء ويونس بن حبيب وعيسى بن عمر وأبو عمر صالح بن اسحاق الجرمي فينشدونه سلام الله يا مطراً عليها بالنصب والتنوين ، ويقولون : رُد التنوين إلى أصله ، وأصله النصب ، وهو مثل اسم لا ينصرف ، فإذا اضطر الشاعر إلى تنويته فوته وصرفه وردّه إلى أصله . قال الشاعر :

ما إن رأيت ولا أرى في مدتي كجواربي يلهين بالصحراء
ألا ترى كيف نوته وخفضه ؟

قال أبو القاسم الزجاجي رحمه الله : القول عندي قول الخليل وأصحابه ، وتلخيص ذلك أن الاسم المنادى المفرد العلم مبني على النصب لما راعته عند الخليل وأبي عمرو وأصحابها للأصوات ، وعند غيرهما لوقوعه موقع المضر ، فإذا لحقه التنوين في

(١) قال الفراء في هذه الآية وجهان : أحدهما ما الذي صبرم على النار ؟ والوجه الآخر : ما أجراًم على النار . « صاني القرآن » ١ : ١٠٣
(٢) الأمالي : ٨

ضرورة الشعر فالعلة التي من أجلها بني قائمة بعد ، فينون على لفظه ، لا تأخذ رأينا من المبنيات ما هو منون نحو « ايه وغاق » وما أشبه ذلك ، وليس بمنزلة ما لا ينصرف أصله الصرف . وكثير من العرب لا يجتمع من صرف شيء في ضرورة شعر ولا غيره إلا « أقعل منك » وعلى هذه اللغة قرئ قواريراً قواريراً من فضة بنتوينها جميعاً ، فإذا نون فإنما يرد إلى أصله ، والمفرد المنادى العلم لم ينطق به منوناً منصوباً في غير ضرورة شعر وهذا بين واضح .^(١)

أما طريقة الزجاجي في هذا الكتاب فهي طريقة من يعنى بالأصانيد عناية جيدة حتى يكاد لا يخلو من السند خبر من أخبار الكتاب ، كأن يقول : « قال أبو القاسم أخبرنا أبو اسحاق الزجاج قال أخبرنا أبو العباس المبرد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال . . . » وهذا أسلوب من اعتقد أن اللغة لا يمتد فيها بالرأي وإنما هي بنت النقل والرواية وللأسناد فيها المكان الأول ، ولما كان الزجاجي في أماليه لغوياً فقد اتبع منهج اللغويين ، أما في غير هذا الكتاب فقد يكون للزجاجي موقف آخر كما هو في الإيضاح ، حيث يحدثك عن مشاكل النحو وعلاها مستغنياً عن السند ، وما ينفعك السند ما دام يحدثك بعقل لك القول حتى ينفعك قوله أكثر مما ينفعك اسم صاحب الخبر وناقله وسلسلة سنده .

وبكتاب الأمالي فختتم الحديث عن آثار الزجاجي المطبوعة لننتقل إلى الحديث عن آثاره المخطوطة من موجودة ومفقودة .

٣ - الإيضاح في عل النحو :

وهو الكتاب الذي سنعرض مادته ونخصه بالحديث بمد قليل .

٤ - شرح مقدمة أدب الكاتب^(١) :

وهو كتاب شرح الزجاجة فيه خطبة ابن قتيبة في كتابه المعروف بأدب الكاتب . وقد جاء في مقدمة هذا الشرح : « هذا كتاب فيه تفسير رسالة ابن قتيبة في أدب الكتاب ، تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجة » . وما قاله الزجاجة في المقدمة : « وقد رأيت أن أشرح رسالة الكتاب الموسوم بأدب الكتاب لابن قتيبة ، لأنه ذكر فيها مجللاً من الآداب هريسة ، وأعرض عن شرحها صفحاً يسوغ المقال فيها وينسج الكلام . ففسرت ما تضمنته من اللغة باشتقاقه وتصاريفه ، ومن النحو بعلمه ومقاييسه ، وأوضحت ما أومأ إليه ، ذكر ، حاجة الكتاب إليه من معرفة المصادر والأبنية ، واقلاب الياه عن الراو ، والراو عن الياه ، والألف عنهما ، ومجللاً من التصريف نافعة لمن نظر فيها وتأملها بعين تدبر واستبصار . وفسرت أخبار الرسول ﷺ التي ذكرها ولم يفسرها ووصلت بها ما جانسها . وذكرت معاني الكلام الذي حكاها عن المنطقيين والمهندسين ، ومجللاً من المساحة تكفي من نظرها عما سواها . وجمعت جميع ذلك موجزاً غاية الإيجاز ، ليقول حشوه ، وتكثر فائدته . ولم أخل كل فصل فيه من تضمنه خبراً طريفاً يشاكله ، وأياتاً تاديه ، وبنت معنى ، ليكون هذا الكتاب - باحتوائه على ما ذكرته للمنطلع إلى المعرفة بهذه الأشياء - أحضر فائدة ، وأمرع نفعاً من الكتاب المقصود بالرسالة . وبالله التوفيق »^(٢) . (انظر صورة الأصل) . وبأخذ الزجاجة بعد ذلك بشرح كلام ابن قتيبة .

(١) ورد ذكر هذا الكتاب في : إنباء الرواة (٢ : ١٦٠) وبغية التوعية (٢٩٧) وإشارة التبيين (ورقة ٢٦) وكشف الظنون (١ : ٨ :) ولهمزة ابن خير (٣٤٤) وروكمن (١ : ١٧١) . ومن هذا الكتاب نسخة خطية في دار الكتب بالناصرة ، ورقها / ٣٩ ش أدب / وهي في ٧٠ ورقة ، كتبت سنة ٥٨٦ هـ بخط عادي ، وعليها شهادة بأنها مودعت بنسخة أخرى عليها خط ابن الحنابلة النحوي . وهي نسخة كاملة . صورها معهد القطرطات تحت الرقم ٣٧٧ . ومنه نسخة أخرى في اسطنبول ، صورها المعهد أيضاً . (٢) شرح مقدمة أدب الكاتب . نسخة دار الكتب رقم ٣٩ ش أدب ، الورقة ٢

• مختصر الزاهر :

« الزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس » كتاب لأبي بكر محمد ابن أبي محمد القاسم الأنباري النحوي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ وهو مجلد شرحه واختصره الشيخ الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي^(١) « ويحدثنا الزجاجي عن هذا المختصر فيقول : « هذا كتاب جمعت فيه جمل الألفاظ التي ذكرها أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في كتابه الموسوم بالزاهر ، فشرحتها مختصرة موجزة ، وحذفت منها الشواهد وما يتعلق بها من كلامه المطول . وقد كان المفضل^(٢) ، صاحب الفراء ، أنشأ كتاباً في هذا المعنى سماه الفاخر^(٣) ، جمع فيه قطعة من اشتقاق ما يكثر ترداده في المحاورات والمخاطبات ، فعد أبو بكر محمد بن القاسم لذلك الكتاب ، فنقله نقلاً ، ودلّ صعبه وبسطه ، وكثره بالشواهد ، ولبس للكتاب ترصيف ولا نظم مستخرج يتعب فيه المؤلف ، وإنما هي حروف بأعيانها ، منقولة من كتب المتقدمين ، معروفة منها ، فها ومن تكلم في هذه الحروف غيرهما سواء . إلا أنني قد برت الكتاب الزاهر ، فوجدت فيه من السهو والغلط شيئاً كثيراً ، قرأت مع اختصاره وتهذيب ألفاظه

(١) كشف الظنون ٢ : ٩٤٧ . وورد ذكر الزاهر في الزهر (١ : ٨٧)
وفهرسة ابن خير (٣٤١) وبيروكان (١٧١ : ١) وقاويغ آداب اللغة
للدرية (زيدان) (١٨٣ : ٢) .

ومن مختصر الزاهر قزجاجي نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة ، رقها / ٥٥٧
لغة عربية / كتبت سنة ١٢٠ هـ بخط منري أندلسي . وعدد أوراقها ١٧٩
ورقة ، متوسطة الحجم .

(٢) لعل الصواب هو « المفضل بن سلمة بن عامر » ثم سقط ما بعد المفضل ،
وذلك لأن سلمة بن عامر هو صاحب الفراء لا ابنه المفضل .

(٣) الفاخر كتاب لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عامر الكوفي ، ألقبه بيا دار
واشتهر بين الناس وسار كالأمثال . وقد طبعه المستشرق الانكليزي شارلس
انبروس ستوري (C. A. Story) في لندن سنة ١٩١٥ م .

إصلاح ما فيه من الغلط ، وكشفه وشرحه ، لأنه كتاب مقصود به المبتدئون للنظر في علم اللغة ، فحق تعلق المبتدىء بشيء من هذا الكتاب وحرص عليه اعتقده ، ورأى أنه الحق دون سواء . فبينت للناظر فيه حقيقة الأشياء ليعرفها . ورأيت أنه قد حكي في مواضع كثيرة للفظ الواحد وجوهاً ، وللمسألة أجوبة ، فكثيراً لذلك ، وإنما يرجع جميعه إلى أصل واحد وإن تباينت ألفاظ العلماء فيه ، فنبهت على ذلك ، وأريت كيف رجوعه إلى أصل واحد . ووجدت فيه أيضاً مواضع قد ذكرها من النحو وعلمه ومن التصاريق على مذهب الكوفيين ، فذكرتها على مذهب البصريين ، ودلت على صحة مزاعمهم دون مذهب الكوفيين ، ووجدته قد ذكر في بعض الفصول شيئاً يسيراً من اشتقاق أسماء البلدان ، وترك عامة ما يحتاج إليه منها ، فأضفت إليه باباً ذكرت فيه جمهور اشتقاق أسماء البلدان ، وأسباب تسميتها . ووجدت فيه أيضاً مواضع قد ترك فيها للمسألة وجوهاً متباينة لفظاً ومعنى قد ذكرها العلماء مشهورة ، وزيادات في الباب من اللغة لم يأت بها ، فذكرت ذلك أجمع ، ليكون الناظر في هذا الكتاب مع إحاطة علمه بما تضمنه الزاهر ، عارفاً بمواقع السهو فيه ، وبهذه الأشياء التي ذكرتها ، مع اختصار هذا الكتاب ، وإنه دون الثلث من مقدار جملة الزاهر .

وقد وقع في شيء يسير من هذا الكتاب تقديم وتأخير ، على ما اتفق من اختصار ، إلا أنا قد أثبتنا عليه أجمع .^(١)

ولم يترك لنا أبو القاسم ما تزيده على وصف مختصره القيم ، إلا أن السيوطي نقل لنا كلمة تبين قيمته إذ قال : قال أبو حسن الشاري في فهرسته : كانت شيخنا أبو ذر يقول : المختصرات التي فضلت على الأسماء أربعة ؛ مختصر العين

(١) مختصر الزاهر ، نسخة دار الكتب بالقاهرة رقم ٥٥٧ . لغة . الورقة ١ .

للزبيدي^(١) ، ومختصر الزاهر للزجاجي ، ومختصر ميرة ابن اسحاق لابن هشام ، ومختصر الراشحة للفضل بن سلمة^(٢) . « فتأيدت بهذا القول شهادة الزجاجي بنفسه حين جعل مختصره فوق الأصل .

٦ — كتاب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل .

جاء في إشارة التبيين أن اسم هذا الكتاب هو « شرح أسماء الله الحسنى » وأكثر الذين يتحدثوا عن الزجاجي لم يشيرُوا إلى هذا الكتاب ، وقد عدَّ صاحب كشف الظنون واحداً وثلاثين عالماً عن ألف تحت هذا العنوان ولم يشر إلى الزجاجي بينهم بل لم يذكر بينهم من مات قبل سنة ٣٨٨ ، وعلى هذا فإن الزجاجي قبلهم جميعاً في السبق إلى هذا النوع من التأليف^(٣) . ويعرّف الزجاجي بكتابه هذا فيقول في خطبته^(٤) : « هذا كتاب أفردته لشرح اشتقاق أسماء الله عز وجل وصفاته المذكورة في الأثر أن من أحصاها دخل الجنة حسب ما رواها أهل العلم واستنبطوها بعد الرواية بشواهد من كتاب الله عز وجل فاستخرجوها منه لئلا يعارض فيها شك ، ولا يختلج في الصدور زيغ

(١) كتاب العين المشهور والذي ينسب لخليل ، اختصره اختصاراً حسناً أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي صاحب طبقات القنريين والنعمانيين ، المتوفى سنة ٣٧٩ هـ .
(٢) الواضحة في تجريد الفائقة ، نصيدة دائية في اثنين وعشرين بيتاً لشيخ برهان الدين بن ابراهيم الجعفي المتوفى سنة ٧٣٢ . وقد اختصرها فضل بن سلمة .
(٣) يجب أن نشير إلى أن ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ قال في مقدمة كتابه « تفسير غريب القرآن » : « فتتبع كتابنا هذا بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته التي فنسب بتأويلها واشتقاقها ... » وبذلك يكون سابقاً لغيره ولكنه لم يفرّد ذلك بالتأليف كما فعل الزجاجي .

(٤) من هذا الكتاب نسخة في دار الكتب المصرية رقماً ٣/٣١٢ وهي في ١٤٩ ورقة وصورتها في معهد المخطوطات (بلم / ٣١٢) وهي من رواية أحمد بن محمد بن سلمة النسائي عن أستاذه الزجاجي . وصحها منه علي بن الحسين الرعي .

في التصديق بها ، على مذاهب (أهل) العربية العلماء باللغة ، العارفين بأساليب كلام العرب واشتقاقه وتصاريفه ، غير عادل عن مذهب العرب في ذلك خاصة . وأختم الكتاب بالفرق بين الاسم والنعت ، ووجوه النعت في كلام العرب ، ومجاري صفات الله عز وجل وموقعها من ذلك ، وذكر من قال بالاشتقاق ومن أبى ذلك والرد عليه وبالله التوفيق » (انظر صورة الأصل) .

٧ - كتاب الابدال والمعاينة والنظائر :

وهو كتاب يبحث في تبادل الحروف بعضها مع بعض ونماذجها وتناظرها ^(١) .

٨ - كتاب اللامات :

ذكره كثير من ترجموا للزجاجي كالسيوطي ^(٢) ويروكلمان ^(٣) وغيرهما ، وهو كتاب جيد يبحث في اللامات ومواقعها في كلام العرب . قال الزجاجي في خطبته : « هذا كتاب مختصر في ذكر اللامات ومواقعها في كلام العرب وكتاب الله عز وجل ومعانيها وتصريفها والاحتجاج لكل موقع من مواقعها ، وما بين العلماء في بعضها من اختلاف . وبالله التوفيق ^(٤) . » (انظر صورة الأصل) .

٩ - شرح كتاب الألف واللام للمازني :

ذكر السيوطي ^(٥) هذا الكتاب في جملة كتب الزجاجي وأشار إليه صاحب عيون التواريخ ^(٦) كما أشار إليه صاحب كشف الظنون حين يتحدث عن كتاب

(١) منه نسخة في اسطنبول مصورة ضمن مجموع في جامعة القاهرة / ٢٢٩٦٧ وفي

معد الخطوط (فيلم ٣٥٦ / ٢ غر) .

(٢) بنية الرعاة : ٢٩٧ والأشباه والنظائر ٢ : ٢٢٨

(٣) G. A. L . القيل ١ : ١٧١

(٤) من « اللامات » نسخة في اسطنبول وصورتها في معد الخطوط (فيلم / ٧٩٢)

ونحن الآن بصدد تحقيقه لنشره قريباً ان شاء الله .

(٥) عيون التواريخ . الخطوط . ورقة : ٣١٧

الألف واللام للمازني^(١) . ولم أقم على نسخة منه ولا وجدت أحدا وصفه أو تحدث عنه .

١٠ - المخترع في القوافي :

ذكره السيوطي وقال انه وقف عليه^(٢) وذكره صاحب « عيون التواريخ » و « كشف الظنون »^(٣) . وأما ابن النديم فلم يذكر للزجاجي سواء ولكنه اقتصر من عنوانه على « القوافي » فقط فقال « وله - للزجاجي - من الكتب كتاب القوافي »^(٤) وعدمهما محقق الجمل كتابين ثم استدرك فقال عند ذكره كتاب القوافي : « ولعله هو المخترع »^(٥) وهذا هو الأرجح لأنه ما من أحد جمع بين ذكر الكتابين .

١١ - كتاب الهجاء :

لم يشر أحد إلى هذا الكتاب بين مؤلفات الزجاجي سوى بروكلمان . إلا أن الزجاجي نفسه أشار إليه في كتاب الجمل ، فقال في باب الأفعال المهموزة : « وقد ذكرت علمتها في كتاب الهجاء » . ونقل ذلك عنه فاشر الجمل ولم يزد عليه شيئا .

١٢ - كتاب المجموع في معرفة أنواع الشعر وقوافيه :

جاء اسم هذا الكتاب منسوبا إلى الزجاجي في فهرسة ابن خير^(٦) . ونقله عنه محمد بن أبي شنب محقق الجمل . ولم يذكره أحد سواهما .

(يتبع)

مآثره المبارك

موسم

(١) كشف الظنون ٢ : ١٣٩٦ .

(٢) بنية الوعاة : ٢٩٧ والأصباة والنظائر ٤ : ٢٢٨ .

(٣) كشف الظنون ٢ : ١٦٢٥ .

(٤) اللهرست : ١١٨ .

(٥) مقدمة الجمل .

(٦) فهرسة ابن خير : ٣١٤ .

كتاب شرح الالفات

لداي بي بكر محمد به القاسم به بشار الانباري النعمري

- ٢ -

فان سأل سائل ، عن الف الوصل ، فقال همزة هي أم ألف ، قيل له ، قال قطرب^(١) ، هي همزة ، كثر الكلام بها فتركت [الورقة ال ١١ / ب] لأن الألف ، لا تحمل الحركة ، وهي ، في قال ، وباع ، وعماد ، وحمار ، ألف لا [يشك] فيها ، فلو كانت في ، اضرب ، الفاء ، ما تحركت ، ورد أبو العباس^(٢) ، أحمد بن يحيى ، هذا القول ، عليه وقال ، لو كانت همزة ، لثبت في الابتداء ، والوصل ، كما ثبتت ، همزة امر ، وإصر ، وأذن ، في كل حال . وقال الفراء^(٣) ، وصيبويه^(٤) ، ومن أخذ بقولهما ، هي ألف ، إذا كانت

(١) هو محمد بن المستنير ، المتوفى سنة ٢٠٦ / ٨٢١ م ، له ترجمة في الفهرست (ص : ٧٨) ، والوفيات (رقم ٦٤٦) وبنية الوعاة (ص : ١٠٤) وقاريخ الى الفداء (ج ٢ ص ٢٨)

(٢) هو ثعلب من مشاهير نحوي الكوفة ، ولد سنة ٢٠٠ / ٨١٥ م ، وتوفي سنة ٢٩١ / ٩٠٣ م ، روى عنه ابن الانباري . له ترجمة في الفهرست (ص : ١١٠) والوفيات (رقم ٤٢) ومصباح الادباء (ج ٢ ، ص ١٣٣) وغاية النهاية (ج ١ ، ص ١٤٨) رقم ٦٩٢) وبنية الوعاة (ص : ١٧٢) وقاريخ الى الفداء (ج ٢ / ٦٠)

(٣) هو أبو زكريا ، يحيى بن زياد ، كان ابرع الكوفيين وأطهر ، توفي سنة ٢٠٧ / ٨٢٢ م ، له ترجمة في الفهرست (ص : ٩٨) والوفيات (رقم ٨٠٨) ومصباح الادباء (ج ٢٠ . ص ٩) وبنية الوعاة (ص ٤١١) وقاريخ الى الفداء (ج ٢ ص ٢٨) وغاية النهاية (ج ٢ ص ٢٧١ رقم ٣٨٤٢) .

(٤) هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، صاحب الكتاب ، توفي سنة ١٧٧ / ٧٩٣ م (مع اختلاف) وله نيف واربعون سنة ، راجع الفهرست (ص : ٧٦) والوفيات (٥١٥) ومصباح الادباء (ج ٦ ص ٨٠) والبنية (ص ٣٦٦) وغاية النهاية (ج ١ ص ٦٠٢ رقم ٢٤٥٩)

صورتها ، صورتها ، وإذا دخلت الألف ، في اضرب ، واصنع ، وما أشبهها ،
من أجل أن الضاد والصاد ساكتان ^(١) ، لا يمكن الابتداء بها ، فدخلت الألف ،
ليقع الابتداء بها ، والاعتماد عليها .

وقال البصريون ، كسرت الألف ، في اضرب ، لسكونها ، وسكون ^(١)
الضاد ، وكذلك كل الفـ للوصل ، نبتداً مكسورة ، علة كسرها ،
أنها ساكنة في الوصل ، لقيها حرف ساكن ، وضمت عندهم ، في أعبد ،
وأشكر ، لأن عين الفعل مضمومة ، فلما احتيج إلى حركة الألف ، للساكن
الذي لقيها ، ضموا ما بضمها ، وتنكبوا الكسرة ، كراهية الانتقال
من كسر إلى ضم .

والف الاستفهام ، تعرف بمجيء أم بعدها ، أو يحسن هل في موضعها ،
وهي مفتوحة أبداً ، كقوله تعالى ، أقترى على ^(٢) الله كذبا ، ألف أقترى ،
ألف استفهام ، لقوله ، أم به جنّة ، فأتيان أم ، بعدها ، يدل على أنها
ألف استفهام .

وكذلك ، استغفرت [الورقة الـ ٥ / ظ] لم أم لم تستغفر ^(٣) لم ،
أطلع ^(٤) الغيب ، ألتخذ ، أصطفى البنات على ^(٥) البنين ، (لانه بعد ^(٦)) ،

(١) في البارة نوع غلط يجب الالتباه إليه وذلك ان الاصل في همزة الوصل عند
غوى البقرة ان تكون متحركة مكسورة ، وإذا ضم في أدخل ونحوه
لاستقلال الخروج من كسر إلى ضم ؛ وعامة الكوفيين ذهبوا إلى أنها تتبع
عين للدل وذهب بعضهم إلى أنها تكسر لالتقاء الساكنين (راجع الانصاف في
مسائل الخلاف ص ٣٠٩ - ٣١٢ ، طبعة لندن . سنة ١٩١٣ م) .

(٢) ص ٣٤ ، ع ١ ، الآية الـ ٨ .

(٣) ص ٦٣ ، ع ١ ، الآية الـ ٦ .

(٤) ص ١٩ ، ع ٥ ، الآية الـ ٧٨ .

(٥) ص ٣٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ١٥٣ .

(٦) ورد لونه - دصح - .

أم لكم (سلطان مبین ^(١)) ؛
 وقرأ ، نافع ^(٢) ، لكاذبون ^(٣) اصطنى ، باسقاط الالف ، في الوصل ،
 وبكسرهما في الابداء ، يجعلها الف وصل ، ويوجه ^(٤) ، اصطنى ، الى انه
 حكاية من أهل الكفر ، الا ^(٥) انهم من انفسهم ، ليقولون اصطنى النبات ؛
 والاستفهام من الله عز وجل ، تقرير ، ^(٦) وتوييح ؛
 والأصل ، في هؤلاء الأفاعيل ، اصطنى ^(٧) ، انترى ، أشكر ^(٨) ،
 أظلم ، فذهبت ألف الوصل ، لانتبت في اللفظ ، إلا [عند الابداء بها] .
 وقوله ، ألم أحسب ^(٩) الناس أن يتركوا ، الالف في أحسب ، الف
 استفهام ، تحسن هل في موضعها ، وكذلك ما أشبه هذا .
 وكل ألف ، تدخل على حرف عطف ، أو حرف جحد ، في كتاب الله
 عز وجل ، فهي ألف التقرير ، وألف التقرير ، الف الاستفهام ، هي كقوله ^(١٠)
 تعالى ، أو آباؤنا الأولون ^(١١) ، أو لو كان ^(١٢) آباؤهم ، أو لم يسيرا ^(١٣)

- (١) س ٣٧ ، ع ٥ ، الآية ١٥٦ .
- (٢) توفي سنة ١٦٩ (على اختلاف الأقوال) انظر غاية النهاية (ج ٢ ص ٣٣٠ ، رقم ٣٧١٨) .
- (٣) س ٣٧ ، ع ٥ ، الآية ١٥٢ .
- (٤) انظر تفسير الطبري (ج ٢٣ ص ٦١) والنيابوري على هامش المرجع المذكور ، ومفاتيح الغيب (ج ٧ ص ١٦١ ، طبعة الشريعة سنة ١٣٠٨)
- (٥) الأولى ان يحذف .
- (٦) انظر التاج (ج ١٠ ص ١٢٢) .
- (٧) الاصل - « اصطنى » - .
- (٨) كذا . ولم يرد في ما تقدم .
- (٩) س ٢٩ ، ع ١ ، الآية ١ - ٢ .
- (١٠) الاصل - « كقولك » - .
- (١١) س ٣٧ ، ع ١ ، الآية ١٧ .
- (١٢) س ٢ ، ع ٢٠ ، الآية ١٧٠ .
- (١٣) س ٢٠ ، ع ١ ، الآية ٩ .

في الأرض ، ألم بأنكم نذير ^(١) ، ألت ^(٢) يربكم ، هذا وما أشبهه .
وَألف الخبر عن نفسه ، وتعرف بأنا وغدير ، (تفهم إذا) كان ماضي فعلمها ،
على أربعة أحرف وتفتح إذا كان الماضي على < أقل أو > أكثر من
أربعة أحرف .

فتبتدي ، قوله عز وجل ، ولكن اعبد ^(٣) الله ، أعبد ، بالفتح ، لأنها
ألف الخبر عن نفسه ، فيقال في امتحانها ، أنا غداً ، وفحت (لأن الماضي ،
أقل من ^(٤)) ، [الورقة الـ ٥ / ب] أربعة ، وهو عَبد ؛

وكذلك ، استخلصه لنفسي ، ألقه ، ألف الخبر عن نفسه ، يحسن أنا وغداً ،
في امتحان فعلها ، إذا أنت ، كقول القائل ، استخلصه أنا غداً ، وابتدأت بالفتح ،
لأن الماضي ، استخلص ، وعدة حروفه أكثر من أربعة أحرف ؛

وتبتدي ، قوله تعالى ، أفرغ عليه ^(٥) قطرا ، بضم الألف ، لأنها ألف
الخبر عن نفسه ، في فعل ماضيه ، أربعة أحرف ، وهي أفرغ ، فألف الخبر
عن نفسه ، لا تكون أبداً ، إلا أول المستقبل ، لأنها إحدى دلائل [الاستقبال ،
ففعال ^(٦) ، أن تحمل [ماضياً أو دائماً ؛

وَألف الخبر في فعل مالم يسم فاعله ، لا تكون إلا مضمومة ، قلت حروف
الماضي ، أو كثرت ، كقوله ، اكرم ، أو اخرب ، واستخلص ؛
وَألف مالم يسم فاعله ، تكون في أربعة أمثلة ، في أفعل ، وافعل ،

(١) س ٦٧ ، ح ١ ، الآية الـ ٨ .

(٢) س ٧ ، ح ١٢ ، الآية الـ ١٧٢ .

(٣) س ١٠ ، ح ١١ ، الآية الـ ١٠٤ .

(٤) ورد قوله « صح » .

(٥) س ١٨ ، ح ١١ ، الآية الـ ٩٦ .

(٦) ما بين القوسين غروم والواضح « ان يحل » .

واستفعل ، وانفعل ، وقد تكون في فعل ، غير لازمة له ؛
 فأما ألف أفعل ، فالف (١) أخرج ، وأكرم ، وأحسن ؛
 وألف افتعل ، ألف أكنسب ، وأصطنع ، وأخطر (٢) ، وأجث (٣) ،
 من أجل أن الأصل ، في أخطر ، اضطرد ، و < في اجتث > أجتث ،
 فأبدلوا من التاء ، طاء ، لأنها أشبه بالضاد ، من التاء (٤) فاستقلوا [الجمع
 بين حرفين] متحركين ، من جنس واحد وأسكت الراء الأولى ، وأدغموها
 في التي بعدها وكذلك سكتوا التاء (٥) الأولى ، وأدغموها ، في (٦) التاء ، الثانية ؛
 وألف استفعل ، الف استضعف ، واستخرج ، وما أشبهها [الورقة الـ ٤/ظ]
 وألف انفعل ، الف انقطع بالرجل ، والف فعل ، ألف أخذ ، وأكل ،
 و (أمر ، ولبت لازمة (٧) هذا المثال كله ، كلزوم أولئك الألفات ،
 مثلها ، من قبل انك تقول ، ضرب ، وضيم ، وذعر ، فلا تجد فيها ألفا ؛
 وأعلم أن الف استفعل ، وانفعل ، وانفعل ، الف ما لم يسم فاعله ، من الف
 الوصل ، اذا كنت تقول ، في حال تسمية الفاعل ، استفعل ، وانفعل ،
 وانفعل ، فلا تحمل عليك أنها الف وصل ، مبنية على عين الفعل .
 والف أفعل ، الف ما لم يسم فاعله ، من الف القطع ، من قبل انك اذا
 سميت الفاعل قلت ، اخرج فلان الشيء ، فوضح لك الف قطع ؛
 والف فعل ، الف ما لم يسم فاعله ، من ألف الأصل ، لأنك [نسي]
 الفاعل ، فتقول ، أخذ ، وأمر ، فلا يعض عليك ، أنها ألف أصل ؛

(١) في الأصل « ولف » .

(٢) في الأصل « اضطرب » .

(٣) في الأصل « اجتث » بذلك الإدغام .

(٤) في الأصل « التاء » .

(٥ - ٦) في الأصل « التاء » .

(٧) ورد لوقه « صح » .

وانما ابتدئت : الف ما لم يسم فاعله ، بالضم ، لدلالة الفعل ، الذي هي ^(١) أوله ، على فاعل ^(٢) ومفعول ، اذ ضرب ، لا يخلو ^(٣) من دلالة على ضارب ومضروب ، فكان ضم أوله دلالة على تضمنه ^(٤) معنيين ، كما قالوا ، زيد حيث ^(٥) عمرو ، فالزموا حيث ^(٦) ، النصة لمقامها مقام محلين ، كقولك في مكان فيه عمرو ، وقالوا ، نحن [قنا] فضموا نحن في جميع الأحوال ، لتضمنه معنى التثنية ، ومعنى الجمع ، إذ كان الرجلان يخبران ^(٧) عن أنفسهما ، فيقولان ، نحن قنا ، ويقول الرجال (مثال ذلك ^(٨)) .

[الورقة الـ ١ / ب] باب ^(٩) ذكر الالفات المبتدأة في الأسماء

اعلم أن الفات الأسماء ، أربع ، ألف أصل ، وألف قطع ، وألف وصل ، وألف استفهام ؛

فألف الأصل ، تعرف بمثل حركاتها في الفعل ^(١٠) ، ات رفعا رفعا ، وان نصبا نصبا ، وان خفضا خفضا ، كقوله عز وجل : وأخذتم على ذلكم ^(١١) إصري ، ألف إصري ، ألف أصل ، لأنها فاء من الفعل ثابتة في التصغير ، ووزن إصري من الفعل ، فيل فاعلم ، ويقال في تصغيره أصيرا ، باستيفائها بالقطع ؛

(١) هامش الاصل « احبه ثين » ، قلت هذا التصويب ظاهر الخطأ .

(٢) في الاصل « او » .

(٣) في الاصل « لا يخلوا » .

(٤) حروف مخرومة .

(٥) في الاصل « حيث » .

(٦) في الاصل « حيث » .

(٧) في الاصل « على » .

(٨) ورد لوقه « صح » .

(٩) نسخة برلين « ذكر الالفات النح »

(١٠) في الاصل - « الوصل » -

(١١) س ٣ ، ع ٩ ، الآية ٨١ .

وكذلك ، قل اذن ^(١) خير لكم ، ألف اذن ، ألف أصل بتدي بالضم
على مثال فعل ، والألف فاء من الفعل ، ويقال في تصغيرها ، هذه أذينة ،
فثبتت الألف فيها ، وكذلك ، وكان ^(٢) أمر الله ، الف أمر الله ، الف
أصل ، بتدي بالفتح ، لأنها كالزاي في زيد ، وزن أمر ، من الفعل ،
فعل ، فالألف فاء من الفعل ، وتصغير أمر ، أمير ، فالألف ثابتة فيه ،
ومثله ، أب ، لأن وزنه فعل ، وأصله أبو ^(٣) ، وتصغيره ، أبي ، وأم ،
لأن وزنها فعل ، وتصغيرها أمية ؛
- وألف القطع في الأسماء ، تكون أول الاسم المفرد ، وأول الجمع ^(٤) ،
فالتى يبدأ بها في أول الاسم المفرد ، تعرف بباتها في التصغير ، وبأنها [الورقة
الـ ٣ / ظ] فاء من الفعل ، كقولك ، هو أحسن من غيره ، الف أحسن ،
الف قطع (في الاسم المفرد ، ^(٥) لأن) وزنه من الفعل ، فعل ، فأنه غير
فاء من الفعل ، ونقول في تصغيره ، أحسن ، فتوجد الألف فيه ، ومثله ،
أكبر ، وأقل ، وأنبل وأجل ، وأحمد ، وأحزم ، وأصبغ ، وما أشبهن .
وألف القطع في الأسماء المجموعة ، تعرف بحسن دخول الألف واللام عليها ،
وانها ليست فاء من الفعل ، ولا عينا ، ولا لاما ، كقوله تعالى ، مختلف ^(٦)

(١) س ٩ ، ع ٨ ، الآية ٦١ .

(٢) س ٤ ، ع ٧ ، الآية ٤٧ .

(٣) في الأصل : الف .

(٤) جاء في اللسان ما نصه : وقال أبو بكر بن الابرار ، ألف القطع ، في
اوائل الاسماء ، على وجهين ، أحدهما ان تكون في اوائل الاسماء المنفردة ،
والوجه الآخر ، ان تكون في اوائل الجمع ، فالتى في اوائل الاسماء ، تعرفها
بباتها في التصغير ، بان تحسن الألف فلا تجدها فاء ، ولا عينا ولا لاما ،
وكذلك لم يتروا باحسن منها للتح (اللسان : ج ٢٠ ص ٣١٣) .

(٥) ورد فوقه - « صح » - .

(٦) س ١٦ ، ع ٩ ، الآية ٦٩ ، س ٣٥ ، ع ٤ ، الآية ٢٨ .

ألوانه ، ألف ألوان ألف قطع في الجمع من الأسماء ، لأن وزن ألوان ،
أفعال ، فالألف غير فاء ، ولا عين ، ولا لام ، وتدخل عليها الألف واللام ،
فنعول الأوزان ^(١) ، وكذلك ، السنة والألسنة ^(٢) ، وآيات ، والآيات ،
وأثواب والآثواب .

وألف القطع في هذين النوعين ، مفتوحة ، ومتى وردت عليهم مكسورة
أو مضمومة كانت بمنزلة المفتوحة ، فإذا كانت أول الاسم الأعجمي ، ألف
فهي ألف قطع ، وتعرف الاسم الأعجمي [بامتناعه] من الاجراء ^(٣) ، وبأنه
معدوم من عتيق كلام العرب ، إلا أن نخلوه عن المعجم ، كقولك إبراهيم ،
واسماعيل ، واسحق ، وإدريس ، وهي مكسورة في الوصل والقطع ، كسر
بناء ، لازم غير محكوم عليها ، بأنها ألف أصل ، إذ كان الأعجمي مجهول
الاشتقاق ، والف استبرق ^(٤) أيضاً ، ألف قطع في الاسم الأعجمي ، وإن كان
عبري (لأن العرب أخذته ^(٥)) [الورقة ٣ / ب] عن المعجم ، وأجرته
لتكثيره ، ومنعت إبراهيم ودونه الاجراء ^(٦) ، للتعريف والمعجمة ؛ فإن أنت
الألف في أول الأعجمي مفتوحة أو مضمومة فهي أيضاً بمنزلة المكسورة ،
ألف القطع ؛

(١) كذا ولو كان « الألوان » لكان اوفق بالباق .

(٢) في اللسان - « السنة » - مصنف (ج ٢٠ ص ٣١٣) .

(٣) في الاصل : الاجزاء .

(٤) زعم بعضهم انه استقل من البرق (انظر الملائكة : ص ٢٢ مع الحاشية)
ونسبه المرمي الى الزجاج والذي حكى عنه صاحب اللسان ينبغي (انظر
اللسان ج ١١ ص ٢٨٥) .

(٥) ورد لوقه - « صح » -

(٦) في الاصل : الاجزاء .

بِئَلَّ ، وَبَلَّ ، وَتَمَنَ ، وَكَمْ ، فَانَ قَالَ قَائِلٌ ، فَهَلَا^(١) 'كسرت وُسْبِئَتْ
 بَيْنَ [الورقة الـ ٢ / ظ] وَإِنْ^(٢) ، فَقَلَّ كَرِهُوا أَنْ يَكْسُرُوهَا ، فَتَلْبَسُ بِالْف
 إِبْنِ ، وَإِثْنَيْنِ ، وَهِيَ عِخَالْفَةُ (لَهَا مِنْ جِهَةٍ^(٣) امْتِجَانِهَا) فَأَثَرْنَا نَحْمَا^(٤) لَدَيْكَ ؛
 وَأَلَفَ الِاسْتِفْهَامَ ، تَمْتَحِنُ فِي الْأَسْمَاءِ ، بِئَلَّ الَّذِي تَعْرِفُ بِهِ فِي الْأَفْعَالِ ،
 فَانَ سَأَلَ سَائِلٌ ، عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قُلْ آذِكُرِّيْنَ حَرَمَ أُمِّ الْاِثْنَيْنِ^(٥) ،
 قِيلَ لَهُ ، الْأَلْفُ فِي آذِكُرِّيْنَ ، أَلَفَ اسْتِفْهَامَ [بِدَلِيلٍ] أُمِّ بَعْدَهَا ، وَأَمَّا
 زِيدَتْ الْمُدَّةَ لِيَفْرُقَ بَيْنَا بَيْنِ الِاسْتِفْهَامِ وَالْخَبَرِ ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَوْ قَالُوا ، آذِكُرِّيْنَ
 حَرَمَ ، بِغَيْرِ مَدَّةٍ ، لَمْ يَقَعْ بَيْنَ الِاسْتِفْهَامِ وَالْخَبَرِ فَرْقٌ ، وَكَذَلِكَ ، الْآلَتِ
 وَقَدْ عَصَبَتْ^(٦) ، وَهَذَا^(٧) خَيْرٌ > أَمَّا يَشْرُكُونَ < .

فَانَ قَالَ قَائِلٌ ، فَلَمْ يَزِيدُوا ، مَدَّةً فِي قَوْلِهِ ، أَقْتَرَى ، وَالْفَتْحُ ، الْف
 اسْتِفْهَامَ كَالْفِ الذِّكْرَيْنِ ، قِيلَ لَهُ ، أَلَفَ الْخَبَرَ اقْتَرَى ، مَكْسُورَةٌ ، وَالْف
 الِاسْتِفْهَامَ مَفْتُوحَةٌ ، فَاتَّفَاحَ الْأَلْفِ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا فِي الِاسْتِفْهَامِ وَالْخَبَرِ ، فَأَغْنَى
 عَنْ الْمُدَّةِ ، وَأَلَفَ الذِّكْرَيْنِ ، مَفْتُوحَةٌ فِي الِاسْتِفْهَامِ وَالْخَبَرِ ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ،
 فَرَّقُوا بَيْنَهُمَا فِي الْمُدَّةِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ - قِيلَ -

(٢) تَرْقِيعٌ

(٣) وَرَدَ فَرْقُهُ - صَحَّ -

(٤) لَفْظُ ابْنِ خَالَوَيْهِ : . . . دَعَتْ لِأَنَّهُ خَالَاتُ بِدُخُولِهَا مَوْضِعَهَا ، فَخَالَفُوا

بِحَرَكَتِهَا حَرَكَتَهَا ، لِأَنَّ الْفَ الْوَصْلَ ، إِذَا لَدَخَلَ عَلَى الْأَفْعَالِ وَعَلَى الْأَسْمَاءِ ،

وَهِيَ نِيَابَةٌ مَكْسُورَةٌ أَوْ مَضْمُونَةٌ (كِتَابُ لَيْسَ : ص ٦٩ ، ١٢)

(٥) ص ٦ ، ح ١٧ ، آيَةُ ١٤٤

(٦) ص ١٠ ، ح ٩ ، آيَةُ ٩١

(٧) ص ٢٧ ، ح ٥ ، آيَةُ ٥٩

واعلم أن ألف الدعاء ^(١) ، كآلف الاستفهام في اللفظ ، تعرف بـ **بـ** بحسن في موضعها ، **يا** ، كقولك ، **أزبد أقبل** ، **معناه** ، **بازبد أقبل** ، من ذلك ، **قرأ نافع** ، وغيره ^(٢) ، **أمن هو قات** ^(٣) بالتخفيف في الميم ، كأنه ^(٤) **يا من هو قات** ؟

باب ^(٥) الألفات المستأنفات في الأدوات وما تجري في مجراها

من المكاني وأسماء الاشارات

اعلم أن الألفات ، **الابتداء** ، في الأدوات المحضة ، أصلية ، حفظها الكسر ، كقولك (**إن** ، **إذا** ، **وإما** ، **والآ** ، **وإذ**) [الورقة الـ ٢٥ / ب] **وإذن** ^(٦) وإلى . وقد تأتي ، **مفتوحة** كقولك ، **أما** ، **وأما** ^(٧) ، **وأنا** ، وتعرف الأدوات ، **بافتتاح الكلام بها** ، **وبأنها لا يصحها خبر** لما يرفعها ، **ولا يقع بها خبر** تخبر عنه ، **فينصبها ولا يدخل عليها حرف خفض** فيكسرها .

وآلف الاسم المحوّل ، من الأداة أصلية ، لا تكون إلا **مفتوحة** ، كقولك **أن** ، **وأنا** ، **وأن** ، **وبذلك على أنهن أسماء** ، **دخول عوامل الرفع والخفض عليهن** ، كقولك **بمعجبي أنك قائم** ، **وان تقوم** ، **موضعها رفع بالاعجاب** ،

(١) يعني ألف النداء

(٢) منهم ابن كثير وحزرة (مفاتيح الغيب ج ٧ ص ٢٢٨) وانظر تفسير الطبري

(ج ٢٣ ، ص ١١٨ / ٧)

(٣) ص ٣٩ ، ح ١ ، الآية الـ ٥

(٤) هذا قول الفرّاء . وفي التخفيف أيضاً ان تكون الالف ، ألف استفهام ،

داخلة على من (انظر مفاتيح الغيب ج ٧ ص ٢٢٨)

(٥) هذا الباب أغلّه املودت في فهرسته

(٦) في الاصل : اذا

(٧) في الاصل : إما

واعلم أنك قائم ، وإن تقوم ، موضعها نصب بالعلم ، وتقول فكرت في أنك قائم ، وفي أن تقوم فيخفها بني بكشف لك أنهم محولات عن الأدوات سقوط الإعراب عنهم ، إذ العوامل لا تؤثر فيهن أثراً من ضم ولا كسر ولا فتح ؛

وَألف المكناني الأصلية المرفوعة ، تستألف بالفتح ، كقولك أنا ، وأنت ، وأنتما ، وأنتم ، وأنتن ، وقد تأتي في مواضع الخفض عند الضرورة ، كقولك إياك أنت موضع أنت خفض بالكاف ، وكذلك أنت كأنا ^(١) ، الكاف خافضة أنا ، وتأتي أيضاً في موضع النصب ، كقولك ضربتك أنت ، موضع أنت نصب على التوكيد للكاف المنصوبة إلا أن الأكثر فيهن والأغلب طين ، الوقوع في موضع إياك نصب ، ومثله إياك ، وإياك ، وإياكن ، وربما وقعت في موضع الخفض كقولهم أنا كأيّاك ، وأنت كأيّاي ، قال الشاعر ^(٢) :

[الورقة الـ ٢٢ / ظ]

فأحسن ^(٣) وأجل في أسيرك انه ضيف ولم بأسر كأيّاك أسير ^(٤)
والأغلب طين التعرف ^(٥) بالنصب ؛

وَألف أسماء الإشارات ، أصلية تستألف بالضم ، كقولهم أوليّا ^(٦) ، وأولئكم ، وأولئكن ، وألف وأولي مال ، أصلية تبدأ بالضم للبناء ، وكذلك

(١) الاصل : كانت

(٢) هذا الشاعر لم يقتلوا عليه والبيت استشهد به المراء ومثام عن الكماني ،
وطلب في أماليه وابن عمفور في كتاب الضرائر (راجع خزانة الادب :

ج ٤ ص ٢٧٤)

(٣) في رواية : فاجل وأحسن

(٤) في الاصل : أسير

(٥) ترفيع

(٦) يمدّ ويضم ، وهو تصغير أول

ألف أولات ، وواحد أولي ، ذو^(١) ، وواحد أولات ، ذات^(٢) ، وهذان الحرفان لبسا من أسماء الإشارة ، إذ كان أولو مال بمعنى أصحاب مال وأولات بمعنى صاحبات يقاس^(٣) على هذا ما يرد من هذا الباب إن شاء الله تعالى ،^(٤) ثم كتاب شرح الألفات للأنباري التحوي ، رضي الله عنه ، بحمد الله وعونه

(عبارة من كتاب الوقف والابتداء)

هذا نص ما ورد ، في حاشية الورقتين ال ١١ / ظ — ال ١٠ / ب ، من نسخة الأصل :

« من كتاب الوقف والابتداء ، لابن الأنباري ، أيضا : كان الأصل في قولهم ، ابت يارجل ، ائت^(٥) يارجل ، ائتوا^(٦) يارجل ، فجعلوا الهمزة الساكنة ياء ، لسكونها وانكسار ما قبلها ، وذلك ان العرب ، تجعل الهمزة ياء ، اذا انكسر ما قبلها وكانت ساكنة ، ويجعلونها ألفا اذا سكنت وانفتح ما قبلها ، ويجعلونها وادا اذا سكنت وانضم ما قبلها ، وأما الهمزة التي سكنت وانكسر ما قبلها ، فتحو التثنية ، كان الأصل فيه التثنية ، فأبدلوا من الهمزة ياء^(٧) ، لسكونها وانكسار ما قبلها ، وأما حكتنا على التثنية بالهمز ،

(١) في الأصل : ذوا ، وفي نسخة برلين : ذي

(٢) في الأصل : ذات

(٣) في نسخة برلين : يقاس على ما نرحنا ، ما يرد مما يشاكه ان شاء الله تعالى

() راجع فهرس المطبوعات ، ج ٦ ص ٢٠٠

(٤) ورد هنا ما نصه : بلغت اللقطة

(٥) في الأصل : ايت

(٦) في الأصل : ايتوا

(٧) خرق وتثنية

لأنه مأخوذ من تذاب الریح و < هو > مجيئها من كل وجه ، قال ذو (١) الرمة :
 نبات يشتره (٢) نادر (٣) وسهده (٤) تذابوب (٥) الریح والوصواس والمضب (٦)
 فمعنى يشتره (٧) ، يشخصه (٨) ويقلقه (٩) ، والنادر (١٠) ، الندى ، وتذابوب
 الریح مجيئها من كل وجه ، والمضب ، الدفعات من المطر ، وقال ذو الرمة (١١) أيضاً :
 غدا كأن له جناً تذاببه (١٢) من كل أقطاره ينجش ويرقب
 فمعناه كأن به جناً يأخذه من كل وجه ؛

وأما المحزة التي جعلت ألفاً ، لانتتاح ما قبلها ، فكفوله ، آمن الرسول ،
 كان الأصل فيه آمن الرسول ، فجعلوا المحزة الساكنة ألفاً ، لانتتاح ما قبلها ،
 وذلك أنها إذا سكنت ضمنت ، فنقلت الحركة عليها ، وكذلك ، يا بني آدم ،
 كان الأصل فيه آدم ، فجعلوا المحزة الساكنة ألفاً لانتتاح ما قبلها .

(١) ديوانه : ص ٢٢ ، ب ٨٤ ، والسان : ج ٧ ص ٢٢٨ ، ج ٨ ص ١٤١ ، والتاج : ج ٢ ص ٣٠٩ ، ج ٤ ص ٢٦٨ ، ج ٤ ص ٤٣

(٢) في الأصل : يشتره

(٣) في الأصل : نادر ، ويخط الزيدي في التاج : قال (ج ١ ص ٢٤٨)
 وكلاهما مصحف

(٤) الرواية السائرة : يسره

(٥) في رواية : تذوب

(٦) جمع مضب مثل قبيح ونبي عن أبي عمر ، ويروي « المضب » كتب (التاج
 ج ١ ص ٥١٥)

(٧) في الأصل : يشتره

(٨) في الأصل : يحسه ، بلا نقط

(٩) في الأصل : يقلقه

(١٠) في الأصل : للتاد

(١١) ديوانه : ص ٢٢ ب ٨٢

(١٢) في الأصل : يدابه

وأما الهزة التي سكنت ، وانضم ما قبلها فكقولك ، يؤمن كان الأصل فيه يؤمن فجعلت الهزة الساكنة واداً ، لانضمام ما قبلها ،

فإن قال قائل ، إذا قلنا في الدرج ، لقائنا انت ، فما هذه الهزة ، قيل له ، هذه الهزة ، هي الساكنة التي في انت ، وهي فاء الفعل [الورقة ١٠ / ب]
 > وألف^(١) الوصل < ماقطة ، وقد أجاز الكسائي ، أن تثبت الهزة في الابتداء ، فأجاز للمبتدي أن يقرأ ، انت بقرآن ، بهمزيين محققين ، قال ابن الأنباري : حدثنا بذلك إدريس^(٢) عن خلف^(٣) عن الكسائي ، قال أبو بكر ، وهذا قبيح ، لأن العرب لا تجمع بين همزتين ، الثانية منها ساكنة ، ومع هذا إن أبا العباس حدثنا عن سلمة بن^(٤) عاصم عن الفراء ، أنه قال : العرب لا تنطق بهزة ساكنة إلا بنو تميم ، فإنهم يهزون فيقولون ، الذئب ، والكأس ، والرأس ، من كتاب الوقف والابتداء لابن الأنباري » .

أبو محفوظ الكرمي معصومي

(١) ما بين المكين خرق

(٢) هو إدريس بن عبد الكريم الحداد ، المتوفى سنة ٢٦٢/٣ (٩٠٤/٥ م) راجع غاية النهاية (ج ١ ص ١٥٤ ، رقم ٧١٧)

(٣) هو خلف بن هشام البزار المتلمذ للذكر ، وهو من الثقلين عن الكسائي (راجع غاية النهاية ج ١ ص ٥٣٦)

(٤) في الأصل : سلمة عن عاصم - والمصواب ما قدرته وهو صاحب الفراء ، المتوفى بعد له ٨٨٣/٢٧٠ م (راجع اللهرست : ص ١٠١ ، وغاية النهاية ج ١ ص ٣١١)

نظرة في معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كيرفيل

تلقه الى العربية الأستاذة سرمد خاطر وأحد حمدي الخياط

ومعد صلاح الدين الكواكي

(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق)

- ٣ -

رقم المصطلح

رقم المصطلح

561 Amastie

غيبه الثدي

٥٦١

وأرجع اللاندينية (جمع اللغة) .

562 Amaurore, cécité

كُتْنَة، عمى مُطبِّق (بدون

٥٦٢

(complète sans alté-

تلف طبقات العين)

(-ration des milieux

de l'œil)

الكُتْنَة ثلثة تأخذ في البصر (اللسان) وقد أقرها مجمع اللغة . والغالب
أن تطلق على ذهاب البصر من العين الواحدة . أما العمى المطبق وغير المطبق
فلا يطلق في اللغة العربية إلا على ذهاب البصر من العينين وإلا فهو عمور ،
ففي اللسان : العمى ذهاب البصر كله ، وفي الأزهرى من العينين كليهما الى
أن قال رجل أعمى وامرأة عمياء ولا يقع هذا التثنية على العين الواحدة لأن
المعنى يقع عليها جميعاً فيقال عميت عيناه .

٥٦٤ عَطَش Amblyopie 564

وأفر جمع اللفظة كلمة كَتَشَ . ودرج كاتب هذه السطور على استعمال كلمة كَتَشَ ، ففي اللسان : الأَكْش الذي لا يكاد يبصر ، والفَشْ ظلام البصر من جوع أو عَطَش ، والفَشْ سوء البصر ، والفَشْ عارض ثم يذهب ؛ أما الفَطَش في العين تشبه العَشْ ، الفَطَش الضعف في البصر كما ينظر ببعض بصره ، ويقال هو الذي لا يفتح عينه في الشمس . واللفظة الأفرنجية تطلق على الضعف العارض على البصر ولا سيما ما كان منه غير متأت عن علة عضوية أو عن زبغ في طبقات العين . لذا أفضل الفَشْ والكَشْ على الفَطَش .

٥٦٧ غيبة الأطراف الأربعة Amélie 567

والأفضل أن يقال اللاطرفية قياساً على ما تقدم في اللفظين المرقومين

بـ ٧ و ٥٦١ .

٥٧٤ تيه البصر Amétropie 574

وهو فقد انطباق بؤرة المرئي على الشبكية ، أرجح أن يقال فقد القياس البصري أو اللاقياس البصري ؛ أما تيه البصر فقد جاء في اللسان تاه بصراً الرجل وتاف إذا نظر إلى الشيء في دوام ، وتاف عني بصرك وتاه إذا تخطى كما أن التيه يعني الصلَف والكِبَر^(١) .

٥٧٨ منقول ، منقول Amibe 598

والأفضل تعريب الكلمة الفرنجية كما فعل جمع اللفظة فيقال آميبا أو أمية و ج آميبات .

٥٩١ غوليات Aminoalcools 591

الأفضل أن يقال الأغوال الأمينية .

(١) وكذلك يمكن استعمال زبغ اللباس . ففي اللسان الريح الليل ، زاغت الأبصار مالك من مكانها كما يمرض للسان من الحرف .

- ٥٩٢ 'نشادرينات' Ammines 592
وقد عرفت اللفظة بأنه مركب يحوي ذرات الأمونياك (النشادر) المرتبطة مع أحد المعادن . بينما قد يفهم من نشادرينات المواد أو المادة المستخرجة من النشادر على غرار الكافئين وما إليها . والأفضل أن تبدل بما يفي بهذا المعنى كالنشادر المعدني أو سواء .
- ٦٠٠ نسيان سابق أو نسيان التثبيت Amnésie antéro- 600
-grade ou de fixation
والأصح أن يقال نسيان لاحق ، لأنه يتعلق بالأمور المتحدثة بعد الإصابة بالعملة . وقد انتهت اللجنة الى ذلك في ترجمة (Antérograde) رقم ٨٣٣ بقولها نسيان ما بعد الحادث .
- ٦٠٠ نسيان لاحق Amnésie rétrograde 600
والصحيح نسيان سابق لأن الأمور المنسية هنا تتعلق بما سبق أن كان منذ كراً قبل الإصابة بالعملة .
- ٦٠١ سايا Amnios 601
ويطلق على الغشاء الباطن الذي يحوي سائلاً يحفظ الجنين ، وأقر مجمع اللغة السلي فقد جاء في اللسان السلي إفاقة الولد من الدواب والابل وهو من الناس المشيمة مما يدل على تخصيص السلي بالحيوان . والسايا الماء الكثير الذي يخرج على رأس الولد لأن الشيء قد يسمى بما يكون فيه على الجواز ، ولذلك يصح أن تدعى المشيمة (وهي الدارجة) كما أن السايا صحبة وتعريب الكلمة بقولنا أمنيوس (عن الفرنسية) أو أمنيون (عن الانكليزية) ممكن وربما كان أقل عجمة وأخف على اللسان .
- ٦٠٢ 'مخيط' Amniotique (liquide) 602
والمشهور عنه السخند . ففي اللسان : دم وماء في السايا وهو السلي الذي

يكون فيه الولد . وفي اللسان أيضاً ويقال للسُّخْد وهو الماء الذي في المشيمة :
النُّخْط . وأرجح السُّخْد لأنها دارجة متعارفة وألطف من الثانية .

٦٢٧ نسيان اللّحن (أو الموسيقى) Amusie 627

الأفضل أن يقال اللاموسيقية لأن هذه الحالة المرضية تبدو تارة بنسيان
اللحن أو النغم وأخرى بفقد قراءة النوبة الموسيقية على غرار الخرس
واللاقراءة واللاكتابة^(١) .

٦٤١ مُقَوِّ ، منشط Analeptique 641

وقد عرف اللفظ الفرنجي بأنه الدواء الذي يُصلح التنفس وخوار الشعور
بالضعف ، وفقد الوعي أو البات . وأرجح أن يقال عنه الناعش ففي اللسان
نَعَش الإنسان يَنعشه نَعْشاً تداركه من هلكة . وفي الأساس نَعْشه
فانتعش إذا تداركته من ورطة وانتعش نَعْشك الله ونعشني نعشة كريم والريمع
ينعش الناس .

وأرى أن تخصص المقويات بـ (Toniques) والنشطات بـ (Stimulants)
وناعشات بـ (Analeptiques) .

٦٤٣ فقد الألم ، لا ألم Analgésie 643
وكذلك بطلان الألم .

٦٥٩ نَأَى Anaphylaxie 659

وأقر بجمع اللفظة القهاس والبللوقاية . ودرج كاتب هذه السطور على استعمال
كلمة الاستهداف اقتباساً من معجم شَرْف ، ومدلول الكلمة العلمي هو فقد
الوقاية (الللوقاية) وأن يصبح من به هذه الحال عرضة للاصابة بأحد مسببات
المرضية ، وبالتالي مستهدفاً للاصابة .

(١) راجع للشرح الوارد في المقال السابق في رقم ٤٨٩ والمضمة ٣١٤

أما التآق فقد جاء في اللسان : التآق شدة الامتلاء تَتَقُّ السقاء بتآق نآقا فهو تَتَقُّ امتلاءً وتآق إنآقا ، إلى أن قال ورجل تَتَقُّ ملآن غيظا أو حزنا أو سرورا وقيل هو الضيق الخلق ، وقيل تتق اذا امتلأ حزنا وكاد يبكي وانخ . وعلى ذلك فان لكمة تآق معناها القوي الصريح والأفضل أن لا تقحمها في المعنى الطبي البعيد عنها كل البعد ، مما يرجع أن يقال في ترجمة (Anaphylaxie) الامتهداف واللاوقابة دون غيرهما .

٦٦١ ترفيع Anaplasie 661

وأقر مجمع اللغة ارتكاس - ارتداد ، وعرف هذه اللفظة معجم (M. Garnier ^(١)) الفرنسي بما يلي : (لفظ استعمله بهراط للدلالة على رد كسر أو خلع) يرادفه (Cataplasie) ، الحدث الذي بمقتضاه تنقد بعض الخلايا سمياتها الخاصة دون أن ترد الى حالة الخلايا البدئية . وعرفها معجم (Blakiston's ^(٢)) بتراجع الشكل في الخلية أو في الخلايا الى الحالة الجنينية مع ازدياد خاصتها على التكرار ، وبغلب أن تطلق هذه اللفظة على تراجع الشكل وحده دون النظر الى خاصة التكرار . كما ان معجم كليرفيل نفسه ذكر في ترجمة اللفظة الى الانكليزية بـ (anaplasia و reversionary atrophy) أي الضمور التراجعي ، والى الألمانية بـ (Rückschlag) ومعناه التراجع . وعلى ذلك أرى أن نترجم لفظة (Anaplasie) بالحوول أو التحول التراجع أو التراجعي أو الارتداد ، ولا أرى لاستعمال ترفيع مسوغا .

٦٧٨ قُطْب ايجابي (بطارية غلوانية) Anelectrode 678

والصحيح منفذ ايجابي ، لأن القطب الايجابي ترجمة لـ (Anode) كما فلت

(١) M. Garnier & V. Delamare, Dictionnaire des termes techniques de médecine

Blakiston's new Gould medical Dictionary

(٢)

اللجنة في ترجمة هذه اللفظة برقم ٨٠٩ والقطب الايجابي غير المنفذ الايجابي ،
ويبقى التمييز بينهما .

٦٨١ فاقة دم بالانقراض بعد النزف - Anémie de déperdition après hémorragie 681

وهي فاقة الدم المتأنية عن نزف الدم ، وأرجح أن يقال في الترجمة فاقة دم
نزفية أو بالنزف ؛ ففي اللسان نزف الدم اذا خرج منه كثيراً حتى يضعف ،
والنزف الضعف الحادث عن ذلك ، وانقراض القوم درجوا ولم يبق منهم أحد .

٦٩٠ تصام ، عدم التجارب Anergie 690

وأرجح أن تعرب هذه اللفظة بـ أنيرجيا على غرار لفظة أليرجيا^(١) .
في اللسان أصمه الداء ، وتصام عنه أراه أنه أصم وليس به تصام عن الحديث
وتصامه أرى صاحبه الصمم .

٦٩١ فقدان الحس ، خدر Anesthésie, narcose 691

وتطلق لفظة (Anesthésie) على فقد حاسة الحس فقداً تاماً أو جزئياً ،
منه ما يتأتى عن حالة مرضيه وبدعى بطلان الحس (شأن ما يكون في بعض
طل الجملة العصبية المركزية والمحيطية) ومنه ما يكون محدثاً بأحد الأدوية سواء
أثر هذا موضعياً أو عاماً ، وهذا ما يدعى بالتخدير (التخدير الموضعي والتخدير العام) .
ولعلّ القصد من إثبات كلمة (Anesthésie) وبجانها (Narcose) يقصد منه
التخدير . أما الخدر فالأفضل أن تخصص لكلمة (engourdissement)^(٢) .

٧١٤ أمدَم Anévrisme 714

وأقر مجمع اللغة كلمة انورسما تعريباً . وهي الكلمة ذاتها المستعملة في كتب

(١) الصفحة ٣١٨ من الجزء الثاني من هذه المجلة في الرقم ٢٨٨ .

(٢) جاء في اللسان والخدر امذلال يقتنى الأعضاء : الرجل واليد والجسد ، وقد خدرت
الرجل تخدر والخدر من التراب والدواء تور يمتري التراب وضعف .

الطب القديمة^(١) . ودرجنا على استعمال كلمة أم الدم التي استعملها الأقدمون أيضاً ولا أرى حاجة الى هذا التخت .

٧٢٢ ذات العروق الشعرية، التهاب العروق الـدقاق Angéite 722
والصحيح ذات العروق أو ذات الأوعية أو التهاب العرق أو التهاب الوعاء دون تخصيص بانعروق الشعرية أو الـدقاق .

فقد جاء في معجمي غارنيه (M. Garnier) وبلاكستون (Blakiston's)^(٢) في شرح لفظة (Angéite) ان قال الأول اسم عام يشمل جميع التهابات العروق (التهابات الشريان والتهاب الوريد والتهاب العروق الـلنفوية وغيره) وذكر الثاني في مادة (Angitis) أنه التهاب عرق الدم أو الـلنفا .

٧٢٤ توسع الأوعية الشعرية Angéectasie 724
والأصح توسع العرق أو الوعاء

٧٢٥ خناق Angine 725
وأقر مجمع اللغة كلفي ذبحة وذباح .

٧٣١ خناق الصدر، انقباض القلب Angine de poitrine, 731
Angor, Sténocardie

اللفظة ذات الرقم ٧٢٥ تطلق على التهاب البلعوم وكلمة الخناق تفيد هذا المعنى وكذلك الذبحة والذباح أيضاً، والكلمات الثلاث قد وردت في كتب الأقدمين ولا ما يميز بينها فيها . وجبذا لو خصصت كلمة خناق وجمعه خناقات بالتهاب البلعوم

(١) كامل الصناعة الصفحة ٣١٢ من الجزء الأول وقد جاءت في جلة مواضع مصتلة بـ (أبورسما) وعرفت بأنها ورم يحدث من دم وريح وحدوده يكون من انخراق الترياق متوحاً لا يلتئم ولا يثبت عليه الدشبذ وعلامة هذا الورم أن يكون موضعه يبنى وإذا غمز عليه باليد ذهب أكثر الورم ويسمع له في بعض الأوقات الصرير ويكون لون الورم على مثال لون الباذنجان أو البنفسج .
(٢) وهما المذكور اسمها في الصفحة (٤٦٦)

العادي ، والحنانوق بالتهاب البلعوم الدقتربائي (Angine diphthérique) .
 وجمعه خوانيق (كذا وردت في كتب الطب القديمة ، وهي كلمة دارجة على
 السنة الناس أيضاً)^(١) ، وحناق الصدر على الألم الشديد البادي في
 مقدم الصدر ، وأن تخصص الذبحة والذباج بالتهاب الحنجرة الدقتربائي
 (Laryngite diphtérique ou croup) . أما ترجمة اللبنة لـ (Sténocardie)
 باقباض القلب فلا أراه في موضعه لأن اقباض القلب ينبغي له أن يدل على
 (Systole cardiaque) كما جاء في ترجمة لفظة (Systole) في الرقم ١٣١٠٠
 والصحيح أن نترجم بضيق القلب وهو ما ينطبق على اشتقاق الكلمة ذاتها .

٧٣٤ خناق غشائي موم غمامي - Angine pseudo - mem -
 - raneuse 734

والمشهور عنه خناق غشائي كاذب ، لأن وصفه بالموم قد ينمى الكذب
 ويستدعي الموم والايهام (بينما الإصالة به سليمة في الغالب) وكثيراً ما استعمل
 العرب الكذب بالمعنى المجازي كقولهم الفجر الصادق والفجر الكاذب وفي
 الكتاب العزيز « وجاءوا على قبيصه بدم كذب » (سورة يوسف) .

٧٣٥ خناق أحمر ، حمامي ، تزي Angine rouge 735
 érythémateuse, catarrhale

لقد ضبطت صفة حمامي بالفتح والصواب بالضم حمامي وهو غلط مطبعي .

٧٣٩ مبحث الأوعية Angiologie, angéiologie 739

٧٤٠ ورم وعائي Angiome 740

أرجع أن يستعمل العرق مكان الوعاء لأنه أخص .

(١) لقد جاء ذكر سنة الخوانيق (ولولا أن عندي باية من موسم سنة الخوانيق
 أترفق بها وإلا كنت من المالكين) في دعوة الأطباء لابن بطالان سنة ٤٥٥ هـ
 (الصفحة ١٥ من كتاب دعوة الأطباء على مذبح كلية ودمنة تخليق الدكتور
 بشارة ززل وطبع المطبعة الحيدرية بالاسكندرية سنة ١٩٠١)

- ٧٥٤ Angoisse, anxiété ضيق ، ملل ، ضيق وكذلك القلق .
- ٧٥٩ Anhidrose, anidrose سآد ، انحباس العرق والصحيح أن يقال انحباس العرق لأن مطاوع حبس احتبس لا انحبس .
- ٧٦٩ Anhydride carbonique, gaz carbonique بلاء الفحم ، غاز الفحم سبق أن رجعت كربون على الفحم في هذه الترجمة وأضربها .
- ٧٨٢ Anion شاربسية (آنيون) والأفضل أن يقال شاردة سلبية أو آنيون .
- ٧٨٤ Ankylose, raideur articulaire 'جساءة ، ييومة المفصل وأقر جمع اللفظ القسّط وهي الكلمة الدارجة على ألسنة الأطباء ولا أرى حاجة الى تبديلها بأخرى قاموسية .
- ٧٨٥ Ankylostome duodénal ملتقوة عقجية
- ٧٨٦ Ankylostomiase داء الملقوات ، فاقة الدم المعدنية الخ وأقر جمع اللفظ تعريب الكلمة بأنكيلوستوما ولا أراها إلا أقل عجمة والطف من الملقوات .
- ٨١٩ Anox (b) émie, anoxyémie, anoxie عدم تأكسد الدم والأفضل نقص أو كسجين الدم ونقص الأوكسجين ، فقد عرفت أنو كسيميا^(١) فقد الأوكسجين من الدم بقصور التهوية الناجم عن الارتفاع الزائد ، أو نقص الضغط في الأوكسجين في التخدير أو في قصور القلب أو في الخنق ،

وعرفت الآتوكسيا بأنها فقد الأوكسجين وهي حالة لا يمكن للحياة أن تدوم معها ، أو قصور النسيج عن ضبط الأوكسجين أو استعمال ما يكفي منه .
ويقول صاحب المعجم المذكور أن الأفضل أن تحمل الآن كلمة نقص الأوكسجين (Hypopexie) محل (Anoxie) .

أقول : ولا صلة بين نقص الأوكسجين أو فقده ، بحدوث التأكد أو عدم حدوثه .

٨٣٢ نسيان ما بعد الحادث Antérograde 832
وهو النسيان اللاحق (انظر الرقم ٦٠٠) .

٨٣٣ خنث Antéversion 833

٨٣٤ خنث الرحم Antéversion de l'utérus 884

اللفظة الأولى تعني الميل أو الانثناء الى الأمام والثانية الانقلاب الأمامي
تعمل الأولى في بعض الملل العصبية التي تمتاز بانعطاف جذع البدن الى
الأمام أثناء المشي أو الانتصاب ، والثانية انقلاب جدار الرحم وميله الى الأمام .
فالكتنان اذن ليستا مترادفتين ولا يصح أن يطلق عليهما اسم واحد وهو الخنث .
وإني لم أتوصل بمراجعة المعاجم التي بين يدي الى ما يشير فيها الى الميل والانقلاب .
فقد جاء في اللسان : الخنث الذي لا يخلص لذكر أو أنثى ، وخنث الرجل
خنثاً فهو خنث وخنث وخنث ثلثي وتكسر وخنث الشيء فتخث ان عطفته
فتعطف (ولعلّ اللجنة أخذت بهذا المعنى) والخنث من ذلك لينه وتكسره .
أقول ما أغنانا عن استعمال هذه الكلمة التي تفيد المعنى غير المطلوب من
اللفظين الآتقين .

٨٣٥ وتيرة ، وترة (الأذن) Anthélix 835

عرفت اللفظة الفرنسية بأنه الجزء المنحني من عمود الأذن والكائن أمام

الكِفاف (Hélix) والذي يماثيه في معظم أجزائه . وجاء في المخصص الوتره
 عُصيرف في أعلى الأذن يأخذ من أعلى الصماخ ، والصماخ هذا الخرق الذي ينفضي
 الى الرأس . كما أن الوتره والوتره الحاجز بين المخزيرين (وهو المشهور المتعارف) .
 أفضل أن تترجم الكلمة بصَحْن الأذن فقد جاء في المخصص هو جوف الأذن
 الظاهر المتقعر فتبعد الالتباس بين الأذن ووتره الأنف .

٨٤٤ صادات عن الحياة ، مُرَدِيَات Antibiotiques 844

ومانات التعايش (Symbiose) لأن تماسها لأحد الجراثيم يجعل هذا
 يتوقف عن نشاطه الحيوي . و مُرَدِيَات تعني مِهْلَكَات الجرثوم أو الجراثيم ،
 وأرجع تخصيص هذه اللفظة لمضادات العفونة .

٨٤٥ ذيل القطب السلي Anticathode 845

وأفضل أن تترجم اللفظة بنظير القطب السلي .
 فقد عرفت بأنها الصفحة المعدنية أو المَدَف في مصباح كروكس (Crookes)
 الشماعي ، ومقرها مقابل القطب السلي ، وتلقى صدمة الأشعة السلية مولدة
 الأشعة السينية .

٨٤٧ ضد المُخَثَرَات Anticoagulants 847

والأفضل مضادات التخثر ، لأن استعمالها الطبي إنما يكون لتخفيف وطأة
 حدث التخثر لا لكبح جماح مواد مخثرة غير طبيعية .

٨٥١ بادزهر ، ضد السم Antidote, contre - poison 851

وأقر مجمع اللغة كلمة ترَبَاق ولا شك أنها تفضل على بادزهر التي سبق
 واستعملت في هذا المعنى ولا أرى داعياً الى بثها .

٨٥٨ ضد الخمج Antiinfectieux 858

. وأرجع ضد العفونة أو ضد الاتئان " .

(١) لقد تقدم رأي في الخمج (الصفحة ٩٥ من الجزء الأول من هذه المجلة) .

873	Antiputride	ضِدِّ الدَّعْصِ	٨٧٣
وأرجح ضد التفسخ باعتبارها دارجة ومعروفة .			
875	Antisepsie	تطهير	٨٧٥
876	Antiseptique	مُطَهِّر	٨٧٦
877	Antiseptiques désin- -fectants	مضادات الفساد ، مُطَهِّرات	٨٧٧
وأقر جمع اللفظة لمنع العفونة لـ (Antiseptique) ومطهر لـ (désinfectant) بينما أطلقت اللجنة على اللفظتين الأفرنجيتين كليهما مطهر . وعليه أرجح أن يقال للأولى منع الفساد وللثانية مانع العفونة أو الاتان ومانعات العفونة أو الاتان ومُطَهِّرات تباعا .			
882	Antitoxique	ضد السم	٨٨٢
وكذلك الترياق .			
883	Antitragus	مقابل الوتدة (الأذن)	٨٨٣
وهي الترجمة الحرفية للفظلة الفرنجية . ولعلها المحارة والصدفة كما جاء في الخصص . فالوَتِدَةُ كما جاء في الأخير التاشيز في مقدمة الأذن مثل التؤلؤل يلي العارض من اللعية ، والمحارة والصدفة هي ماتحت الإطار .			
888	Anurie	زُرَام	٨٨٨
وهو انقطاع البول . ففي اللسان وزَرِمَ دَمُهُ ، وبُولُهُ وحِلِفَتُهُ ، وكلامه وازرَامٌ انقطع ، وكل ما انقطع فقد زَرِمَ . فالزرام اذن ليس خاصا بانقطاع البول . ألا تفضل الكتان البيتان على الكلمة الواحدة القاموسية والغامضة ؟			
910	Aphasie	حُبْثَة	٩١٠
وأقر جمع اللفظة هذه اللفظة ، ودرج كاتب هذه السطور على استعمال			

الخَرَسُ^(١) . فَاخْرَسَ فَقَدْ انْقَطَعَ النُّطْقُ مِنْ جَرَاءِ إِصَابَةٍ فِي مَرَكِزِ التَّكَلُّمِ الْكَائِنِ فِي الدِّمَاغِ ، وَالْمَصَابِ بِهَذِهِ الْعَامَةِ الْعَصَبِيَّةِ لَا يَسْتَطِيعُ الْإِفْصَاحُ عَمَّا يَجُولُ فِي خَاطِرِهِ لَفْظًا ، وَيَشْفَى صَاحِبُ الْعِلَّةِ إِذَا كَانَ حَدَثًا ، وَعَلَى ذَلِكَ بِإِلَازِمِهِ فَقَدْ انْقَطَعَ دُونَ انْقِطَاعِ . يَبْنِي الْحُبْنَةُ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَقَدْ جَاءَ فِيهِ اللِّسَانُ : الْحُبْنَةُ وَالْإِحْتِبَاسُ فِي الْكَلَامِ التَّوَقُّفُ وَتَحَبُّسُ فِي الْكَلَامِ تَوَقُّفٌ قَالَ الْمَبْرِدُ فِي بَابِ عِلِّ اللِّسَانِ الْحُبْنَةُ تَعْذِرُ الْكَلَامَ عِنْدَ ارَادَتِهِ . وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الْحُبْنَةَ تَنْطَبِقُ عَلَى مَا نَسَمِيهِ بِالْخَرَسِ الْمَوْقُوتِ وَالْعَارِضِ (Aphasie transitoire) وَهُوَ أَنْ يَتَوَقَّفَ الْمُتَكَلِّمُ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ مَدَّةً مِنَ الزَّمَنِ وَيَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ بَعْدَ ذَلِكَ شَأْنَهُ فِي السَّابِقِ .

وَكَلِمَةُ الْخَرَسِ سَبَقَ لِمَجْمُوعِي أَنْ اسْتَعْمَلَهَا فِي كَامِلِ الصَّنَاعَةِ^(٢) فِي عِلِّ اللِّسَانِ .

٩١٦ مَنَعَطَاتُ Aphrodisiaques 916

وَلَعَلَّ اللَّجْنَةَ اسْتَعْمَلَتْ هَذِهِ الَّلَفْظَةَ قِيَاسًا ، وَالْمَشْهُورُ عَنْهَا مَقْلَعَةٌ . فِيهِ اللِّسَانُ

(١) الجزء الأول من علم الأمراض الباطنة طبع سنة ١٩٣٥
(٢) الصفحة ٣٤٨ من الجزء الأول من كَامِلِ الصَّنَاعَةِ الطِّبِيَّةِ . بِقَوْلِهِ : وَأَمَّا مَا يَمْرُضُ لِلْغَبِّ الَّذِي فِي اللِّسَانِ مِنَ السَّلِّ فَهِيَ مَا يَمْرُضُ لِلْغَبِّ الَّذِي يَكُونُ بِهِ حَسُّ الْمَذَاقِ وَهُوَ قَلْبَانِ الْمَذَاقِ وَهَدْمُهُ وَهَذَا يَكُونُ إِذَا لَمْ يَحْسُ الْإِنْسَانُ بَنِيٍّ مِنَ الطَّعْمِ فِي فَمِ الْبَنَةِ . وَمِنْهَا مَا يَمْرُضُ لِلْغَبِّ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الْكَلَامُ وَالْحَرَكَةُ وَهُوَ قَلِّ اللِّسَانِ وَعَدَمُ الْكَلَامِ الَّذِي يَقَالُ لَهُ الْخَرَسُ وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ تَمْرُضُ : إِمَّا لِسَرِّ الْمَزَاجِ الْقَالِبِ عَلَى الْغَبِّ ، وَإِمَّا لِسَدَّةٍ تَمْرُضُ فِيهِ إِمَّا مِنْ وَدَمٍ ، وَإِمَّا مِنْ ضَعْفٍ ، وَإِمَّا مِنْ خَلْطٍ يَلْتَصِقُ غَلِيظٌ يَنْصَبُ إِلَى الْأَعْصَابِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ تَفَرُّقِ الْإِنْتِصَالِ يَمْرُضُ لِلْغَبِّ بِمَنْزِلَةِ الْهَتَكِ ، أَوْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ خَلْطٍ حَارٍّ ، أَوْ مِنْ ضَرْبَةٍ أَوْ مِنْ صَدْمَةٍ تَقَعُ عَلَى الدِّمَاغِ ؛ وَالْعَلَامَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ كَالْعَلَامَاتِ الدَّالَّةُ عَلَى عِلِّ الْحَوَاسِ الَّتِي ذَكَرْنَا فَبَلْ وَقَدْ يَمْرُضُ قَلِّ اللِّسَانِ وَعَدَمُ الْكَلَامِ لِمَا تَكُونُ فِي الْجُزْءِ الْمُدْمِ مِنَ الدِّمَاغِ الَّذِي يَنْبَغِ مِنْهُ الْغَبُّ الَّذِي يَأْتِي اللِّسَانُ وَفِي الدِّمَاغِ هَلْ هـ .

الغُلة بالضم شهوة الضراب غليم الرجل وغيره بالكسر يقلم غلماً واغتم اغتلاماً
إذا حاج الى أن قال وقد أظلمه الشيء وقالوا أظلمُ الألبان لبن الخليفة يريدون
أظلمُ الألبان من شربه وقائوا شرب لبن الأبل مغلسة أي انه تشدد عنه الغلسة .

٩١٩ حكمة Aphantongie 919

عرفت اللفظة الفرنجية بأنها ضرب من اضطراب النطق يجاز بتشنج العضلات
الموكلة باللفظ والمعصبة بعصب قبح اللسان كما أنه جاء في الترجمة الانكليزية
للمعجم نفسه ما يفيد المعنى المذكور نفسه ؛ أما الحُكْنة فقد جاء في اللسان :
الحُكْنة كالهُجْنة لا يبين صاحبها الكلام ، والحُكْنة والحِكْية الشثفة .
ابن الأعرابي في لسانه حُكْنة أي عُجْنة لا يبين الكلام .

لذا أرجح في ترجمة هذه اللفظة كلمة العُقْنة ففي اللسان واعتقل لسانه
امتسك ، مريض فاعتقل لسانه اذا لم يقدر على الكلام ، أقول : والاعتقال
أكثر انطباقاً على التشنج في عضل اللسان من سواء .

٩٢٣ غشاء عضلي ، ثغافة Aponévrose, fascia 923

وأقر مجمع اللغة كلمة الصفاق وهي الدارجة على ألسنة الأطباء . بينما اللجنة
خصت كلمة الصفاق بالغشاء المعروف بالبريطون ، وسأعود الى النظر في صحة
هذه الكلمة عند الكلام على لفظة البريطون . وقد جاء في اللسان الصفاق
جلدة رقيقة تحت الجلد الأعلى وفوق اللحم ، وهو ما ينطبق على معنى اللفظ
الافرنجي تماماً .

٩٩٦ عمى البصيرة Apyroxie. 997

وفي الأصل من المعجم (Apyrexie) ومعناها لاُحمى ، وهو لاشك
غلط مطبعي في اللفظة الفرنجية وغلط ترجمة في اللفظ العربي ، إذ لا عمل لصي
البصيرة هنا . ولم تنبه اللجنة الى تصويب هذا الخطأ .

٩٩٧ ذوماء ، مائي Aquatique 997

واللفظة تفيد ما هو منسوب الى المستنقع . وتشمحل في الغالب للحيوان
أو النبات الذي يعيش في المنافع أو الجداول مما ينبغي أن تميز عن (Aqueux)
كأن يقال مستنقي أو منافي .

١٠٣٠ لُغوة Aréole du mamelon 1030

والمشهور عنها السمدانة ، فقد جاء في المخصص : السمدانة ما اسود من الثدي
حول الحلمة ، وفي اللسان : والسمدانة الشندوة ، وهو ما امتدار من السواد
حول الحلمة ، وقال بعضهم : سمدانة الثدي ما أطاف به كالفلكة . ولم أجد
الى مصدر لُغوة .

١٠٤٢ داء لاجيمين ب ، داء اللاجين Ariboflavinose 1042

الناجم عن نقص الريبوفلافين

وأدعوه عَوَز الريبوفلافين .

١٠٤٣ جنون حسابي Arithmomanie 1043

وأرجع وَلَع المَدَّة ، لأن المصاب بهذا الخلل لا يفتأ بعد الأشياء ،
ويشتغل في الأرقام دوماً .

١٠٥٦ دار صناعة الأدوية Arsenal thérapeutique 1056

مصنع الأدوية

جاء في تعريف كلمة (Arsenal) مصنع الأسلحة ومدخرها ، على حين
أن المراد بـ (Arsenal thérapeutique) ليس مصنع الأدوية كما ذهبت اليه
اللجنة ، ولو كان ذلك هو المقصود لجاء بالفرنسية (Usine) أو (Fabrique) .
والمراد هو جَعْبَة المداواة أو خزانتها^(١) . وعلى ذلك نرى الترجمة الانكليزية

(١) ككوك ليس في جبة أدويتنا أو مداراتنا أو خزانتها أفضل من المختار لللال

في معالجة الداء الذي نحن بمسدده (Il est le meilleur médicament dans)

. (notre arsenal thérapeutique)

لهذا المصطلح في المعجم الأصلي هي (Therapeutique Armement) ومعناه السلاح الدوائي ، والترجمة الألمانية (Heilschatz) ومعناها خزانة الشفاء .

١١٢٤ عَصَابُ الْمَفْصِلِ ، ظِلَاع Arthralgie, arthrydie 1124

وبعني باللفظة الفرنجية ألم المَفْصِلِ ووجهه . وأقر بجمع اللفظة البدل (ألم المفاصل) فقد جاء في اللسان : والبدل جمع في اليدين والرجلين ، بدل بالكسر يبدل بدلاً فهو بدل إذا وجمع يديه ورجليه .

أما استعمال اللجنة كلمة عَصَاب فقد ذكرت اللجنة في الأصول الذي اتبعته في وضع المصطلحات ^(١) وزن فعال للداء في حش أو عضو لكباد وعَصَاب وقلاب ، كما ينبغي معه تخصيص عَصَاب بالألم العصبي (Névralgie) وألم المفصل لا صلة له بإبلام العصب ، وأما 'ظِلَاع' فقد جاء في اللسان : الظِّلْعُ كالْعَمَزِ ، ظَلَعَ الرجل والدابة في شبه يَظْلَعُ ظُلْعاً عَمَزَ وعَمَزَ في شبه ثم قال : والظِّلَاع داء يأخذ في قوائم الدواب والابل من غير سير ولا تعب فتَظْلَعُ منه ، وطبعي أن ألم المفصل أو المفاصل لا يشترط فيه أن يكون في الرجلين فكثيراً ما يبدو في اليدين .

١١٢٥ التهاب المَفْصِلِ Arthrite 1125

أقر المجمع الرئية لهذا المصطلح ، والأفضل تخصيص الرئية للروماتيزما ، شأن ما فعلته اللجنة .

١١٢٧ حَرَضٌ ، تَأَمِبٌ حَرَضِي Arthritisme, diathèse 1127

اغْتِذَائِي أو حَتَلِي arthritique, bradytro-

-phique ou dystrophique

ويقصد من المصطلح الفرنجي (Arthritisme) التأمب المرضي الناجم عن الإبطاء في التطور الاغْتِذَائِي والبادي سريريا بحالة حالات مرضية كالبدانة

والداء السكري والرمال البولية والقرص وغيره ، فهو إذن تأهب للإصابة ببعض الطل لاعلة معينة وخيمة . أما الحَرَضُ فقد جاء في اللسان أحرَضَه الحَرَضُ فهو حَرَضٌ وحارَضٌ إذا فسَدَ بدنه وأشرف على الهلاك وحَرَضٌ يَحْرِضُ ويَحْرِضُ حَرَضًا وحَرُوضًا هلك . ويقال كَذَبَ كِذْبَةً فَأَحْرَضَ نفسه أي أَهْلَكَهَا وجاء يقول حَرَضَ هالك إلى أن قال : وقال الفراء في قوله تعالى : « حتى تكون حَرَضًا أو تكون من الهالكين » . أقول مما يدل على أن الحَرَضَ هي حالة الهلاك أو الاشراف عليها ، وليس الأمر كذلك في اللفظة الافرنجية .

لذا أرجح في ترجمة هذا المصطلح : تأهب مَقَمَلِي (لأن الآراء الحديثة تكاد تَحْصُرُ التأهب في الإصابة المفصلية دون سواها وهكذا استبعد الداء السكري منه) إبطاء التغذية (bradytrophie) أو فساد التغذية (dystrophie) . وبعد كتابة ما تقدم اطلعت على تصحيح ورد لهذه اللفظة لم أُنْبِه إليه ، وهو تصحيح اللجنة لَحَرَضَ واستبدلها بـ قُفَاص الذي لا يفيد المعنى المطلوب فقد جاء في اللسان والقفاص داء يصيب الدواب فتبيسُ قوائمها .

١١٣١ مَرَضٌ مفصلي Arthropathie 1131

ودرج كاتب هذه السطور على ترجمة اللاحقة (pathie) باعتلال تمييزاً لها عن العلة (Affection) ، والمرض أو الداء (Maladie) فأقول إعتلال المفصل أو الاعتلال المفصلي ، ومن المعلوم أن العلة إحدى ظاهرات المَرَضِ .

الدكتور حسني سبيع

(للبحث صلة)

مختارات مما لم يُنشر من شعر البحتري

- ٤ -

قال البحتري^(١) يمدح الفتح بن خاقان^(٢) ، واقترح عليه هذا الوزن لأنه قيل له
إنه يتنعل أشعار العرب :

أُصْدُوهُ غَلا بِهَا أَمْ دَلالُ يَوْمَ زَمْتُ^(٣) بِرَامةَ^(٤) الأَجْمالُ

(١) القصيدة من الخفيف ، عدد أبياتها ٣٧ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة

الوطنية بباريس (رقم ٣٠٦٨ من القسم العربي) الورقة : ٣٣٤ ظ - ٣٣٥ ظ ؛

وما يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري أن عبد القاهر الجرجاني أثبت أحد أبياتها -

- البيت ١٩ - فيما اختاره من ديوان البحتري (المختار من دواوين المتنبي والبحتري

وأبي تمام بتحقيق السيد عبد العزيز الجيني : الطرائف الأدبية مصر ١٩٣٢ : ص ٢٧٠) .

(٢) الفتح بن خاقان صاحب المتوكل وأمين سره وقد قتل معه عام ٢٤٧ هـ ، وهو أديب

شاعر من كبار مثقفي القرن الثالث ؛ كان يملك خزانة كتب حافلة ، وله ألف البحتري

(كتاب الحماسة) على نهج حماسة أبي تمام ، ومدحه بما يقرب من ثلاثين قصيدة

(راجع ترجمته في الفهرست ، مصر ١٣٤٨ هـ ص ١٦٩ - ١٧٠ ؛ ومجمع الأدباء

لباقوت ، المأمون ١٩٣٦ م ج ١٦ / ١٧٤ - ١٨٦ ؛ وفوات الوفيات ، مصر ١٩٥١

ج ٢ / ٢٤٦ - ٢٤٧ ؛ وانظر الفصل الرابع من كتاب أخبار البحتري : ٨٣ - ٩٩) .

(٣) زَمَّ البعيرَ : خَطَّمَهُ بالزمام .

(٤) موضع بالبادية ، قيل بالعقيق ، وقيل وراء القريتين في طريق البصرة إلى مكة ،

وقيل إنه من ديار بني عامر . (راجع المحيط وما على الهامش من تعليقات) .

أَمَرَضَتْ عَطَقَةَ الْفَضِيبِ وَحَادَتْ^(١) مِنْ قَرِيبٍ كَمَا يَجِيدُ الْغَزَالُ
عَهْدَتَنِي وَلِلشَّيْبَةِ سِرْبًا لَ جَدِيدٍ فَأَنْتَهَجَ^(٢) السَّرْبَالُ
وَرَأَتْنِي تَدَارِكُ الْحِلْمُ مِنِّي وَتَنَاهَى عَنْ عَذْلِي الْقَذَالُ
إِنْ يَمُدُّ هَجْرُهَا جَدِيدًا فَقَدْ كَا نَ جَدِيدًا مِنْهَا وَمِنَّا الْوِصَالُ
إِذْ حَوَانِي الزَّمَانِ خُضِرَ رِقَاقُ وَقَنَاءُ الْأَيَّامِ فِيهَا اعْتِدَالُ
وَلَمَّا بِالْكَتِيبِ مِنْ جَنْبِ حَزْوَى^(٣) أَنَسُ^(٤) قَاطِنٌ وَحَيٌّ حِلَالُ
ذَكَرْتَنِي الرُّسُومُ وَالْأَطْلَالُ صَبَوَاتٍ ذِكْرِي لَهْنٌ ضَلَالُ
قَلَفُ الْحِلْمِ أَنْ يُطَاعَ النَّصَاحِي وَرَدَى اللَّهُ أَنْ يَشِيبَ الْقَذَالُ^(٥)
أَبْرَحَ^(٦) لِلْعَيْشِ فَاَلْمَشِيبُ قَذَى فِي أَعْيُنِ الْبَيْضِ^(٧) وَالشَّبَابُ جَمَالُ
تَوَلَّيْنَا وَأَيْنَ مِنْكَ النَّوَالُ وَعَدِينَا وَوَعْدُكَ مِنْكَ آلُ^(٨)

(١) حاد عن الشيء، يجيد : صدق عنه وعدل .

(٢) أنهج الثوب : إذا أخذ في اليلى ولم يتشقق .

(٣) 'حزوى : موضع بنجد في ديار نعيم ، وقيل هو جبل من جبال الدهناء (معجم البلدان ،

بيروت : ٢٥٥ / ٢) .

(٤) الأنس : الناس والحي المقيمون ، والأنس ضد الوحشة .

(٥) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

(٦) أبرح : أذى وآلم وعذب .

(٧) كناية عن النساء .

(٨) سراب خادع .

أنا راضٍ بأن تجسودي بقولٍ كاذبٍ أو يُطيفَ منك خيالُ
 أيتها المبتغى مُسَاجَلَةَ الفتحِ حَنَاولَتَ نَيلَ ما لا يُنالُ
 أين تلك الأخلاقُ منك إذا رُمَتْ مَداها وأين تلك الحلالُ
 لن تجارى البحارَ حينَ يَحمِشُ السَّمدُ فيها ولن تُوازى الجبالُ
 يَبْمدُ البائنُ^(١) المُبرِّزُ قوتًا وَتَدانى^(٢) الضُّرُوبُ والأشكالُ
 لم تُسَلِّمْ لهُ المُقادَةَ حتى عرفتَ فضلَهُ عليها الرجالُ
 رَفَتَ مَجْدَها^(٣) عليه تَنوُخٌ فله فوقَ غيرِهِ إِطْلالُ
 قائلٌ فاعِلٌ وليس يكونُ القولُ مجداً حتى يكونَ الفَعَالُ^(٤)
 وصحيحُ السَّماحِ بينَ أناسٍ في سَجاياهم علينا اعتلالُ
 ثابتٌ في المَكْرُ إن زاح^(٥) للفرسانِ عن جانبِ الصريحِ مجالُ
 ملكٌ يَسْتَقِلُّ في رأيه المُلْكُ وَيَحْيَا في فضله الإِفْضالُ
 وإذا ما حَلَّتْ رَبعَ أبي الفضلِ نَمَّ السَّماحُ والإِبلالُ
 مُتَعَلِّ على الخطوبِ إذ^(٦) العا ثُرُ كَابٍ في صرفها ما يُقالُ

(١) الغالب في الفضل والمزية .

(٢) مجذف التاء : تتدانى = تتقارب .

(٣) في الأصل : مجده .

(٤) اختار الجرجاني هذا البيت في مختاره .

(٥) تباعد ، وفي الأصل : راح للفرسان عن جانب الصريح محال .

(٦) في الأصل : إذا .

ومقيمٌ صَفَاً ^(١) الأمور وفيها حَيْدٌ ^(٢) عن جهاتها وانفتالٌ
 مُتَحَرِّ ^(٣) عَلَى الخِلافة ما يَنْقُصُ في حظها ولا يفتالٌ
 شاهرٌ دُونَ حَقِّهَا عَزَمَاتٌ قَتَعَامِيٌّ مَكْرُوهٌهَا الأَبْطَالُ
 وسيوفاً إِنْيَاضُهَا أَوْجَالٌ لِلْأَعَادِي ووقُوعُهَا آجَالُ
 مرهفات لها ، إِذَا أَظْلَمَ النَّقَمُ عَلَيْهَا ، تَوَقَّدَ واشتعالُ
 أَبَدًا يَسْتَجِدُّ مِنْهَا حَدِيثًا نِ : دَمٌ مِنْ عَدُوِّهِ وَصِتَالُ
 كُلِّهَا جِئْتُهُ تَعَرَّفْتَ تَجَدُّاً مُسْتَفَاداً لِلطَّرَفِ فِيهِ مُخَالٌ ^(٤)
 حَيْثُ لَا تَدْفَعُ الْحَقُوقَ الْمَعَادِيْرُ وَلَا يَنْبِقُ الْعَطَاءُ السُّؤَالُ
 أَعُوْزْتُ مِنْ سِوَاكَ عَارِقَةُ الْجَوِّ دِ وَخَابَتْ فِي غَيْرِكَ الْآمَالُ
 أَنَا مِنْ بَلَّةٍ نَدَاكَ وَأَهْلَكَ مِنْهُ آلاؤُكَ الْعِرَاضُ الطِّوَالُ
 وَتَوَلَّيْتُ أَنْعَمُ مِنْكَ يُحْمَلْنَ خِفَافًا وَهَنْ وَقَرٌّ ^(٥) يَقَالُ
 مَالِثٌ بِذِكْرِكَ الْأَرْضَ شُكْرًا وَثَنًا وَسِيرُهَا أَرْسَالٌ ^(٦)
 طَالَعَاتٌ تِلْكَ النِّجَادَ قَفِي كُلُّ مَقَامٍ لَهْنٌ فِيكَ مَقَالُ

* * *

(١) الصفا : الميل .

(٢) جمع حَيْدٍ : اعوجاج والتواء .

(٣) تَحَرَّى الأمر : قصده وتوخاه واجتهد في طلبه وفي الأصل : تمنى .

(٤) فِي الأصل : محال ، ومخال من أخال فيه : تفرس وتوسم .

(٥) الْوَقَرُ : الجمل الثقيل .

(٦) أفواج بعد أفواج .

ملاحظات ونظرات

١ - للبحثري في الفتح بن خاقان شعر كثير ، أكثره في ديوانه المطبوع ، والذي لا يزال مخطوطاً منه قليل لا يزيد على ثلاث قصائد ، منها هذه القصيدة التي تنشر لأول مرة .

٢ - أول اتصال للبحثري بالفتح كان في سنة ٢٣٣ هـ - كما يذكر الصولي في أخبار البحثري ص ٨٣ - وقد لقي الشاعر من مدح مدح تشجيعاً أنار عليه قهقهة حمادة الكشيرين ، فراحوا يكيدون له عنده ، ويتهمونه بانتحال أشعار العرب ، وقد كانت هذه القصيدة امتحاناً لشاعرية البحثري ، ذلك أن الفتح اقترح عليه وزنها ، وقد دأب الشاعر بنجاحه فيها على أصالة موهبته وامتناعه لناسية فنه ، وحقاً له أن يقول في قصيدة أخرى يمدح بها الفتح ، ولا تزال مخطوطة أيضاً :

إذا كداني الفتح أثواب القتي فكسوتي إياه مدح متخب
قصائد تطرب من تهدي له ولنة النفس من العيش الطرب
لم أستمع حليتها يوماً ولا أغرت حين قلنا على الكعب

(مخطوطة باريس : الورقة ٣٩ د - ظ) .

٣ - ولهذا نرجح أن يكون تاريخ نظم القصيدة في الفترة الأولى من اتصال البحثري بالفتح ، عام ٢٣٣ هـ ، وقبل أن يتيقن الفتح من أصالة موهبة البحثري وغنى طاقته الشعرية .

٤ - تقع القصيدة في قسمين متميزين : نسب ومدح .

أما النسب فيشغل الآيات (١ - ١٢) وهو غزل تقليدي يتحدث في رشاقة وبراعة عن صد المحبوبة ودلالها وهجرها وإعراضها عن الشاعر منذ ولي شبابه ، وأصبحت الصبوات من بعد ذلك ذكريات حلوة تهبها الأطلال والرسوم ، وأمسى الشاعر يقنع بالوعد الكاذب والخيال الزائر .

وأما للمدح فيشغل بقية الآيات (١٣ - ٢٢) وقد أغناه البحثري بكثرة الصور

وتنوعها ، وفيها يمجّد أخلاق الفتح وسجاياه ، فهو فرد لا نظير له ، عرف الجميع فضله فأسلموا له المقادة ، وهو قوّال فعّال ، صمّح شجاع صائب الرأي ، كريم مضياف ، لا تنال منه الخطوب ، مصلح يقوم اعوجاج الأمور ، ويحمي أجماد الخلافة بعزماته وجهاده وحروبه ، وهو سخّي يسبق عطاؤه سؤاله ، والشاعر غارق في فيض من آلائه وعطاياه ، شاكر حامد ، لا يفتر عن الحمد والثناء .

٥ - الانتقال من النسب إلى المدح انتقال مفاجئ ، وذلك عادة من البحتري ألفناها منه ، وقد أهمل في المدح تمجيد شرف نسب معدّوّه ، ووثقى النصيرين الآخرين (الكرم والشجاعة) تصويراً وتلويناً ، وأبرز دور الفتح في دعم الخلافة وإسهامه في تدبير أمورها ، ولم يكن الشاعر في كل ذلك مغالباً ، فالفتح بن خاقان كان دون رب من أخطر شخصيات عهد المتوكل وأشدّها وعياً وأحكمها سياسة وتديراً .

٦ - تمتاز القصيدة بالمنعة الكثيرة المتأقّة ، ففيها فيضٌ من التشايب والاستعارات والمحسنات البديعية ، وذلك تأثير أبي تمام في تليذه البحتري لا يزال غفّاً شديد الوضوح ، ولما تمض على وفاة (الأستاذ) - كما كان البحتري يسمي أبا تمام - سنة وبعض السنة ، وسبتحلّ الشاعر كلما امتد به العمر من طوابع مدرسة أبي تمام ومياسمها حتى يصبح الطبع غلاباً على المنعة في قنّه .

٧ - تظهرنا القصيدة على مقدار الجهد الفني الذي بذله البحتري في نظمها ، ففي النسب وحده ثلاثة أبيات مصرّعة (الأول والثامن والحادي عشر) وأكثر القوافي فيه مرشحة ، والصور تزدهم في القصيدة كلها في إحكام متين ، وإيجازٍ خاطف ، وعرضٍ حيٍّ مشير ، وليس هذا عجيباً فهذه القصيدة التي يختير بها الفتح شاعرية مدّاحه هي أجود ما نستطيع عبقرية البحتري أن تتخضّ عنه آنذاك ، وما كان للشاعر إلا أن ينفجر كل طاقته وإمكاناته التي يمتلكها إلى ذلك اليوم ، وهو يثبت لتحمدي ، ويخوض معركة الحاسمة مع حسّاده ، مناخلاً في سبيل مستقبله ومجده الأدبي في بغداد .

٨ - القصيدة إذاً من جيد شعر البحتري ومختاره ، وكفى البحتري غزراً أن يقول

مثل هذا الشعر وهو شابٌّ لما يبلغ الثلاثين !

- ٥ -

قال البحرى^(١) يرثي أم المتوكل^(٢) :

غروب^(٣) دمع من الأجفان تنهبلُ وحرقة بلبيل الحزن تشتعلُ
وليس يُطفى نار الحزن إذ وقّدت على الجوانح إلا الواكف^(٤) الخضل^(٥)
إن كج حزن فلا بدع ولا عجب وفل صبر فلا لوم ولا عذل

(١) القصيدة من البسيط ، عدد أبياتها عشرون ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحرى بالمكتبة الوطنية بباريس ، الورقة : ٣٤٩ ظ — ٣٥٠ و ؛ وبما يؤكد صحة نسبتها إلى البحرى أن المعري يذكر الشطر الأول من المطلع والبيت ١٦ منها في عبث الوليد (مطبعة الترقى بدمشق ١٩٣٦ : ص ١٦٩ — ١٧٠) .

(٢) أم المتوكل خوارزمية اسمها شجاع ، كانت أم ولد ، وكانت تدعى السيدة ، وبذكر ابن قفري يردي أنها « كانت صالحة كثيرة الصدقات والمعروف » وقد حزن المتوكل لوفاتها حزناً شديداً ، وكانت وفاتها لت خلون من ربيع الآخر سنة ٢٤٧ هـ ، وقتل المتوكل بعد وفاتها بستة أشهر (راجع النجوم الزاهرة : مصر ج ٢ / ٣٢٣ ومروج الذهب للمسعودي مصر البهية ١٣٤٦ هـ ج ٢ / ٣٦٨ ، ٣٩١ وتاريخ الطبري في حوادث سنة ٢٤٧ هـ) .

(٣) جمع غروب : الدلو العظيمة ، والدمع وميله أو انهلاله من العين أو الفيضة منه .
(٤) الدمع السائل .
(٥) الندي المبتل .

عَدْرِي لَقَدْ نَدَحَ الحَطَابُ الَّذِي طَرَقَتْ
 إِلَيْهِ أَيْ يَدَ بَانَ الحِمَامُ بِهَا
 سَيِّدَةُ النَّاسِ (١) حَقًّا بَعْدَ تَسِيدِهِمْ
 جَرَى لَهَا قَدْرٌ حَتَمَ فَعَلٌ بِهَا
 فَكُلُّ عَيْنٍ لَهَا مِنْ عَذْرَةٍ وَدَرٍّ (٢)
 عَمَّ البَكَاءُ لَهَا مِنْ (٣) المَصَابِ بِهَا
 فَالْشَّرْقُ وَالْغَرْبُ مَعْدُورَانِ مِنْ أَسْفٍ
 مَتُوبَةٌ اللَّهُ يَمَّا فَارَقْتَ عِوَضُ
 قُلْ لِلْإِمَامِ الَّذِي آلاؤُهُ جُمْلُ
 لَاكِ الْبَقَاءِ عَلَى الْأَيَّامِ يُقْتَبَلُ (٤)
 وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ
 إِذَا بَقِيَتْ لِدِينِ اللَّهِ تَكَلُّوهُ

بِهِ الْإِسَالِي وَجَلَّ الحَادِثُ الْجَلَلُ
 مِمَّا وَائِيَةٌ تَقْسِي غَالَهَا الْأَجَلُ
 وَمِنْ لَهَا المَأْثُرَاتُ الشُّبُّقُ الْأَوَّلُ
 مَكْرُوهُهُ وَقَضَائِ مُوَشَّكَ عَجِلُ
 وَكُلُّ قَابٍ لَهُ مِنْ حَسْرَةٍ شُغْلُ
 كَمَا يَعُمُّ مَحَابُ الدَّيْمَةِ الْهَاطِلُ
 بَاقٍ لِقَدَمَانِهَا وَالسَّهْلُ وَالْجَبَلُ
 وَجَنَّةُ النَّحْلِ يَمَّا خَلَفْتَ بَدَلُ
 وَبِشْرُهُ أَمَلٌ وَسُخْطُهُ وَجَلُ
 وَالْعُسْرُ يَمْتَدُّ بِالنُّعْمَى وَيَتَّصِلُ
 فِدَاءُ نَعْمِكَ أَنْ يَفْتَالِكَ التَّوَلَّى
 فَكُلُّ رُزْزٍ صَغِيرُ الْقَدْرِ مُحْتَمَلُ

(١) فِي النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ أَنَّ أُمَّ التَّوَكُّلِ كَانَتْ تُدْعَى السَّيِّدَةِ ، كَمَا قَدَمْنَا ، وَإِلَى هَذَا يُشِيرُ الْبَحْتَرِيُّ هُنَا .

(٢) فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ : مَحَابَةِ مِدْرَارٍ وَلَهَا دِرَّةٌ وَدِرَرٌ .

(٣) فِي الْأَمَلِ : وَالْمَصَابِ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْوِزْنُ .

(٤) يُسْتَأْنَفُ ، اقْبَلِ الْبَقَاءَ : اسْتَأْنَفَهُ .

لئن رُزيتَ التي ما شامَ امرأة^(١) لقد أتيتَ الذي لم يُوثَّقه^(٢) رُجلُ
صبراً ومعرفةً باللهِ صادقةً والصبرُ أجلُّ ثوبٍ حين يُبتذلُ^(٣)
عزيتَ نفسك^(٤) عنها بالنبيِّ وما في الحُلْدِ بعد النبيِّ المصطفى أملُ
وكيف زجرُ خلوداً لم يُخصَّ به من قبلنا أنبياءُ اللهِ والرُّسلُ
عَمَرَكَ اللهُ في السماءِ مُبتهجاً بها وأعطاكَ منها فوق ما تَسَلُ

* * *

(١) كذا في المخطوطة الباريسية ، وفي عبث الوليد (مرّة) وتعليق للمعري يقول فيه : (قد جمع أبو عبادة في قوله «مرّة» بين شيئين ، تخفيف الهزة التي في قولك «مرأة» ، وحذف الهزة الأولى التي هي همزة الوصل ، وهذا جائز على قلته ، ومنه قول بعض اللصوص : ولستُ أرى امرأةً تطولُ حياتُهُ فتُبني له الأيامُ خلاً ولا عمّاً) ومنه أيضاً قول دعبل الخزاعي معاصر البحتري وصديقه :

فاحفظ عشيرتك الأدينين إن لهم حقاً يفرق بين الزوج والمرّة
(الكامل للمبرد ، طبعة المبارك وشاكر ١٣٥٥ هـ : ج ١ / ٣٥٤) .

(٢) في الأصل : بأنه ، وأثبتنا ما جاء في عبث الوليد ، وقد علق المعري على قول البحتري (أتيت) بمعنى (أتيت) فهي كلمة لم تستعمل لذاك ، وخيرٌ للبحتري أن يقول (فقد حيت) .

(٣) ابتذل الثوب : لبسه .

(٤) يشير البحتري هنا إلى قول المتوكل عند وفاة أمه ، فقد ذكروا أنه قال في موتها يتناً من الشعر ، وهو :

تذكرتُ لما فرّق الدهرُ بيننا فعزيتُ نفسي بالنبي محمد
وقد أجازَه له بعض من حضر فقال : فن لم يميت في يومه مات في غدٍ
قلتُ لها إن المنايا سيلتأ (انظر النجوم الزاهرة : ٢ / ٢٢٣) .

ملاحظات ونظرات

١ - لم يرد لأم المتوكل في شعر البحتري ذكرٌ في غير هذه المراثية التي بكأها بها في حياة ولدها ، فأدعى بذلك واجب الشاعر الرسمي للخليفة ، وإن لم يكن للحدث الحزن صلة بقلبه ووجدانه ، على أن أم المتوكل كانت - فيما يحكيه المؤرخون عنها - سيدةً جليلةً سالحةً ، تبسط يدها في الإحسان إلى الفقراء من مالها ، وكانت أحزان المتوكل لوفاتها عميقة ، أنطقته بالشعر الحزين بكاءً عليها ، ولهذا كان المأمول من شاعر الخليفة أن يعمق إحساسه بآلام سيده وأن يتشبهها وأن يجد السبيل إلى قول مضموس بدم القلب ، لولا أن البحتري من طبيعة نفسية مرحة ، تنفر من الكآبة ، وتسعصي على المشاركة الوجدانية الصادقة في مآمي الآخرين .

٢ - تاريخ نظم القصيدة سهل التحديد ، فقد توفيت أم المتوكل سنة ٢٤٧ هـ ، ولحق المتوكل بها بعد ستة أشهر من وفاتها ، وفي خلال هذه الفترة دونت ربب نظم البحتري هذه المراثية .

٣ - إذا استثنينا من مراثي البحتري قصيدتين مما رائته في المتوكل وميخته في أبناء حميد الطوسي (الديوان : الجواب : ١ / ٢٨ ، ٢ / ٥٥) لم نجد للبحتري إبداعاً في الرثاء ، ذلك أن الشاعر كان يبكي في هاتين المراثيتين نفسه ويندب أقول مجده بمصرع المتوكل والقادة الطائيين من آل حميد ، فجاء رثاؤه هنا صادق اللوعة ، بفيض وفاء ويتدفق إخلاصاً وجدّةً وأصالة ؛ أما مراثيه الأخرى فهي قصائد يابسة لا تخرج على النهج التقليدي لمرثية ، والبحتري يستهلها غالباً بتعظيم الرزء ، ودم الدهر الخوان ، والتوجع من صروفه قبل أن يصل إلى الفقيد فيعدد مناقبه ويصور الفراغ الكبير الذي خلفه بوفاته ويصف الحزن الطاغى لفقده ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى أهل الفقيد فيعزيهم ويمدحهم ، وبذلك يصبح الرثاء جسراً إلى المديح ، ويتخلص الشاعر من كآبة جو الموت ، باحثاً بعينه النهنتين أبدأً إلى المال عن عمدوح جديد سخي . من أهل الراحل ، يحل محله ، ويميزي الحمد بالثمن الريح .

٤ - ورثاء البحتري لأن المتوكل يجمع هذه الخطوط العامة التقليدية ، ذلك أننا نلاحظ في القصيدة الأقسام الثلاثة التالية :

أ - تصوير الحزن وتعظيم المصائب : ويشغل الآيات (١ - ٤) فالدمع مكوب ، والحزن مشتعل الحرقه ، والصبر مفلول عند هذا الحادث الجلل .

ب - تمجيد الفقيده : ويشغل الآيات (٥ - ١١) فقد كانت ذات يد كريمة ونفس طيبة ، وكانت سيده الناس بآثرها ، فأرداها الموت ، فبكتها العيون والقلوب ، وعم الحزن الناس في الشرق والغرب ، والسهل والجبل ، ودعوا أن يثيبها الله الجنة .

ج - تعزية الخليفة ومدحه : ويشغل الآيات الباقية (١٢ - ٢٠) والبحتري يصف هنا آلاء الخليفة وبشره وهيبته ، ويدعوه بطول العمر ، ذلك أن بقاءه بقاء للدين ، وكل خطب حين بعده ، والمتوكل قد أوتي الصبر والإيمان فعزى نفسه عن أمه بالنبي ، وكيف يرجو لها خلوداً لم ينله قبلها الأنبياء ! ويسأل الشاعر الله أخيراً أن يمد في حياة الخليفة ويزيده نعمة وبهجة ، وأن يعطيه فوق ما يسأل .

٥ - في القسمين الأول والثاني وصف للعزف بلهجة تقريرية جافة ومبالغات يانسة تجعل الحداد شاملاً للشرق والغرب ، والسهل والجبل ، ولم يوفق البحتري إلى أن ينجني بهذا الطلاء فقر اتفعله وقصور عاطفته وتغور وجدانه من الانقباس في الجوا الحزين القائم الذي يرسم خطوطه ؛ أما القسم الأخير فيكاد يكون مديحاً خالفاً للخليفة ، مقطوع الصلة بالإطار الأسود الذي تقدمه ، ذلك أننا نرى الشاعر فيه وقد يرقأ أساريره ، فذكر البشر والنماء والبهجة ، وكأنه نسي ما كان يسكبه من (غروب السمع) وما كان يشعله من (غليل الحزن) .

٦ - هذه القصيدة لا تقع دون الحسن من شعر البحتري وإن لم تلحق بالجيد المختار منه ، ولو لم تكن مرثية ، والرتاء الحق نبعة تغور من أعماق القلب ، لتجت من أكثر المساوي التي أشرنا إليها .

كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ٧ -

الفصل السادس

القول في الشم

والشم هو إدراك معنى المشعوم كما قلناه قبل ، وهو مرتب في الأنف .
وقد يجب أن نسلک ذلك الستن فنفحص عن القابل الأول للمشعوم ما هو ؟
فبذلك يبين لنا ما هو الشم بالذات ، وما هو له بالعرض ، كما تبين ذلك في
البصر . فإن اللون هو المرئي ، والقابل الأول هو البسيط . ويشبه أن تكون
الحواس الثلاثة الباقية جنساً آخر من الوجود ، كما تبين ذلك ، وإن هذه
الحاسة (١) أشد ضرورة في سلامة المغتذي من الأولين . وبحق (٢) كانت
ذلك ، لأنها أحوال من أحوال الممتزج . فإن اللون والقرع يوجبان تغير الممتزج ،
لما يوجدان (٣) الممتزج لا بالعرض > ؛ < لا بالذات . وإن اللون لا ينبع
المزاج كما تبين ذلك في مواضع آخر . وقد غلط ذلك الإسكندر الأفروديسي (٤) .

(١) المخطوطة : الحواس .

(٢) المخطوطة : نحو .

(٣) المخطوطة : كما يوجد .

(٤) ترجمة ابن عثمان الدهشقي ، نسخة جيدة لهذا الكتاب موجودة بمخزاة اسكوريال ،

ميسود ، رقم ٧٩٤ (راجع : Casiri : Bibliotheca Arabic-Hispana

Escorialensis. vol. I. p. 242 Foll. 69 b-17 a) . ولقد جددت لحصول نسخة

الشمية ولكنهم رفضوا الطلب وقالوا إن الأب 'مر' أنا يريد أن يقرر هذا الكتاب

بتعليقه . ولكن ابن باجة يشير هنا إلى تصنيفه المسمى 'بمقالة الاسكندر في

اللون وأي شيء هو على رأي أرسطو' ، وكان في محتويات نسخة برلين

المخطوطة الآن : Ahlwardt : Die Handschriften... vol IV. No. 5060 .

والمشعوم الأول هو الرائحة . فنقل ما الرائحة . فأما أن كل ذي رائحة فهو ممزوج فكذلك تبين عند تصنع الأجسام . فالامتزاج ^(١) يتقدم الرائحة في الجسم بالطبع . فأما أنه ، مع أنه مقدم بالطبع ، ذاتي فيبين أيضاً عند تصنع الرائحة وتولدها ، كما عرض ذلك في (ورقة ١٥٨ ب) الألوان ، فإن التصنع إنما وقع لبعضها ووقع البقية في الكل . والأمر في أمثال هذه ، على ما يقوله أبو نصر ، إنما يصير بتبعية في زمان وهي مباينة للأزمان في الكثرة والقلة ، فإننا نشاهد في الصيف في بعض البلاد تراباً ليس له رائحة فإذا حدث عليه قطر المطر حدثت له الرائحة عند ملاقاته المطر له ، ولا سيما متى كان المطر من سحاب قريب فإنه عند ذلك يكون حاراً وربما كان ثلجاً . وكذلك أيضاً يتقدم بالطبع وجود الطعم في ذي الرائحة الرائحة فتكاد الرائحة أن تكون هي طعماً ، ولذلك تعرف طعوم أشياء كثيرة من روائحها . وأكثر الحيوان غير الناطق إنما يستعمل هذه الحاسة في معاشه ^(٢) كما يوجد ذلك في النسر وفي الكلاب وفي الدواب . فإن الخيل تنصرف عن أغذيتها إذا اقتربت بها ^(٣) رائحة غير رائحتها الطبيعية . ولذلك كانت هذه الحاسة في غير الإنسان قوية وكانت في الإنسان ضعيفة ^(٤) لأن الحيوان إليها أحوج . ومن شأن هذه في كثير من الحيوان أن لا يحس ^(٥) حتى يستنشق ^(٦) وهو

(١) هذا الرأي أيده ابن رشد كما يظهر من تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ، ص ٣٩ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .

(٢) راجع أرسطو : ٤١٥ a - 30 - 14 : 444 b 1 - 24 sq : 443 b 24 sq . De Sensu. 5.

(٣) لعل الصواب : إذا اقتربت بها ، أو إذا اقتربت منها . (لجزء المجلا)

(٤) راجع أرسطو : 421 a 9 . De An. ii.

(٥) المخلوطة : لا يحس .

(٦) راجع أرسطو : 419 b 1 . De An. ii. 7.

ما كان له رئة^(١) . فإنه لو وضع ذا^(٢) الرائحة على الأنف لما أحس^(٣) حتى يستنشق . والرائحة قد يتحرك بها الهواء على بُعد من المستنشق بقدر لا يتحرك^(٤) هواء النفس وذلك مشاهد .

وهذه الحاسة عليها حجاب^(٥) لا يفتح . فاذا وقع الاستنشاق انفتح ذلك الحجاب فوصل ذو الرائحة إلى الحاسة . ولذلك متى أراد الذي يشم إيصال وجود الرائحة لم يتنفس دفعة بل يتنفس في زمان طويل أو جعل التنفس متلبثا . وما يظهر أن القابل للرائحة هو بالجملة مجانس للهواء وليس هذا فقط بل هو

(١) أيضا : De An. ii. 8. 420 b 23; De Sensu. 5. 444 b 1 sq.

(٢) المخطوطة : ذي .

(٣) هذه هي حال سائر الحواس لأنها لا تتحرك كل ما يلاحظها ، راجع أرسطو : De An. ii. 9. 421 b 14 — 19 ، أيضا تلخيص كتاب النفس ، الأهماني ، ص ١٥١ من ١١ . وايضا المخطوطة الفارسية ، بودليانا ، Ous. 95 ، ورقة ٤٧ الف ص ٢٠ : « وابن حواس ديگر را که وصف کردیم نه چنین باشد که آن حواس قادره وادریان نباشد محسوسات خرد را نیابد ، چون حس بینائی وشنوائی و بویائی که اگر مردم چیز بدنی را بر حدقه چشم نهاده بید ، و اگر چیز آواز دهنده بر پوست درون گوش نهاده آواز آن نتواند شنید و اگر چیز بویار ظاهر مجرای بینی نه بوی آن نیابد .

(٤) بقدر لا يتحرك . (لجنة المجلد)

(٥) لم يصرح أرسطو أنه هناك غشاء على المناخر يزول وقت الاستنشاق ، ولكنه زعم أن حاسة الشم لها شيء مثل اللشاة كما أن البصر له غشاء في العين يحفظها . (De An. ii. 9. 421 b 29 — 422 a 4) ، ولكن ابن باجة يقنع به ، لأنه أخذه مما كتب أرسطو في كتاب الحواس والحواس (5. 444 b 21 — 25) أن الحيوانات التي تنفس يزول فيها شيء بالانشاء من آلة الشم وقت التنفس ، والحيوانات التي لا تنفس لا يزال هذا المانع فيها مرفقا ، راجع تلخيص كتاب النفس ، الأهماني ص ١٥٠ . والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٧ الف : « واما دیگر جانوران که راه گذر بینی دارند بالای گذرگاه حجاب بودشان که هوارا باز دارد از رسیدن بدان متاخر مگر آنکه برکنند و بجای تندو همچنين نتوانند مگر که چشم بکنایند . »

إنما دخان أو بخار ما يعرض للجذورات ولكثير من المطبوعات . وقد فعلت هذه كلها في كتاب الحاس والمحسوس^(١) . ولذلك يبق في كثير من الأجسام الصلدة روائح الأجسام بعد ذهابها ، مثل ما يبق في أواني النحاس رائحة الخمر والعسل بعد غسلها زماناً طويلاً . فتبقى في الأوعية روائح الأجسام المودعة فيها ، ولذلك قد تشبه على الشم الأجسام التي لها تلك الروائح كما عرض ذلك في السمع^(٢) . فإن هاتين الحاستين تفارق محسوساتها^(٣) وقوابلها^(٤) ما هي منه . وليس كذلك البصر ولا اللمس . فلذلك تدرك^(٥) تلك الحاستان الأطوال والأشكال أكثر من هذه .

وأما الذوق فنبين أمره كيف هو . ولما كان الممتزج على ما تبين في مواضع آخر ، وقتناه نحن قبل . إما أن يكون بنضج أو دون نضج ، كما يعرض ذلك في الذهب والفضة ، وما هو بنضج . والنضج يقال (ورقة ١٥٩ الف) بعموم وخصوص ، فإذا قيل بعموم كان كالجنس للشيء والطبع ؛ وإذا قيل بخصوص كان مرادفاً للطبع .

وتبين أن النضج إنما يكون في المختلط من رطوبة ويبس . فإذا أنضجته الحرارة نوعاً من النضج حدث عند ذلك في ذلك الجسم المعنى الذي يقال له الطعم . ولذلك كل ذي طعم فهو ذو رطوبة ما . فإذا اتفق لهذا امتزاج آخر من رطوبة ويبرة اختلطت بهذه ، ونضجت نضجاً ، فما حدث عن ذلك الرائحة ، وقد تلخص أمرها في الحاس والمحسوس^(٦) .

(١) راجع أرسطو : De Sensu. 5. 443 a 21 — 30 .

(٢) راجع النص آخر ورقة ١٥٧ ب .

(٣) المخلوطة : محسوساتها .

(٤) المخلوطة : قوابلها .

(٥) المخلوطة : قابل .

(٦) يسن ابن بابجة غاية الشم في كتاب الحس : De Sensu. 5. 443 a 7 .

وتبين أن الرائحة تكون عندما تفضل^(١) الرطوبة اليبوسة ذات الكيفية وتنضج بالحرارة نوعاً من النضج ، ولذلك توجد هذه في النباتات أكثر مما توجد في الحيوانات وفي الأشجار .

فذلك الحاصل في تلك الرطوبة المتزجة باليبوسة التي قد أنضجتها الحرارة - ما كان منها شجراً كان ظاهر الرائحة بنفسه . وما لم يكن ظاهر الرائحة بل كان ذا رائحة للقوة فلذلك يحتاج إلى النار وإلى حرارة . ولذلك متى دُلك ذو الرائحة أو فرك^(٢) وبالجمله إذا استمرّ ظهرت رائحته^(٣) . فأن الرائحة تحتاج إلى حرارة منضجة أولاً فقد تكفي بذلك مثل المسك واللبن السائل^(٤) ، وقد لا تكفي فتحتاج إلى حرارة أخرى كعود الطيب^(٥) والسندروس وما شاكل ذلك .

ولما كان الشم هو إدراك معنى المشوم ، وكان وجود المشوم هو الوجود ، لم يدرك الشم شيئاً من لواحق المشوم من غير الطعم . ولذلك لا [يدرك] الشم إلا بالعرض . وذلك إذا اتفق أن يكون ورود المشوم من جهة واحدة تميزت له جهة الشم^(٦) بالعرض . فتميزت له جهة الشم^(٧) بالقصد الثاني .

(١) راجع أرسطو : De Sensu, 5. 443 a 1; b 3; 445 a 14; 4. 441 b 18 .

(٢) أيضاً : 4. 441 b 18; 5. 443 b 16 .

(٣) وابن رشد تبع ابن باجة في اليان ، تلخيص كتاب النفس . الاخواني ، ص ٤٠ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .

(٤) راجع ابن رشد ، تلخيص ، الاخواني ، ص ٤٠ ، حيدر اباد ٣٤ ، وراجع كتاب النفس ، الاخواني ، ص ١٥٠ ، والمخطوطة الفارسية ورقة ٤٧ ، ص ٦ وحس يوياني هان شناسد كه موالتن وخرش بود وبا مخالف وناخوش ، وتواند كه بوي گل را از بوي صندل جدا كند و بوي صندل را از بوي صندل كه هين دايتم كديويهاى ناخوش با بويهاى ناخوش .

(٥) مشهور بالعود الهندى ، راجع ابن رشد ، تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ص ٤٠ .

(٦) المخطوطة : المشوم .

(٧) المخطوطة : المشوم .

الفصل السابع القول في الطعم

وقد تبين وجود الطعم أي وجود وجوده^(١) ، وإن الطعم لا يمكن أن يكون لا في رطب ، ولا في يابس ، ولذلك لا يوجد الرماد ولا للماء الصرف ولا للهواء . ولذلك يوجد لماء البحر طعم^(٢) ولما الآجام للبيوضة التي تخلط تلك المياه .

فيولي الطعم الرطوبة^(٣) ، ولذلك متى يست آلة الطعم لم تجد طعم الأشياء الغالب عليها^(٤) اليبس ، ونجد لذلك طعم الرطب . فإن الطعم يحرك رطوبة الفم فيقبلها على نحو ما يقبل الهواء اللون . وتحرك الرطوبة حاسة الذوق^(٥) . ولذلك متى كان رطباً قامت الرطوبة الحاملة مقام الرطوبة الطبيعية . فالرطوبة يفتقر إليها الطعم أما أولاً فني^(٦) أن يكون موجوداً ، وثانياً لأن يكون محسوساً .

ولذلك جعلت النفاث^(٦) لتضع الرطوبة الطبيعية التي بها يكون الذوق .

(١) راجع النص لله ، ورقة ١٥٩ الف ، ... فا حدث عن ذلك الرائحة الخ .

(٢) قال أرسطو إن الجسم المشوم والمطعم ينطلق بشيء سائل :

De An. il. 10. 422 a 10 .

(٣) المخطوطة : عليه .

(٤) راجع أرسطو .

(٥) المخطوطة : هي .

(٦) خالف ابن رشد رأي الاسكندر الافروديسي الذي كان يرى « ان هذه

القوة ليست تحتاج الى متوسط » ، واستدل قائلاً « فن هذه الاشياء كلها قد

يظهر ايضاً ان هذه الحاسة انما تدرك محسوساً بمتوسط هو هذه الرطوبة ،

وقد صرح بذلك ابو بكر بن المائغ في كتابه في النفس وقاسطيرس » ،

الامرواني ، ص ٤١ .

وهي مختزجة من ييس ورطوبة فحواً من الامتزاج ، ولذلك هي لزجة . وهذه الرطوبة (ورقة ١٥٩ ب) هي غير ^(١) ذات طعم لئلا يعوق طعمها قبول طعم المتضادة لها ^(٢) . فذلك يجد المحموم الطعم كلها مرة ^(٣) ، لأن الرطوبة التي في فم مرة لمخالطة الدخان ايها ، وقد تلخص ذلك في غير هذا الموضع . والطعم ضروري في الحيوان ^(٤) ، ولذلك لا يوجد منه ما لا يطعم إلا قليل مثل جنس ذوات الأصداغ واسفنج البحر . وبشبه أن تكون هذه نكتفي باللمس في اغتذائها بعدها عن الاعتدال ، ولأنها تجري مجرى النبات . ولذلك لا يحس الذوق بشيء من لواحق ذي الطعم غير الطعم ، ولذلك يصير الطعم ألد وأكره بكونه أرطب وأيبس وأحر وأبرد ، وذلك بين نفسه .

* * *

الفصل الثامن

القول في اللمس

واللمس هي القوة على إدراك اللموس . واللموس قد يظن به أنه أصناف كثيرة ^(٥) ، فتكون قوة اللمس أصنافاً كثيرة ، إلا أنها في موضوع واحد .

(١) المخطوطة : تكرر « هي غير » .

(٢) لعل صحيح التعبير : الطعم المتضادة لها . (لجنة اللغة)

(٣) راجع أرسطو : De An. ii. 422 b 8 .

(٤) أيضاً : De An. iii. 12. 434 b 10 — 24; De Sensu. I. 436 b 13 .

(٥) وابن باجة أوضح قوله في كتاب الحيوان (ورقة ٩٥ ب) واللمس قد يظن به أنه أصناف كثيرة ، فإن اللمس هو الحار والبارد والرطب واليابس والمعب والمين ، وهذه القوة واحدة كانت أو أكثر من واحدة فهي اللمس وما جرى (ورقة ٩٦ الف) مجراه . وهذا اللمس يحتاج اللمس أكثر مما يحتاج إليه غيره . ولذلك كان الإنسان أحسن لما من سائر الحيوان لأن اللمس فيه كثير وليس له شعر ولا ريش ولا فصوص ولا خرف بل الجلد . وقد أشار إلى هذا أرسطو حينما قال (De An. ii. 422 b 13) : « إن لم يكن اللمس خاصة بل كان مجموعاً لحواس فلا بد من أن يكون اللموس أكثر من واحد » .

وهذه الحاسة هي شايعة^(١) في بدن الإنسان ، وليس لها عضو مخصوص كما لسائر الحواس . بل لها قابل محدود النوع في كل حيوان ، وهو اللحم أو ما يقوم مقامه فيما لا لحم له^(٢) . فإن الجلد ليس فيه الحاس الأول^(٣) لأنه اذا كشط أحس اللحم ليس بأقصى من إحساس الجلد ، بل هو أخرى أن يظن به أنه أشد حساً .

وهذه الحاسة على ما تقدم ؛ هي التي لا يتخلو^(٤) منها حيوان وبها يكون الحيوان حيواناً . ولذلك متى فقدت هذه الحاسة ارتفع معنى الحيوان عن ذلك الشخص . ولا يتخلو^(٥) < من > أن يكون لها لمس .

ولما كانت اللممومات ، على ما تبين في الثانية من الكون والفساد^(٦) ،

(١) ويتن ابن باجة ايضاً ، (ورقة ٩٥ الف) . وهذه القوة (أي قوة اللس) ليس لها موضوع منفرد كالعين للبر والمخر للثم وتلب الأذن للسمع بل تجدهما شايعة في الجلد كله ومحطة به .

(٢) راجع ابن باجة : ورقة ٩٦ الف : والحس منه ما هو شامل للأعضاء كاللس وآلة اللحم أو ما يقوم مقامه فيوجد في كل عضو له شركة في الحس لحم . وأما ان يكون منفرداً كالحواس الأربع . وانظر أرسطو :

. De An. II. 422 b 20; 423 a 13

(٣) استدلل ابن باجة قائلاً : ورقة ٩٦ الف : فجلد الانسان فقد يظن به أنه الحاس الأول وأما أنه ليس الحاس الأول فذلك يتبين لأن اللحم يحس دون الجلد أكثر مما يحس والجلد عليه .

(٤) المخطوطة : لا يتخلوا .

(٥) المخطوطة : ولا تغلوا .

(٦) ايضاً ابن باجة ورقة ٨٧ الف : : ان كل واحد من هذه (اجسام اربعة) فهو جسم ملوس وذلك معروف بنفسه ، ولا كانت الأجسام المتأهدة ليست البسائط بل ما كانت اقرب الى البسائط ظن بأن المرفة بما تشاهد ليست مكتفية بنفسها على ان تردف بالقول . فتقول ان الحار والبارد والرطب واليابس امور محدودة فهي موجودة . وهذا علم اول مكتف بنفسه فظاهر قريباً من ذلك انها في موضع واحد وان أقوام جسم وصورة من حيث هو ما هو است واحدة منها . وانواع الأجسام المتأهدة لكل واحد منها فيه ضرورة اثنان من هذا الأربع لا يتخلو جسم منها : أرسطو : 423. 27 .

يرجع كلها إلى الحار والبارد والرطب واليابس ، وكان هذا < ن > التصادان
لبس يرجع أحدهما إلى الآخر فإن كل حس فإنه لمضادين^(١) . وقد يعرض
للمضادين أن يكونا موضوعين لتضاد آخر . مثال ذلك اللون : أطرافه الأبيض
والأسود ، والأبيض موضوع البراق والابراق^(٢) ، والضوء حرقاء النقل والحدة
وهذه موضوعة الأملس والخشن والخفي والجهير .

وكما أن تلك حاسة واحدة تتبعها قوى كثيرة كذلك يشبه اللمس^(٣) .

وبالجملة فإن القوى تتبع الموجودات في ترتيب وجودها . لكن الرطب واليابس
والحار والبارد لا تتابع بينها على ذلك التوجه فإنه لا واحد منها^(٤) موضوع
الآخر لكن بينها تتابع آخر بالذات وتلازم ، وقد تلخص ذلك في غير هذا القول .

[ورقة ١٦٠ الف] فلما كانت هذه لا تنفصل في وجودها في الموضوع فلذلك

كانت القوى اللامسة لا تنفصل وكانت في حاسة واحدة .

ولما كان كل جسم كائن فاسداً فهو ملوس . ولا يخلو^(٥) الموضوع من
هذه المتضادات كما يوجد الموضوع خالياً من سايرها ، فإنه قد يوجد جسم
لا لون له^(٦) ويوجد جسم لا صوت له وذلك في الرائحة والطعم ، فلذلك اتخذت

(١) راجع أرسطو : De An. II. 424 a 7 .

(٢) انظر ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الامواني من ٤٦ ، حيدرآباد ٤٠ .

(٣) وصف ابن سينا قوة اللمس في الشفا ورقة ١٦٦ الف : ويشبه ان يكون
قوى اللمس قوى كثيرة كل واحد منها يختص بمضادة فيكون ما يدرك به
المضادة التي بين الثقل والخفيف غير التي يدرك به المضادة التي بين الحار والبارد ،
فان هذه الاعمال اولية لللمس يجب ان يكون لكل جنس منها قوة خاصة الا
ان هذه القوى لما انتشرت في جميع الآلات بالسوية ظلت قوة واحدة .

(٤) المخطوطة : فان ما لا واحد منها .

(٥) المخطوطة : لا يخلوا .

(٦) هذا مخالف لما قال أرسطو في De Sensu. 6. 415 b 12 ، وانظر ايضاً :

De An. II. 7. 418 b 27 - 30

آلات تلك من أمثال هذه الأجسام . فأما هذه فلما لم يمكن ذلك كانت من المعتدل لأن المعتدل هو بوجه ما ولا واحد من الطرفين بالقوة . فلذلك كانت آلة اللمس معتدلة من الحار والبارد والرطب واليابس . ولذلك لما ظن جالينوس أن اليد هي آلة اللمس حكم بأن جلدة اليد هي المعتدلة بين الأطراف . فنقل ما للجسم الذي فيه القوة اللاصقة إلى بعض آلات اللمس . وهذا الجسم هو الحار الغريزي . ولما لم يكن فيه الاعتدال لذلك وصلته الأجسام التي يسميها أرسطو ميلا ويسميها جالينوس عصبا لأنها تأتي بالبرودة النفسانية من الدماغ . ولذلك أي عضو لم يتصل به سيل من الدماغ لم يكن فيه لمس ، ولذلك لا يمس الكبد ولا الكلى ولا العروق الفوارب وهي مملوءة من الروح الغريزي . فأما كيف تكون برودة نفسانية ؟ وذلك قد تبين خلافه . فإن آلة النفس هي الحار الغريزي . فإن البرودة تقال على الأطراف وعلى الأوساط ، والتي في الدماغ لا يمكن أن تكون طرفا ، فإنما هي وسط وهو ما بين المعتدل والطرف . وإنما يكون الوسط وسطا يخالطه الضد ، فلك البرودة تخالطها حرارة نفسانية . ولذلك تصير الحرارة إلى الدماغ من القلب في الشرايين وتصير عليه الشبكة المشيمية لتسكنه هذه الحرارة المعتدلة لبرودتها ، وبها تكون في تلك الرتبة . فهي نفسانية من جهة ما هي حرارة لا من جهة أنها هي بالرتبة تلتب بالطرف .

وقد يتشكك على حاسة اللمس . منها أن كل حاسة فإنها متحركة عن المحسوس حسب ما تلخص القول المجمل في الحس^(١) . والمحرك منه قريب ومنه بعيد ، ومنه بالذات ومنه بالعرض . والبعيد الذي هو المحسوس ، والقريب

الذي هو الخادم كالهواء للبصر والسمع والشم ، والرطوبة للذوق . فقد ينبغي أن نطلب ^(١) هنا مثل ذلك .

وثامسطيوس يعلم أن الهواء يتخدم مثل ذلك كله . فإنه شيء لا يمكن أن يتناس السبك ^(٢) في الماء < بغير الماء > ، لأن الرطوبة لا يمكن أن تنسلخ جملة عن الأجسام التي في الماء . فإن الهوائي أحس ^(٣) بذلك .

والنفس قد يكون بتوسط أكثر من واحد وإن كان غير طبيعي ، كما يعرض ذلك إذا غشي بعينه ، فإنه قد يدرك الصلب واللين (ورقة ١٦٠ ب) والحر والبارد ، وكما يحس بتوسط المكاز ^(٤) مثلاً ، غير أنه وإن كان يحس بذلك فلننا نحس كل أنواع اللموس ، فإننا لانحس بتوسط المكاز لا الحار ولا البارد .

بل إنما نحس بالصلب واللين . ونحس الحار والبارد عندما يغشى الجلد ، وليس إنما يكون الغشاء يتخدم بل يتفعل من ذلك ويكون هو المحسوس أولاً .

وأما هل حاسة اللمس هو اللحم أو في اللحم ؟ فإن ذلك ليس بتبين ^(٥) ،

(١) والتفت ارسطو الى هذه المسألة في : De An. II. 11. 422 b 23

(٢) راجع كتاب النفس لاسحاق ، الاهواني ، ص ١٥٣ : والمخطوطة الفارسية ،

ورقة ٤٧ ب ١٩ : « جواب گفست حاسه لمس ملوس رايماجي هرادريابد

ليكن هوا پوشيده برودرين مثل زدگفت : اگر کسی دست بآب

فرود وبيرون آورد دست سنگی را بر گيرد چارميان سنگ دست آب بود

ليكن پنهان از غایت لطافتش پس چون آب بتوسط ميترايد بودميان دست

وآنچه دست گيردني آنكه توان ديداز لطافت هوا سزوارتر كدر توسط

پوشيده مآند كه هوا از آب بسي لطيفتر است . وابن رشد اقرب الى ابن باجة

واظهر في البيان ، تلخيص : الاهواني ص ٥٥ ، وحيدر آباد ص ٤٥ .

(٣) المخطوطة : احس ، وبالهامش : « احس » .

(٤) المخطوطة : للهار ، وبالهامش : « المكاز » .

(٥) راجع ابن باجة : ورقة ٩٦ الف : على ما شاهد ان الحس في اللحم ،

ولا يبالى ... هل اللحم هو الحاس ام الروح الفريزي ؟ واللحم له آفة . ايضا

ارسطو : Hist. An. I. 489 a 24

لكنه كيف كان فهو متصل باللحم وهو أحد ما به قوام اللحم .
والملموسات ، فقد تلخص أمرها في مواضع كثيرة . فإن لما قوى شايعة
في الجسم^(١) ، قوامها في الجسم من حيث هو جسم . فذلك تدرك الالامة
الأطوال والأشكال كما يدرك ذلك البصر .

فأما انه لا توجد حاسة غير اللمس ، فذلك قد بين ما نقوله : وذلك انه
وإن وجدت نسيكون لما محسوس خاص ، وذلك المحسوس يجب ضرورة أن
يكون محركاً جسمانياً . ولا محرك جسماني إلا هذه الخمس^(٢) ولذلك لا يمكن
أن تكون حاسة مفردة للمحسوسات المشتركة تحرك^(٣) أشياء . فأما الحاس
الذي يدركها نسين أمره بعد . وأيضاً فإنه إن كان ما هنا حاسة سادسة^(٤)
وجب ضرورة أن تكون لحيوان ماء ، وذلك الحيوان يكون ضرورة غير
الإنسان ، فإنما للإنسان هذه الخمس بالطبع ، فيكون ذلك الحيوان حيواناً
ناقصاً^(٥) . ومحال أن يوجد للناقص ما لا يوجد للتام . وقد تلخص في أول

(١) ايضاً ارسطو : Hist An. : 1. 3. 489 a 15 : De Part. An. II. 1. 647 a 15 : De An. III. 13. 435 a 20

١٨ د 489 . 1. 3. ابن رشد الاهواني ص ٤٧ وحيدرآباد ص ٤١ .

(٢) ايضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٥٦ ، حيدرآباد ص ٥١ .

(٣) المخطوطة : لا تحرك .

(٤) راجع ارسطو : De An. III. 1. 424 b 22 : وابن رشد : تلخيص ، الاهواني

ص ٥٨ ، حيدرآباد ص ٥٣ .

(٥) وفي المخطوطة زيادة : د غريجة كانت في الأصل المتقول من هذه النسخة ،

إن هذا القول زيادة ، مثاله انذكر ما هنا القول الذي ألف من الحيول

لأن البحر من ماء والسم من هواء وكيف يلزم عنه ان لا تكون حاسة

ساسة ؟ ، هذا مضي .

الحيوان^(١) كيف يشبه ما يوجد للحيوان الناقص ما لا يوجد من نوعه للحيوان الكامل وهو الإنسان كالجحفة للعهاز والخرطوم للفيل ، وسائر الأعضاء التي يختص بها حيوان حيوان ، وإن كان ذلك موجوداً^(٢) للإنسان بوجه أكمل ، فإن الجحفة والخرطوم هي بد ناقصة . وإذا كانت الأعضاء إنما تحد بغاياتها وبقومها استعدادها لحصول تلك الغايات ، وكان ذلك موجوداً للإنسان أو ما يكون أفضل منها ، فيجب أن توجد للإنسان هذه الخاصة ضرورة^(٣) لئلا يكون هنا ما هو أفضل . وذلك بين بما تلخص من كتاب الحيوان .

* * *

(١) راجع ابن باجة : ورقة ١١٠ ب : « والاكمل هو الذي يوجد له جميع الاعضاء الافضل ، فان العظام فيما اعدت افضل من الشوك وكذلك جميع القوى ، والانسان افضل الحيوان لانه يوجد له جميع اجزاء النفس ولما كانت اجزاء الجسد اثامها آلات نفسانية كالمرق والعضل ، ومنها ما يتم به قوام جميع جده كالظام ضرورة يجب حيث كانت اجزاء النفس اكثر ان يكون هناك عدد انواع الاعضاء اكثر ، وحيث كانت اجزاء النفس فهناك يكمل عدد انواع الاجزاء بالجملة ما كان منها عضواً وما كان منها شياً حيوانياً . والانسان غلبه قوى النفس المشتركة ، وفيه قوى يختص بها هو وحده ، فلو كانت تلكاً كما يجب ضرورة ان يستعمل آلة فكان يجب ضرورة أن يكون في الانسان نوع من الاعضاء لا يوجد في حيوان اصلاً » .

والنظر ارمطو : 486 b 18 : 488 b 30 : Hist. An. I. 2 : وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٥٨ ، حيدر اباد ص ٥٣ .

(٢) المخطوطة : موجود .

(٣) المخطوطة : إلا .

الفصل التاسع

في الحسن المشترك^(١)

فأما أن هذه الحواس كلها قوى لحاس واحد^(٢) هو الأول وهو الذي يسمى الحسن المشترك . فبين ما نقوله : أما وجود هذه القوة فقد تلخص فيما كتبناه في الحسن بجملاً ، وهو الهيولى الذي تصير به المعاني محسوسة^(٣) . (ورقة ١٦١ الف) ولذلك متى التبت باحدى الحواس تحركت مثل حركة هيولى تلك الحاسة ، فهي بالموضوع واحدة^(٤) وبالقول كثيرة^(٥) ، كما يعرض ذلك لمركز الدائرة^(٦) فإنه بالموضوع واحد وبالقول كثير . ولما كانت هاهنا محسوسات مشتركة فهنا ضرورة قوة مشتركة^(٧) تقبل تلك^(٨) . ففي اللبس والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل ذلك المعنى . وهذه الحاسة التي كان البحث عنها أي شيء هي ؟ وأيضا فإن ههنا محسوسات مشتركة للحواس الخمس . فبين أن هناك قوة مشتركة لها . وتلك القوة تنفسي

(١) عنوان مستقل في نسخة برلن .

(٢) راجع ارسطو : De An. III. 2 425 b 11-22 ابن رشد تلخيص كتاب النفس ، الاهراني ، ص ٥٤ ، حيدر اباد ، ص ٤٨ ، ابن سينا أيضاً يصف الحسن المشترك فيقول : (الشفا . ورقة ١٨٢ الف) بل الحسن المشترك هو القوة التي تؤدي اليها المحسوسات كلها .

(٣) المخطوطة : المحسوسة .

(٤) المخطوطة : واحد .

(٥) راجع ايضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهراني ، ص ٥٥ ، حيدر اباد ص ٤٩ .

(٦) يقول ابن رشد : هذا المثال كثيراً ما يستعمله الفلاسفة ، خصوصاً ارسطو وشراشه : المصدر السابق .

(٧) ايضاً ، الاهراني ، ص ٥٤ .

(٨) المخطوطة ، هنا زيادة : هي "اللبس" والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل تلك .

على تغاير أحوال المحسوس^(١) وتحسّ له أحوالاً^(٢) كثيرة . فتدرك لكل جزء من التفاحة^(٣) مثلاً أن له طعماً ورائحة ولوناً وحرارة أو برودة ، وتقضي أن كل واحد من هذه غير الآخر . فإنه لو كان في فواهل مضادة لها لما كان يمكن أن تقضي أن هذا غير ذاك^(٤) . فإنه يجب عندما تؤملت المغايرة ، كيف وجودها .

وفي هذه القوة تبقى الآثار المحسوسات^(٥) عند انصراف المحسوس ، كما يعرض ذلك في الألوان ، فإن شأن هذه القوة الاستمساك بالاحساسات وهي آثار المحسوسات فيها^(٦) ، فإذا اتفق أن يؤثر المحسوس أدرك هذا إدراك الأثر . والقوى الست التي هي الغاية والخمس التي هي الحواس ، بين من أمرها أنها أنفس ، إذ هي استكالات للأجسام ، والسابعة هي القوة المحركة وصندين أمرها فيما بعد .

فأما أن وجدت قوة لا تستعمل آلة فتلك ليست نفساً إلا باشتراك . فالنفس المشترك لما كان ضرورة صورة للعار الغريزي وجب ضرورة أن يكون نفساً . وليس بهذا النحو من النسبة قيل له نفس بل بكونه استكمالاً لا لجملة الجسد المؤلف لكن وجوده في الجسد إنما هو بوجوده في هيولاء الخاصة به وبه يصير

(١) قارن أرسطو : De An. III. 2. 426 b 10 : ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ،

الاهواني ، ص ٥٤ .

(٢) المخطوطة : أحوال .

(٣) ابن رشد : المصدر نفسه . ويُظن أن أول من ذكر المثال المذكور الاسكندر الافروديسي .

(٤) وابن سينا أيضاً ذكر هذا الدليل فقال : (الشفا ، ورقة ١٨٢ ، ص ٣) فإنه لو لم تكن قوة واحدة تدرك المتون والمهوس لما كان لنا أن يميز بينها فائتين أنه ليس هذا ذاك .

(٥) المخطوطة : المحسوسات القوة .

(٦) ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٦٣ ، جدر اباد ص ٥٨ .

بالجملة^(١) جزءاً من الجسد ، وبوجوده في ذلك أمكن اتصاله بالحواس وتحريكها عن تحريكها ما ليس بذئ جسم . وليس يتصل بما هو خارج عنه .
 وإنما يصير الحس المشترك صورة للجسم ذي الآلات بالتباضه للآلات .
 كالتباضه بالعين مثلاً . ولذلك لا يسمع النائم ولا يبصر . وذلك بين سيفه الحيوان الذي لا يطبق عينيه عند النوم لأن تلك الصورة ليست في الجسم .
 لأن تلك الصورة لا تفارق هيولاءها ، فإذا لم يوجد ذلك الجسم الذي له تلك الصورة في الحاسة لا تُحس . ووجود ذلك في الحاسة هو كالصورة لها على مثال ما يكون الربان^(٢) ضرورة (ورقة ١٦١ ب) في السفينة . وقد تلخص أمر هذه الصورة في غير هذا الموضع .

وأما إذا انفرد^(٣) الحس المشترك فإنما هو نفس بوجه أنه صورة لجسم ما .
 ولذلك لا يوجد النوم في جميع الحيوان لأن الحار الفريزي لها موجود إنما في الحاسة لأن التقدم^(٤) والتأخر^(٥) فيها واحد أو كالواحد ، وقد تلخص أمر هذا في كتاب الحيوان .

(١) المخطوطة : الجملة .

(٢) وانظر ابن باجة نفسه ، ورقة ٦٠ ألف ، « فان النفس في البدن كالربان في السفينة فان الربان في السفينة صورة الا انها مفارقة » ، وراجع أرسطو :

. De An. L. 3. 406 a 6: il. 1, 413 a 9

(٣) قارن ابن باجة : النفس نفسه : ورقة ١٥٥ ألف : فان القوة اذا انفردت عن الحاسة كانت هي الحس المشترك . وقد قال ابن باجة في كتاب الحيوان : ورقة ٩٥ ب : فالحي ينفرد عن الحركة بالقول كما ينفرد اهيول من الصورة بالقول الذي يلخص به ما هي بالاسباب المقومة لها وهي فيها .

(٤) المخطوطة : المتقدم .

(٥) المخطوطة : المتأخر .

فإن وجد حيوان ^(١) له قوة أخرى ليست صورة لجسم أصلاً . فذلك ليست نفساً إلا ينحو من اشتراك الاسم . مثل أن تكون قوة لحضوره ^(٢) للحس المشترك ويكون الحس المشترك كالمحوى فيها فتكون تلك ^(٣) صورة لمحوى الحس المشترك لكن ليست أولى . فذلك تكون هذه القوة قوة واسطة بين النفس وبين القوى التي ليست بأنفس يأخذ كل واحد منها بقسط ، وصنبن ذلك فيما بعد . وهذه القوة هي قوة التخيل .

(يتبع)

محمد صغير حسن المعصومي



(١) المخطوطة : الحيوان .

(٢) يعني ان الحس عندما وجد في الحس المشترك يخرج الى قوة مادتها الحس المشترك وصارت القوة صورة للحس المشترك . راجع ابن سينا ، (الشفا) ورقة ١٨٠ الف ١٨ : فان الحس المشترك قابل للصورة لا حافظ ، والقوة الخيالية حافظة لما قبل ذلك ، والسبب في ذلك ان الروح التي فيها الحس المشترك انما ثبتت فيها الصورة المأخوذة من خارج منطبعة مادامت السبب المذكور بينها وبين البحر محفولة أو قريبة العهد . فاذا غاب البحر انعت الصورة عنها ، ولم تثبت زماناً يستد به .

(٣) المخطوطة : ذلك .

التعريف والنقد

قضايا الفكر في الأدب المعاصر

للأستاذ وديع فلسطين

د أصدوره المكتب للنشر في القاهرة ،

نجاه في ١٣٢ صفحة ج

في الأدب العربي الحديث قضايا مهمة كثيراً ما خاض فيها الأدباء والمثادبون في الجرائد والمجلات ، وكثيراً ما اختلفت فيها آراؤهم ، وتشعبت مذاهبهم . وقد تناول الأستاذ وديع فلسطين هذه القضايا في كتابه ، فحصرها تمحيصاً دقيقاً ، ووازن بين السمين والغث من آراء الكتاب فيها ، وذكر لكل قضية رأياً شخصياً هو في نظرنا من أرجح الآراء علمياً ومنطقياً .

ومن القضايا المذكورة قضية الفصحى والعامية ، والشعر الصحيح وما يسمى الشعر الحر ، والمصطلحات العلمية ، وتفسير القواعد والكتابة العربية ، وتقليدنا الغربيين في مدارسهم « مذاهبهم » الأدبية الحديثة ، سواء في ذلك ما كان منها معقولاً « كالمدرسة السامية والرومنسية والواقعية والطبيعية » ، أو كان غير معقول ولا مفهوم « كمدرسة الرمزية وما فوق الواقعية » .

وقد بحث المؤلف في هذه القضايا ، وفي موضوع الالتزام في الأدب أي ما يسحبه بعضهم الأدب الهادف ، ثم بحث في الأسلوب العلمي وأسلوب الإثارة في الأدب ، وقايس بين الكتاب في القديم والكتاب في أيامنا هذه ، وانتقل الى ذكر النقد وانحراف رسالته ، والى المسرحية وضيق مجالها عندنا ، والى الترجمة وشروطها ، والى أزمة الكتاب العربي ، والى محنة الأدب في هذا الزمن . وأنهى كتابه بكلام طلي على الفكر بين الأرستقراطية والفوغائية .

وبعد إن قيمة الكتب لا تقاس بعدد صفحاتها ، بل تقاس بما فيها من فائدة للقارئ . وهذا الكتاب ، على صفه ، قد عالج المواضيع المذكورة بأسلوب علمي متزن ، تأحاط بأطرافها ، وجلاها على المطالعين في أفكار نيرة ، ولغة صحيحة ، وبيان مشرق ، وغيره على لغة الفصاح والادب العربي .

مصطفى السرمابي

مصر

« وجوب التعاون بين المسلمين ، وموضوع الجهاد الديني »

وبيان كليات من يراهن الدين »

تأليف الأستاذ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدى

هذا الأستاذ أشهر من أن يعرف ، فهو علامة القصيم من نجد هذا العهد ، وهو صاحب التأليف الجامعة النافعة ، وأوقاته كلها معمورة بالاشتغال بالعلم تعليماً وتدريباً وتأليفاً ، ورسائله هذه (وجوب التعاون) يدعو فيها هذه الأمة المسلمة في عامة أقطارها وأمصارها الى التضامن والتعاون على ما فيه مصلحتها ، والى دفع عوادي الشر عنها ، فكل عمل تقوم به للمصالح العامة وسعادة المجتمع ابتغاء لمرضاة الله فهو (في سبيل الله) في نظر الإسلام ، وما قبل الشارع « الجهاد » بهذا الشرط (في سبيل الله) ، إلا للدلالة على هذا المعنى . وقد أنشأ فصلاً كثيرة فيه ، يثن فيها أقسام (الجهاد) وأنواعه كجمع الكلمة ، ووجوب المشاركة ، والاستعداد للأعداء ، وأخذ الحذر منهم ، وإعداد وسائل الجهاد ، والوقوف التام على أحوال الأمم والشعوب ، والقيام بالقسط والوفاء بالعهود ، وربط الصداقات وعقد المعاهدات بين الحكومات الإسلامية ، وتخفيف الأذى عن الكفار من الرجال في الولايات والأعمال . ثم شذرة من سيرة النبي (ﷺ) وصدقته وصحة دينه ، وما أخبر به من الغيوب المنوعة ، ومن هذه التفصيل : التهدي بالقرآن ،

وما علمه الله للإنسان من أصناف المحترعات ، الكهرباء ، وأعمالها ونشاطها ودلالاتها على البعث ، سنة الله في خلقته جارية على مقتضى حكمته ، هداية البشر بالإسلام ، جمعه بين الأمم المتباينة ، حفظ العقلاء منه على قدر عقولهم ، تفسير آيات من القرآن ، أمره بالإيمان بجميع الرسل وما جاءوا به من عند الله ، تفسير شواهد منه ، الشريعة جاءت بالعدل ، وحثت على الإحسان والفضل ، سيرة الرسول من آياته ، وأمنه من آياته ، (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته) .

وهذه الفصول ملوءة بالأدلة القرآنية ، ومنها يثبت أن الإسلام خير من هذه السياسات المنصرفة والمحلية والحزبية ، وكلها ضغائن وأحقاد ، وشرور وفساد ، كما تقرأ عنها في الصحف المنشورة ، وهذا الكتاب من خير ما يهتدي به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

١ - توضيح الكافية الشافية

٢ - الحق الواضح المبين ، في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين ، من الكافية الشافية .

كلاهما للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل معدي (المطبعة السلفية)

(الكافية الشافية ، في الانتصار للفرقة الناجية) للإمام الرباني شمس الدين ابن قيم الجوزية المحقق الشهير ، وقصيدته هذه قد بلغت مئات الآيات من السهل الممتنع ، وموضوعها التوحيد وأصول الدين ، والرد على الجهمية والمعتزلة والملحدون ، وثبات ما أثبتته تعالى لنفسه من أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، والرد على الجبرية من الجهمية ، والقدرية من المعتزلة ، وثبات المكسب للمعبد والاختيار ، وفوقهما جريان الأقدار ، وكانت طبعت هذه القصيدة منذ سنين ، ولكن بلا شرح

ولا تعليق ، فقام العالم السلفي الشيخ عبد الرحمن آل سعدي بشرحها شرحاً مطوّلاً ، سماه (توضيح الكافية الشافية) ولكنه لم يورد القصيدة ولا استشهاد بشيء منها ، فهو شرح مستقل عن الأصل ، وإن كان مبنياً عليه ، وعناوين فصوله تدلّ على المراد منها ، وهذا الشرح يبلغ (١٢٤) صفحة ، وفي آخره فهرس مفصّل .

في ص ٤٤ س ٦ : و « رحمتي وصمت كل شيء » صوابها : « ورحمتي » .
في ص ٤٦ س ٨ : « هذا من » صوابها : « هذا ومن » .

* * *

وأما الكتاب الثاني ، وهو (الحق الواضح المبين) فقد خلّص فيه شرحه الأول ، وطبعه بعده فبلغ نصف حجمه ، مع أنه أورد فيه مائتين وخمسين بيتاً من القصيدة ، وشرحها شرحاً وجيزاً بيتاً ظاهراً ، وبدأه بقول ابن القيم :
فاسمع إذا توحيد رسل الله ثم اجعله داخل كفة الميزان
مع هذه الأنواع وانظر أيها أولى لدى الميزان بالرجحان
قال الشارح : « وذلك أنّ الشيء يعرف بضده ، والحق يتضح ويظهر نوره بمعرفته ، ومعرفة ما يضاده من الباطل ، فإنك إذا وزنت - بميزان العقل الحقيقي - والفطر السليمة التي لم تتغير ، والبراهين الدالة على الحقائق - توحيد الأنبياء والمرسلين وتوحيد المعطلين ، وجدت بينهما من الفروق ما لا يخفى على من له أدنى مكة من عقل » .

أقول : لا يخفى أن هذه الكتب السلفية تبحث في توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله ، على الوجه الذي أثبتته الله لنفسه في كتابه ، أو ورد عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى في بيانه ، وإذا نظرنا إلى كتب التوحيد الدراسية التي تداولتها أيدي الخواص والعوام ، في معظم الأمصار الإسلامية ،

وصارت عمدة الدارسين والمدرسين في المدارس الرسمية الحكومية والأهلية نجدها نوعين : (أحدهما) كتب العقائد التي وضعت على طريقة الخلفاء ، وأولت فيها نصوص الكتاب والسنة تأويلاً صرفاً عن مدلولاتها اللغوية والشرعية ، ونفى معانيها الوجودية الثابتة بتأويلات جاءت على خلاف الوضع والشرع . (الثاني) كتب الدفاع عن الإسلام وتوحيده ، واثبت أنه دين العقل والفطرة ، وحاجة البشر في كل زمان ومكان ، فهذه الكتب التي تضمنت فلسفة التوحيد وحكمة التشريع هي سلاح علي يحمله المسلمون في صدورهم لحراسة عقائدهم والدعوة إليها والنضال عنها ، لا لتأني علم التوحيد وعقائده منها ، فهي على تقاسمها وضرورة مدارسها ، ليست كتباً موضوعية في فن التوحيد ، ولا هي قواعد لعقائده المستمدة من نصوصه المبنية هي عليها ، بل هي فلسفة تحوم حول علم التوحيد ، وإيضاح لمحاسن الدين ومزاياه .

وهناك نوع ثالث وهي الكتب التوحيدية السلفية ، التي أثبتت معاني النصوص وحقائقها الشرعية من طريق المعقول ، وردت كلام المؤولة ردّاً لم يبق حاجة في النفوس ، وهي الطريقة التي جرى عليها شيخنا الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية في كتبها ، ومن هذا حذرهما من أئمة الإسلام وحماته ، ولكن كتب هؤلاء الأعلام الواسعة ، إما كتب مناظرة وحجاج ، وتأيد لمدلولات النصوص وردت لشبهات الخصوم ، وإما كتب عليّة غير تعليلية .

فترى أن تنشر فصول في التوحيد السلفي ، ملخصة عما كتبه الأئمة الثقات فيه ، وتكون تمهيداً لوضع سلسلة توحيدية تعليلية ، مفرغة حلقاتها بأسلوب مدرسي عصري ، يشرب القلوب حبّ السلف الصالح وآثارهم ، ويطبع النفوس بطابع عقائدهم وأخلاقهم ، ويفنّي عقول النشء الإسلامي بلبان التوحيد الخالص ، المطهر من كل ما يخالطه من أدران الثواب ، فتصح العقائد وتزكو الأخلاق ، وتتوحد المبادئ والغايات ، والله هو الموفق والمعين .

كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأُمصار

تأليف : الإمام المجتهد المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى المتوفى سنة ٨٤٠ هـ

وبليه : كتاب جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجنة البحر الزخار

للعامة محمد بن يحيى بهران الصعدي المتوفى سنة ٩٥٢

ولتمام الفائدة أُلحقت به تعليقات من مراجع مختلفة ، لمصححه :

القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي البائي الصنعائي

تقوم إلى جانب هذه النهضة المباركة في البلدان العربية نهضة دينية اجتماعية تتفجر بنايعة من سبيل الإسلام الصافي ، وتسقى أصولها من معينه الذي لا ينضب ماؤه ، ولا تبلى جدته ، وإن إمام اليمن الراحل يحيى حميد الدين الملقب بأمير المؤمنين تفحده المولى يرضوانه ، قد ساهم بقسط كبير في هذه النهضة ، فقد جاء في المقدمة ذكر طائفة من الكتب العربية والدينية النافعة النادرة ، التي أمر بطبعها ، وبمثأصولها من مكتبته العامة ، ومنها هذا (البحر الزخار) .

يقع هذا الكتاب الضخم الذي طبع بمصر - بإشراف الأستاذين عبد الله محمد الصديق ، وعبد الحفيظ أسعد عطية - في خمسة أجزاء ، وهي تبلغ نحو مائة وألني صفحة بالقطع الكامل ، عدا مقدمته والفهارس ، وهذا المصنف الكبير « الجامع لمذاهب علماء الأُمصار » يذكر المسألة وينبئ على ما فيها من إجماع أو اختلاف ، ثم يحكي أقوال العلماء من الصحابة والتابعين ، وأئمة أهل البيت وسائر الفقهاء ، ويذكر دليل كل قول وتعليقه ، مع الإشارة إلى ترجيح الراجح وتضعيف غيره . وفي أدل « البحر » ترجمة لمؤلفه ، وتليها ترجمة لخرّج أحاديثه ، وقد جرى صاحب البحر على الإشارة لمن يتردد ذكرهم من الفقهاء بحرف أو حرفين ،

وهم طبقات أربع ، الصحابة والتابعون وأهل البيت وسائر الفقهاء ، وهم الأئمة الأربعة ، وإسحاق بن راهويه ، وصفيان الثوري ، والآن وزاعي ، والبيهقي بن سعد ، والزهرري ، وربيعة ، والحسن بن صالح الكوفي ، وأبو ثور ، وداود ، والمزني ، وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وزفر ، والكرخي من فقهاء الحنفية ، وقد ترجم في المقدمة لكل واحد من أهل الطبقات الثلاث الذين ورد ذكرهم ، ولم يترجم لطبقة الصحابة لشهرتهم .

والعلامة بهران الصمدي مخرج أحاديث الكتاب . ومورد أدلة أحكامه على كثرتها واختلافها ، قد بذل في هذه السبيل جهداً عظيماً ، وإنما بقدره قدره من غاص في بحر السنة نظراً واستدلالاً ، وأمن في كتبها بحثاً واستقراءً ، فعاد كليل البصر ، قليل الظفر بمطلوبه ، وهذا الكتاب هو عمدة المتأخرين من أهل اليمن فيما يحكونه من المذاهب - خصوصاً مذهب أهل البيت - كالسيد محمد بن اسماعيل الأمير صاحب سبل السلام ، والشوكاني صاحب نيل الأوطار ، وغيرهما .

وجملة القول : ان هذا البحر الزخار دائرة معارف فقية إسلامية ، كالغني للموفق القسبي ، مع الشرح الكبير ، واللمحى لابن حزم وغيرهما من الأئمة التي لم تقيد بمذهب واحد ، ومن هذه المراجع الكبرى تبيين سعة النفع الإسلامي ، وأن اختلاف علمائنا رحمة ، والالتخذ من متنوع مذاهبهم نعمة ، وإنما يختار منها في كل عصر ما كانت أقوى دليلاً ، وأكثر مناسبة لحاجة العصر ، وطبيعة الأمة . وإنك لتجد في الأحاديث الواردة في إقطاع الأراضي ، واستئثار دفائنهم ، واستخراج ركازها ومعادنها ، ما يدل دلالة واضحة على أن ما يقوم به علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا Geologie) وعلماء الآثار والمعادن من الحفر والتنقيب عن المعادن في بطن الأرض والجبال والتلال ، هو داخل في عموم

ما أرشد الإسلام إليه ، وحث أهله عليه ، ومثله ما ورد في إحياء مَوَات الأرض (من أحيأ أرضاً ميتة فهي له) رواه أحمد والترمذي وصححه ، فإنشاء المزارع والمصانع ، وبناء المستشفيات والمدارس ، وتشبيد القلاع والحصون ، هو من باب : إحياء الأرض ، أما ما يستخرج من البعار كالجواهر واليواقيت واللؤلؤ والمرجان ، فتراه وترى معه ما تقدم من الأحاديث وأقوال العلماء ، في الفصول التي عقدها (البحر الزخار) في المعادن ، والركاز ، والكنوز ، وغنائم البحر (٢/٢٠٨ - ٢١٨) وفي كتاب السبق والرمي (ج ٥ / ١٠١) الترغيب في سبق بالخلف أو الخافر (الإبل والخيل) وازمي بالنصل (السمام) أما فقهاء عصرنا فيجب أن يستمدوا من قوى هذا الزمن وحقائقه وعلومه ومعارفه ، وأن يدعوا إلى سبق مثلاً بصنع السيارات والمصفحات والمدركات والقواصات والمناطيد والطائرات ، وإلى الرمي بالتقابل والقذائف ، وسائر ما أعدت من وسائل الكفاح عملاً بالآية الكريمة «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» وبآية «وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه» واستنباطاً من هذه الأحاديث الشريفة ، واهتداءً بهدي السلف الصالح ، ومجارة للأمم الحديثة .

وقد أحسن الأمير الجليل سيف الإسلام عبد الله كل الإحسان ، فأهدى الكتاب إلى والده الإمام الذي كان الباعث على طبعه ، الحريص على نشره ، جزاء الله خير الجزاء .

ومن سهو القلم أو غلط الطبع جاء لفظ : حليها وعورها ، مكان جلتسها وعوريتها (بتقديم السين في الأولى على الياء وبالعين المعجمة في الثانية لا بالعين المهملة) .

وعناه (في ٢/٢٠٩) من «البحر» إلى سنن أبي داود ، قلت : والحديث بروايته في (ج ٣ / ١٣٨ و ١٣٩) من عون المعبود شرح سنن أبي داود طبع

المهند ، وفي (ج ٣ / ٤١) من معالم السنن للخطابي طبع حاب ، ففيها أن الرسول (ﷺ) أقطع بلال بن الحارث معادن القبيلة جلسيا وغوريها ، وفي رواية « جَلَسَهَا وَغَوَّرَهَا » وهو ما ارتفع من الأرض وما انخفض منها ، يريد أنه أقطعه وهادها وزباها ، والقبيلة ناحية من ساحل البحر ، بينها وبين المدينة خمسة أيام .

هذا والمجمع العلي يهدي إلى من تفضل بالاهداء ، أعطر الشكر والثناء .

فتح الغفار، المشتمل على أحكام سنة نبينا المختار

للقاضي العلامة شرف الدين الحسن بن أحمد الرباعي البجلي المتوفى سنة (١٢٧٦)

أمر بطبعه الإمام أحمد بن يحيى حيد الدين ملك المملكة المتوكلية البنية

أنشرف على تصحيحه عند الطبع القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرائي البجلي ،

مندوب وزارة المعارف البنية

إن كتب السنة الصحيحة ليست إلا مفسرة للقرآن الكريم ، مينة له ، فهي تفصل مجمله ، وتوضح مشكله ، وهل يستطيع مسلم أن يفهم أركان الإسلام البدنية أو المالية كالصلاة والزكاة والصيام والحج على الوجه الصحيح من دون أن يدرس سنة الرسول (ﷺ) في العبادة وسيرته العملية ؟ وهذا هو موضوع هذا الجزء الأول من كتاب (فتح الغفار) الذي بلغ ستائة وستين صفحة بفهرسه المفصل ، وهو من أجمع الكتب وأقبحها في أبواب العبادات ، وقد استمد المؤلف هذه الأحاديث في الأحكام من كتاب (متقى الأخبار) للإمام محمد الدين أبي البركات عبد السلام بن تيمية الحراني المتوفى (سنة ٦٥٢) وهو جد شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (م ٧٢٨) وجعل كتاب (المتقى) أصلاً لكتابه (الفتح) . ولكنه زاد عليه الشيء الكثير من أخبار الأحكام ،

وضم إليه الجمل الفقير من جامع الأصول ، وبلوغ المرام ، وجمع الزوائد ، والترغيب والترهيب ، ومن الجامع الصغير ، وجامع المسانيد ، والمستدرک للحاكم ، وتلخيص الحافظ ابن حجر ، وفتح الباري وغيرها . وقد طبعت هذه الأصول الجوامع في الأمصار الإسلامية ، وهي مشهورة متداولة ، يقرأها محبو السنة ويتدارسونها رواية ودراية .

ومن مزايا هذا الكتاب الجامع أنه نسب كل حديث إلى أصله المنقول عنه ، وأنبه بما عليه من الكلام من تصحيح وتحسين ، أو تضعيف وتوهين ، وعزا كل قول إلى قائله ، وفسر ما تضمنته الأحاديث من غريب اللغة ، وضبط بعض أسماء الرجال ، أخذاً من شروح الحديث ، وغريب جامع الأصول ، ومختصر نهابة ابن الأثير ، وصحاح الجوهرى ، والقاموس ، وجمع البحار وغيرها . والمؤلف من أجلة تلاميذ الإمام محمد بن علي الشوكاني مجدد السنة في القرن الثاني عشر .

ولا يستكثر هذا الجزء الضخم على العبادات فقد أورد ما ورد فيها من الأحاديث وذكر مخرجها من الكتب الستة وغيرها ، وهذه العبادات عدا ما ورد فيها من الترغيب والترهيب ، فيها مصالح قومية ومنافع اجتماعية ، (فالصلاة) الروحية البدنية التي هي فرض عام على كل مكلف تنهى عن الفحشاء والمنكر (ما يفعل سرّاً وعلانية) وأشد الفواحش والمنكرات فتكاً وهتكاً هي تلك الجيوش المضوية التي غزت بلاد الشرق ومن المسكر والميسر والخنا والربا والانتحار ، فكثير من المستهترين وقع في هذا التيار الذي أسلم إلى الجنون أو المنون ، فكان ذلك من أشد المصائب القومية . (والصيام) الذي يدعو إلى إمساك المعدة عن الطعام ، وسائر الأعضاء عن الآثام ، وصرف جميع القوى والمواهب فيما خلقت له ، يعلم الثبات على خلق قوي لا يحيد عنه . (والزكاة) إعطاء

نصيب من المال للفقراء والمساكين وباقي الأصناف الثانية ، دون الكسالى والمتسولين ، فإذا حرمتنا الفقراء الأقوياء ، واضطروا إلى العمل ، كثرت الأيدي العاملة في الصناعة والزراعة والتجارة وهي مواد الثروة الأصلية ، وحفظت الزكوات والمعونات لمستحقها ، تنفق على إ طعامهم وإيوائهم وتعليم بناتهم وأبنائهم . و (الحج) أكبر مؤتمر إسلامي حر يبحث في شؤون المسلمين ومصالحهم ، ويوازن بين ماضيهم وحاضرهم ، ويدافع عن حقوقهم وحررياتهم ، ويؤلف بين شعوبهم وقبائلهم ، فيصبحون بنعمة الله إخوانا .

ومن أفضل خصائص هذا الكتاب أن المؤلف لما رأى ما وقع من الخلاف بين الأئمة ، وأخذ كل طائفة بجانب من السنة ، جمع أحاديث الأحكام القاطمة للخلاف ، والراعية إلى الائتلاف ، فأحسن بذلك كل الإحسان . فندعو الأمة إلى العمل بما اتفق عليه الأئمة ، وإلى ترك الخلاف جانبا ، فإن الوقت والعمر يضيقان عن استيعابه .

وقد وقع في هذا الجزء هنات مطبعية لم ننقصها لندرتها ، فمنها في (ص ٥ ص ٤) وتهوين ، صوابها : وتوهين . ومنها (ص ٤٢ ص ١٨) الجند ، صوابها : الجنة .

جزى الله المؤلف ، والآمر بالطبع ، والمشرّف على التصحيح خير الجزاء ، وإنا لبقية أجزاء الكتاب لمنتظرون .

محمد بهجة البيطار

نظرة في أعماق الإنسان

(الجزء الأول)

للدكتور محمد صبحي أبو غنبة

قل من انعماء الأدباء في بلادنا العربية من يقدم على التأليف والنشر في الموضوعات العلمية لكساد سوق هذه البضاعة بين القراء ورغبة صواد الناس في مطالعة ما عداها من كتب والاكتفاء في الغالب بقراءة المجلات والصحف التي تمنى بما يروي غليل جمهرة القراء ويسري عن أنفسهم ، أما الخوض في البحوث العلمية المحضة فليس لها غير المضطر إما في إبان سني الدراسة وإما في ما يليها من متابعة في بعض الأحيان .

وموضوع تعريفي في هذا الباب يتناول كتاباً ولا كالكتب التي جرت العادة على التعريف بها ، إذ ليس لمن يقع بين يديه من عامة الناس (ولا أستاذي إلا بعض خاصتهم) إلا الاكتفاء بتقليب صفحاته والتحديث في عناوين بحوثه الجذابة متجاوزاً عن الاسترسال في قراءة ما يحويه من آراء تسو على مستوى فهمه وإدراكه ، بالرغم عن البساطة البالغة التي صيغت بها لغة الكتاب وما بذله المؤلف من جهد لتذليل العقبات في سبيل حبك موضوعاته ليستسيغها غير الأطباء ، وجعلها في متناول الكثيرين ، إلا بعض الشذرات الأدبية والشعرية التي تخللتها فكانت بمثابة الأفاويه والمشهيات التي تضاف الى الطعام لا من أجل تحسين طعمه خشب بل لكي تزيد من الشهوة اليه أيضاً . وذلك لأن ما حواه الكتاب قد صهر في بودقة واحدة الطب وعلوم الأحياء والفلسفة صهرًا كان قاجه ما يستغلق فهمه إلا على الراغبين في تلك العلوم .

وطبيعي أن لا يخوض غمار هذا النوع الخالص من التأليف إلا ذو بسطة في

علوم الطب والأحياء والفلسفة والأدب ، وهذا لعمر الحق ما تحلى به زميلنا الفاضل الدكتور محمد صبحي أبو غنيمه مؤلف (نظرة في أعماق الإنسان) . وإني لأكبر عملاً هذا أعظم الإكبار لتحشمه الكثير من الصعاب في سبيل تأليف هذا الكتاب الذي يعد حقاً نسيجاً وحده ، وقد خلت من أمثاله المكتبات العربية ونضب معين مصادر ما كان على شاكته من المؤلفات ، بين أبناء لغة الضاد . وعلى ذلك رأينا المؤلف الفاضل مضطراً في جمع شتات مباحثه الى أن يولي وجهه شطر المؤلفات الأجنبية وقد أربى عددها على المائة والعشرين معظمها من الألمانية وبعضها من الانكليزية والفرنسية في جانب النزر اليسير من المراجع العربية ، فضلاً عما دعت ذاكرته من آراء ومساجلات لأساتذته في جامعة براين إبان دراسته الطب فيها . وإلى جانب هذا الجهد الأدبي الذي لا يقوّم ، فقد بذل الزميل جهداً آخر مادياً ليس بالقليل لإلباس مؤلفه ما يستحقه من حلة قشبية بدا فيها بجودة طبعه وكثرة الأشكال والرواسم التي زين بها ناهيك بحسن تبويب بحوثه وتنسيقها وعنايته البادية في اللغة العربية وانتقاء الألفاظ والمصطلحات فيها .

وعندما طلب إلي أن أعرف بهذا الكتاب خلّتي في بادئ الأمر أستطيع أن أفيه حقه من التعريف بأهون سبيل ، بأن أكتفي بتصفحه ومرد ما فيه من عناوين ، وما إن حاولت ذلك حتى رأيتني ملزماً بقراءة الكتاب لا قراءة 'معرف' وناقد بل قراءة مستطلع ومستعلم ومستزيد من ألفه إلى يائه حينما أجد الى ذلك سبيلاً ، مما أدى الى التأخر في التعريف في الوقت المضروب تحت المَعذرة وأفدت من مطالعة الكتاب فتمت الفائدة .

يقدم المؤلف كتابه بقوله (يحاول أن يستعرض أمامك قصة الإنسان ، وقصة الإنسان كانت ولم تزل وستظل أعجب وأغرب قصة في هذا الوجود)

وبقتنع ببحوث الكتاب بسرد مشاكل الطب في العصر الحاضر ، وإخفاق العلاج في كثير من الأدوية سارداً أقوال أساطين الطب المعاصرين في ما لا يزال إدراك حقيقته من العال مستغلقاً ، باحثاً بحثاً مستفيضاً في خوارق الطب وأعاجيبه التي يصعب تعليلها تعليلاً علمياً مقنعاً مولياً وجهه شطر أثر العوامل النفسية في الأمراض والشفاء ثم البحث في أسباب الأمراض من داخلية وخارجية ، واضطراب تطور مواد الغذاء الرئيسية (الآحبات وماءات الكربون والأدهان وأشباهاها والمعدنيات) وبلي ذلك البحث في النفس وما قبل عنها في القديم وما يقال في العصر الحالي مع البحث المدقق في آلية ظهور الأمراض والعلل ، والتعمق في جهاز الاثارة أو جهاز الطاقة الحياتية وقبول الاثارة وتطوراتها وأهدافها ثم المبسوذة (النوم المجلوب) منتهياً الى ذكر التكنة وعملها الطبي . ويختتم المؤلف هذا الجزء الأول من هذه التحفة الفريدة بكلمة يقول فيها : بهذه النظرة أردت أن أؤدي قسطاً من واجبي العلمي والإنساني فأقل إلى قراء العربية أقوال العلماء المجددين في الطب عما يروونه في أعماق الإنسان من غرائب و « الفكر » التي تخطر لهم فيها كما سجلت ما أوحته هذه الفكر من مفاهيم تصح في رأي أن تتخذ كقواعد علمية فتعرف بها أسرار تلك الغرائب في أعماق الإنسان . أما أقوال العلماء فقد أشرت الى مصادرها بالتفصيل وأما ما استوحى منها فمعرض للبحث والتمحيص ورحم الله امرءاً أهدي إلى عيوبي . ومن الحق أن أؤكد بأن كل ما جاء في هذه النظرة سيظل جزءاً صغيراً من الكون الذي هو الإنسان ويكفيني ويكفي القارئ في مثل هذه الحالة أن نثبت بصادق قول حكيمنا العربي :

دواؤك فيك وما تبصر ودواؤك منك وما تشر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

هذا ولا بد من الاشارة الى لغة الكتاب التي قلت عنها في مطلع هذه الكلمة إنها سهلة وهي صحيحة درج المؤلف في اختيار المصطلحات والألفاظ على ما هو مألوف في كلية الطب من جامعة دمشق ، وجنح في بعضها الى التعريب ولكن عن طريق اللفظ في الألمانية حيث يطلب التقيد والخروج عما هو شائع في اللغات الأجنبية الأخرى بينما المستحسن في هذا المصنف اختيار اللفظ الأهم من إحدى اللغات ، كما ان بعض الألفاظ جاءت غير موحدة في بحوث الكتاب فنراه يستعمل تارة الرئية وأخرى الرومانيزما ورومانيزما عن الالة الواحدة مما يوجب الالتباس على القارىء ، وكذلك لفظة التثاني فجاءت في بعض المواضع (الكزاز) وأخرى التكرز وترجم كلمة (Stress) تارة بمحدث نفسي وأخرى باتعمال وقد جاءت هذه الكلمة بـ (Effect) في موضع آخر ، وذكر الأزمة الصدرية (وقد يكون هذه الكلمة دلالة خاصة في اللغة) عن الحالة المعروفة بالربو ، واستعمل الصرعة عوضاً عن الصرع ، وغير ذلك من الهنات الطفيفة التي لا تؤثر في جوهر الكتاب مع الأمل أن تصحح في طبعة ثانية .

وصفوة القول اني أهني الزميل الكريم على هذه التحفة الثريدة التي أتحف بها المكتبة العربية مع التطلع الى صدور الجزء الثاني لنتم الفائدة .

الدكتور حسني سبع

أعلام

قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين

تأليف : خير الدين الزركي

وهو في تسعة أجزاء ومستدرك يشتمل كل مجلد على نحو (٣٨٠) صفحة من النسخ

الوسط - طبع الجزء الأول في مطبعة كوستانسو بماس وشركا بانقاهورة

سنة ١٩٥٤ واتم الجزء العاشر عام ١٩٥٩

أدت الطبعة الأولى من قاموس (الأعلام) التي صدرت بأجزائها الثلاثة قبل نصف وثلاثين سنة خدمات جليلة للباحثين والمطالعين ، وأجمع العاملون على أنه قد ملا يومئذ فراغاً كبيراً ونقصاً شديداً في المكتبة العربية التي هي بحاجة الى معجم في سير الأفراد سهل المنال . وقد استقبلته الأوساط العلمية باهبة ، وهلت له ، وقرضته بما يستحقه الكتاب ومؤلفه الأستاذ الزركي من تقدير وإعجاب . ولو كان غير الأستاذ الزركي لارتضى بما أحرزه من شهرة علمية ، ولطلب الراحة بعد العناء ، وقنع بالقدر الذي أداه لأمته ، وكفى نفسه نصب البحث والاستقراء ، وانصرف الى عالم الخيال ، ميدانه المفضل ، ميدان النظام والقريض ، وهو من فرسانه المجلين . ولكن أبت عليه همته إلا أن يتم شوطه ، ويدرك غايته ، فأضاف الى حقيقته الأولى ماثرة جديدة خالدة ، يقصر عنها كل ثناء . فقد عاهد نفسه منذ أن اطلع على عورات طبعة الأعلام الأولى ونواقصها على أن يصلحها في طبعة ثانية ، وها هو يفي بعهده ويخرج لدنيا العرب الطبعة الثانية من قاموسه (الأعلام) ، وهي بالحقبة تأليف جديد ، ارتقى من ثلاثة مجلدات الى عشرة مجلدات .

ومثل هذا السر لا يحتاج الى تعريف وتقريل ، فقد سبقته في الطبعة الأولى شهرته وعمت فائدته .

وأبرز ما في الطبعة الجديدة غزارة المادة ووفرة مصادرها ورسوم الرجال وخطوط المؤلفين ، فالكتاب من المصادر الخالدة التي كتب لها أن لا تبلى مع الزمن ، ودعامة راسخة في بنيان تاريخ العرب ، لا رملة ولا حصاة كما نعته مؤلفه حفظه الله وأمد مجباته .

الوطن العربي

الاتجاه السيامي والملاح الاقتصادية

تأليف الدكتور عزيز النص

عدد صفحاته (٢٩٦) صفحة من قطع الوسط ، نشرته دار البقعة العربية لتأليف والترجمة والنشر بسورية ، وطبعته في مطبعة الجمهورية بدمشق عام ١٩٥٩

صدر حديثاً هذا الكتاب ، في أيام تتأجج في صدور العرب جذوة القومية العربية ، وتثور دنيا العرب لتصرتها وبعثها . قدم فيه مؤلفه الدكتور عزيز النص للمكتبة العربية مادة دسمة عن أقطار شقيقة ، يجمل أخبارها عامتنا ، ولا تلم الخاصة إلا بالنذر البسير من أوضاعها . مع أنه لا تتم الألفة والمودة بين الأفراد ، ولا يجتمع شمل ذوي القربى والأخوة ، إلا بالتعارف واللقاء ، وما ينطبق حكمه على الأفراد في بلد واحد ، يشمل أيضاً الجماعات في أقطار متعددة ، وإن اختلفت مسائلها . إن الفرد يملك أسبابها وهي طوع ارادته ، ولكنها تتعذر على الجماعات ولا بد لها من وسيط بينها يهديها السبيل ، إن الكتاب في هذه الحالة هو أفضل أداة للتعارف ، وله أبلغ الأثر في محادثة الجماهير ، وسيكون لهذا الكتاب رسالته ، وأثره الطيب في هذا التوجيه ، وهو خير وسيط . وقد أصاب المؤلف هدف غايته ، وأحسن فيه بسط قصة الأقطار العربية ، وسرد موجز تاريخها ، وعرض قضاياها السياسية والاقتصادية عرضاً موفقاً ، تلقفها من أصدق المصادر ، ليقدمها للقارئ العربي جرعة سائغة بأمل أن تثير في نفسه نشوة ذكريات تالدة ، وتوقظ فيه عواطف حنانه الراقدة ، فيصير إلى يوم التبدلي ، وحث الخطى لجمع شمل أبناء الأمة الواحدة .

وحبذا لو ضمن الدكتور كتابه هذا بحثاً عن جمهوريتنا العربية المتحدة ينتفع به بقية الأقطار العربية إنه لو فعل ذلك لثم البحث وانتظم العقد .

نشكر للمؤلف جهده ونكبر فيه علمه ودقة بحثه ، ونرجو لهذه الدراسات النتائج المتوخاة من نشرها ، وأن تقرب يوم جمع شمل العرب بما يعيد اليهم عهدهم الزاهر ويحيي مجدهم الباهر .

العرب والإسلام

في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط

تأليف الدكتور عمر فروخ

في (٢٠٦) صفحة من قطع الوسط ، نشره المكتب التجاري

وطبعه بمطبعة دار الكتب ببيروت سنة ١٩٥٩

يتجلى الوعي القومي عند الأمم في مبلغ إنتاجها الثقافي والمادي ، فبها مقياس نهضتها وسلامة وعيها ، وتبشر في البلاد العربية هاتان التاحيتان بمستقبل زاهر ، يثلج الصدور ، وتطعن له القلوب ، فقد تجارت النهضتان في سيرهما قدما ، دون أن تطنى الواحدة على الأخرى ، مما جعلنا نؤمن أن وعينا القومي أصبح حقيقة ملموسة ، وأنه سالك السبيل القويم ، على أسس راسخة قوية ، وإن عربي اليوم يتطلع الى مستقبله مستلهما ماضيه في بناء حاضره ، وما أكثر الشواهد على صحة قولنا ، فإنه في كل يوم يظهر كتاب مفيد ونسجع بمباشرة مشاريع اقتصادية وتطورات اجتماعية ، وما هذا الكتاب الا من هذه الشواهد .

وقد شاء زميلنا الدكتور المؤلف أن يوصل في كتابه ما اتقن بين السلف والخلف ، مذكرا بني قومه بأبجادهم الفائرة ، وما حققوه من إبداع في بناء الحضارة الإنسانية ، لعلمهم يدركون ما فات ويلحقون يركب هذا العصر الذي تختلفوا عنه ، أو كما قال في مقدمة كتابه : « وتظل الأمة حية ما دام أبنائها يشعرون أنهم متصلون بأسلافهم اتصالاً واضحاً ، وما داموا يؤدون رسالة أمهم تأدية توافق حاجاتهم المتطورة مع الزمن ، وتحفظ عليهم مثلهم العليا سليمة بارزة ويجعل من تراثهم الروحي نطقاً يحيي وحدتهم ويسدد خطواتهم » . ويحذرم من مغبة التيهان خوفاً عليهم من : « أن ينتهي بهم الأمر إلى أن يذوبوا في من حولهم ، فتعرض دولتهم ، وتزول حضارتهم ، ويخلو موكب التاريخ من أمهم ، ومن اسم أمهم » .

وبدل على موضوع الكتاب عنوانه ، فقد بحث فيه المؤلف فتوحات العرب

والإسلام في القرن الأول من الهجرة ونصف الثاني لبلاد المغرب والأندلس ، وزحف جيوشهم إلى أواسط حتى بلغوا أبواب مدينتي ليون وباريس ، فخلد المؤلف فيه أروع صفحات التاريخ العربي ، وخص للقارئ في مجلد واحد ما جمته المجلدات عن هذه المعجزات .

وأستطيع التميل الكريم الاذن بإبداء ملاحظات بسيطة على ما جاء في الصفحة (١٢) عند قوله : (جاء الأتراك العثمانيون إلى الشرق الأدنى في القرن الرابع هـ .) صوابه حذف كلمة (العثمانيون) لأن نسبة الأتراك لبني عثمان بدأت في القرن الثامن من الهجرة . وجاء في الصفحة (٢٣) : « ومن أعجب الآثار بها الصنم المنسوب إلى هذه الجزيرة » وقد علق المؤلف في الحاشية : « ويقصد جزيرة الأندلس » والأصح أنه قصد جزيرة رودس التي اشتهرت بعنمها أحد عجائب الدنيا السبع ، وورد خطأ في ص (١١٠) عام ٨١٧ وصوابه ٧١٨ .
فنشكر للدكتور المؤلف جهده وحسن صنيعه ، ونرجو له دوام التوفيق في خدمة الثقافة العربية .

جعفر الحسني

ديوان ابن الخطاط

« من مطبوعات المجمع العلمي العربي وتحقيق رئيسه

العلامة خليل مردم بك »

صنف رئيس المجمع الجليل مجموعة من سير الأدباء ، وحقق طائفة من دواوين شعراء الشام المشاهير ، عُدَّ عن آثاره الأدبية ، ومقالاته القيمة ، ودراساته الممتعة ، وتبعاته الفاضلة .

وقد أخرج في هذا الصنف رابع تلكم المجموعة النفيسة وهي ديوان ابن الخطاط أبي عبد الله ، أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي ، الشاعر ، المتوفى سنة ٥١٧ هـ .

وقد قدم بين يدي الديوان تصديراً فائراً قوامه ٤٨ صفحة ، استودعه دراسة

عصر الشاعر و ترجمته ، وفصل القول في أسرته وسيرته وعلمه وأدبه وأخلاقه وصفته .
ثم ألحق بها دراسة انتقادية شينة لشعره ، أحاطت بأطراف النقد ، واستوعبت
أنواع الدقة ، وجمعت فنون التحقيق .

وقد اتخذ في تلك الدراسة الرائعة نهجاً محكماً ، أرجو أن يوفق الأدباء
إلى سلوك جَدِّه ، واتباع سنَّه ، والاقتداء بهداه . ولعلَّ مباحثه الممتعة في
شعره (ص ٢٢ - ٣٠) ^(١) من أحسن فصول النقد في تاريخ الآداب العربية
اليوم ، بله فصل لفته (ص ٣١ - ٣٩) ^(٢) ، فإنه دراسة لغوية صديدة ،
ومبحث اشتقاقي أصيل ، ومادة علمية مذكورة ، يعتز بها مؤرخو اللغة ، وكتاب
المعجم العربي التاريخي ^(٣) .

والديوان ١٥٧ قصيدة ومقطعة ؛ عدتها ٣٣٠٠ بيت . وقد عارضه بشاني
نسخ خطية عتيقة (زد عليها طبعة النجف) وفسَّر ألفاظه ، وترجم أعلامه ؛
معتدلاً على ٣٨ مرجعاً ؛ من أصول التاريخ والأدب واللغة الخطية والمطبوعة .
وذبله بأربعة فهارس : للمراجع والأعلام والبلدان والأمكنة والقوافي .
أعني الأدب العربي بهذه الطبعة الجديدة ، وذبابك المجهود المنفّس ، وأبارك
للمجمع العلمي العربي في آثاره الباقية ، ورئيسه العلامة المحقق .

الدكتور حسين علي محفوظ

- (١) درس فيها خصائص شعره ، وأثر أبي تمام والبحتري والمتني وابن حيّوس فيه .
وذكر قوة طبعه ، وكثرة ارتجاله ، وعذوبة ألفاظه ، وصحة معانيه ، مع الإشارة
إلى فنون شعره ، وأنته أزل من قال الشعر في الحروب الصليبية ، ثم وازن
بينه وبين شعراء عصره ، وعيّن منزلته منهم .
- (٢) درس فيها الألفاظ التي أغري الشاعر باستعمالها ، ويثّن أخذها بالرخس ، وسأله
في تمدي الحدود القوية ، ونحوه في الاشتقاق ، وصوغ المشتقات ، والتوسع
في القياس . وقد حاسب الشاعر في مواطن كثيرة مجال القول فيها ذر سة .
وكل الظن أنه أراد تنزيه صاحبه من كل ما يخالف المعروف .
- (٣) قد استخرج بعض ألفاظه مثل : روض ، الهناء ، أغل / جمع أغلا ، الحراد /
جمع خريدة ، المُنْدَل ، الأخص ، الأقص / جمع قبس ، التناج ، فتوك ،
مصور ، تير / أي منشور ، مطير ، مراد ، استفرس ، استخرس ، استرقص ،
استنزر ، استنزع ، استناد . وأشار إلى عواهد ذلك كله .

المنظمات الاقتصادية الدولية

محاضرات في ٢٠٤ صفحات ألقاها الدكتور جابر جاد عبد الرحمن على قسم من
طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة

كما لا ريب فيه أن محاضرات الدكتور جابر التي تخلص فيها المعاهدات والاتفاقات
الاقتصادية الدولية قد جاءت جامعة ومفيدة ، كيف لا وقد استعان بأكثر
من ٢٤ كتاباً قيمياً في هذا الموضوع لتكون مرضية .

وقد قدم الدكتور محاضراته يبحث عن التنظيم الاقتصادي ، و عما ينبغي
أن تكون عليه حصة الإنتاج . وأي نوع من السلع التي يجب إنتاجها ،
وكيفية التوفيق بين عوامل الإنتاج وعماله ، وفي توزيع السلع بين الأفراد ،
وتحديد الأثمان ، وإعطاء كل شخص حاجته ، وبين أت الغربيين قد قالوا
بضرورة التنظيم الاقتصادي الدولي ، لأن القيم المشتركة التي تعتقها الشعوب
هناك ، جعلها تقوم في إيجاد أنظمة للتعاون في العمل ، ومنظمات اقتصادية
دولية ، في شتى المجالات الاقتصادية .

وقد استعرض الدكتور في محاضراته : التعاون الدولي بين المصارف المركزية ،
وبين المنتجين وبين المستهلكين ، والاتحادات العامة الدولية ، وذلك في القرنين :
التاسع عشر والعشرين ، وبين الأعمال الضرورية عند ظهور حالة العجز في
الميزان التجاري ، ومركز احتكرا المالى الدائنة آتئذ ، وأهمية البنك الاحتياطي
الأمريكي ، واتحاد النقد اللاتيني والاسكنديناوي ، وزوال ذلك الاتحاد ،
ثم بحث مؤتمر بروكسل (عام ١٩٢٠) بتأسيس البنوك المركزية وأعضائها ،
والتعاون بين المنتجين ، والترست والكارنل التجاري ، مع العلم ان ذلك الكارنل الذي
ساهم في الاستقرار الاقتصادي ، وكان لصالح المنتجين الأمر الذي جعل التكتلات
بين المستهلكين والجمعيات التعاونية تظهر لعالم الوجود ، وذلك بين ١٨٩٥ — ١٩٤٦ .

وبين أيضاً اتحاد المواصلات الدولية ، و ظهور اتفاقات تنظيم الاتحاد انعام للبريد (١٨٧٥) واتحاد النقد الدولي (١٨٧٨) والنقل الجوي والسيارات والقياس المتري ، والتعريفات الدولية ، (١٨٩٠) .

وما بحثه : بنك التسويات الدولية (١٩٢٩) ومشروع كينز ، وغرفة التجارة الدولية (١٩٣٠) والتدخل الحكومي في الحقل الاقتصادي فيما بين الحربين العالميتين ، والمقاصة الدولية .

وبحث أيضاً مشروع هابت (١٩٤٣ / ٤ / ٥) بإنشاء صندوق نقد دولي لتثبيت النقد العالمي وهذا الصندوق كان ضرورياً ولا ريب ، رغم أنه ترك الحرية للدول بتحديد أسعار تقدمها .

وبحث اتفاقية بريتون وودز (١٩٤٤) التي تقول بإيجاد صندوق دولي برأسمال ٨٠٨ مليارات دولار على أن تدفع كل دولة حصتها ، وما هي أهداف ذلك الصندوق .

وبحث مشروع بنك الانشاء والتعمير الذي بدأ أعماله عام ١٩٤٦ برأسمال ١٠ مليارات دولار دفعتها الدول المشتركة فيه ، بنسبة قوتها ، وأوضح أهداف ذلك البنك ، ولكن الدكتور المحاضر لم يبين أن هذا البنك الذي ساهم فيه جل البلاد العربية ، من هي الدول التي استفادت منه ، وما هي حصة الدول العربية منه ؟ ان هذا البنك قد أقرض حتى اليوم ٣٠٤٠٠ مليون دولار ، لم يئل منها من الحكومات العربية سوى العراق إذ اقترض ستة ملايين و ٢٩٤ ألف دولار ، ولبنان الذي اقترض ٢٧ مليون دولار ، وهذا دليل كبير على أن هذا البنك كان مسيراً من قبل الدول الكبيرة الاستعمارية ، لذلك لم يكن لصالح العرب .

وبحث أيضاً ميثاق هافانا (١٩٤٨) وأغراضه في تنظيم التجارة ، والاتفاق على التعريفات (وكانت حكومتا سورية ولبنان من الأعضاء ، ثم انسجبتا منه (١٩٥١) ان هذا الاتفاق لم يحقق للجماعة الدولية ما ترجوه من المثل العليا .

وبحث مشروع مارشال الذي وضعه وزير الخارجية الأمريكية الجنرال مارشال في خطابه يوم ١٩٤٧ / ٦ / ٥ للانعاش الأوروبي .

وبحث مشروع شومان وزير خارجية فرنسا، الذي ظهر في معاهدة ١٩٥١ / ٣ / ١٩ والذي يهدف إلى إيجاد سوق واحدة للحديد والصلب والفحم، ومشروع المجلس الأوروبي الذي وقع عليه في أيار سنة ١٩٤٩، كما بحث المجلس الاقتصادي والاجتماعي (من قبل الأمم المتحدة) ومنظمة الأمم المتحدة للغذاء والزراعة، ومنظمة الطيران المدني الدولية، والمنظمة البحرية، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة الأمم المتحدة للتعليم والثقافة (اليونسكو) .

وقد وفق الدكتور في عرضه لتلك الاتفاقات والمعاهدات، التي ينبغي للمرء الاطلاع عليها، لأنها جديرة بذلك، بيد أنني كنت أتمنى من حضرة الدكتور المحاضر، أن يبين رأيه بوضوح عن الغاية من تلك الاتفاقات والمعاهدات الغربية، لأن جلها كان لمصلحة الدول الكبيرة، وخاصة الولايات المتحدة التي تريد تقوية اقتصادياتها، وإيجاد عمال وأصدقاء وأسواق لها في العالم، ومقاومة الشيوعية كي تعتمد عن العالم الأوروبي والأسيري، وكان معظم هذه الاتفاقات يرمي إلى تقوية المستعمر، دون النظر إلى الحكومات والشعوب الضعيفة، والأمة العربية، حتى أن منظمة الأمم المتحدة (اليونسكو) التي من أهدافها احترام العدل والقانون وحقوق الأفراد والحريات الأساسية، كانت رأت ولا تزال ترى بعض الحكومات الغربية تهاجم أقطاراً من البلاد العربية، وتدفع بعض أفراد في البلاد العربية للبحث بحقوق وحريات الأمة العربية، وببيلة السياسة الوطنية هناك، كما أن منظمة الصحة العالمية، لم تعمل عملاً يذكر لحماية الأمة العربية من نكبات الأمراض والأوبئة السارية، التي حملها الحكم الشيوعي والغربي الاستعماري إلى بلادها. وكما كان جليلاً لو أن الدكتور المحاضر نوه في ختام محاضراته عن ضرورة تعاون الحكومات العربية اقتصادياً وسياسياً، بعد أن استعرض تلك الاتفاقات الدولية التي ولدت السوق الأوروبية الاقتصادية تلك السوق التي هي ضربة على اقتصاديات وسياسة العرب، على أن ذلك لا ينقص من قيمة محاضراته الهامة وجهوده في وضعها.

منير الشريف

آراء وآباء



المرحوم الدكتور منصور فهمي

(١٨٨٦ - ١٩٥٩)

وفاة الدكتور منصور فهمي

في السادس والعشرين من آذار «مارس» سنة ١٩٥٩ فقدت مصر ، بل
 فقد الوطن العربي ، علماً من أعلام الفكر ، ورائداً من رواد النهضة الحديثة ،
 وهو الدكتور منصور فهمي . لقد كان رحمه الله فيلسوفاً عميق التفكير ، وأديباً
 مرهف الحس والشعور ، وباحثاً واسع الاطلاع على تراث السلف الأدبي والفلسفي ،
 وعلى وسائل النهضة الأوربية الحديثة ، وداعياً من دعاة الإيمان بالله ، وحب
 الوطن ، وطلب العلم ، والإصلاح الاجتماعي ، والتعالي بالأخلاق الفاضلة .
 ولا يجهل أحد من أدباء الجيل الحاضر تلك الشخصية الفذة التي مثلت أجمل
 تمثيل جانب النبل والمروءة والصلاح والخير في جيلها .

كان الفقيه ينسب الى آل البقلي وهي أسرة مصرية قديمة تنتمي الى أسرة
 نصر الدين بأسيرط . والمعروف أن أصولها مغربية من تلمسان والساقية الحمراء ،
 ووالد الفقيه علي فهمي البقلي ، وجدّه عبد العال فهمي البقلي .

ولد الفقيه سنة ١٨٨٦ م في بلدة طلخا التابعة لمديرية المنصورة من أعمال
 مصر ، ودرس الدراسة الثانوية في المنصورة وفي مدرسة فرنسية في القاهرة .
 وفي سنة ١٩٠٦ حصل على شهادة الدراسة الثانوية ودخل مدرسة الحقوق في
 في مصر . وعندما أنشئت الجامعة المصرية الأهلية أوفدته سنة ١٩٠٨ ، هو
 ورفاقاً له ، في أول بعثة مدرسية الى فرنسا ، ليتلقوا دروساً عالية في مختلف
 العلوم ، وليكونوا مدرسين في الجامعة بعد عودتهم الى وطنهم .

وكان نصيب الفقيه الفلسفة فانكب على دراستها . ولم يكتف بها ، بل
 درس أيضاً علوم الفسيولوجية والأحياء والجغرافية الطبيعية ، فحصل في سنة ١٩١٣
 من جامعة باريس على الليسانس في العلوم ، فضلاً عن الدكتوراه في الفلسفة .

ومنذ ذلك الزمن يبرز ميله الى الإصلاح الاجتماعي في وطنه ، فكان موضوع رسالته الفرنسية للعصول على لقب دكتور في الفلسفة « المرأة في تاريخ الإسلام » . وقد اشتملت عليه الرسالة تطرفاً في الرأي في تلك الأيام ، فحيل بينه وبين التدريس في الجامعة مدةً من الزمن .

ولكن سرعان ما تجلت مزاياه وآراؤه الإصلاحية النيرة في مقالاته الأدبية والاجتماعية التي كان ينشرها في الصحف ، فدُعي الى التدريس في مدرسة المعلمين العليا ، ثم عُين سنة ١٩٢٧ أستاذاً للفلسفة في كلية الآداب بالجامعة . وتدرج من الأستاذية فكان وكيلاً للكلية سنة ١٩٣٣ ، ثم كان عميداً لها . وفي سنة ١٩٣٦ عُين مديراً لدار الكتب المصرية . وفي أواخر سنة ١٩٤٤ كان مديراً لجامعة الإسكندرية .

أما مجمع اللغة العربية فقد عُين فيه عضواً منذ تأسيسه سنة ١٩٣٣ . ولما أُوجد في المجمع المذكور منصب كاتب السر « الأمين العام » انتخبه المجمعيون لهذا المنصب ، فظل يضطلع بأعماله الى حين وفاته ، وكلما انتهت مدة عمله فيه جددوا انتخابه مرةً بعد مرة .

ولم يؤلف الفقيه كثيراً من الكتب . ولكن سيرته في الإصلاح طيلة حياته كانت كلها سفراً كبيراً . ولو جمعت مقالاته في مختلف الجرائد والمجلات العربية ، وخطبه في النوادي العامة ، وبجوثه التي ألقاها في مجمع اللغة العربية لتألف منها كتب ثينة .

وما طبع له ترجمة رواية « هرمان ودوروتيا » وهي للشاعر الألماني غوته ، وبضع رسائل اجتماعية منها « الضعف الخلقي وأثره في حياتنا الاجتماعية » ، ومنها « أوقات الفراغ كيف نستثمرها » الخ .

وكتابه المطبوعان اللذان اشتهرا لدى الأدباء هما «خطرات نفس» ، و «مي زيادة» مع رائدات النهضة النسائية الحديثة «ومن عاتشة التيمورية ووردة البازجي وملك حقيقي تصنف الملقبة بياحثة البادية .

فالكتاب الأول مجموعة من المقالات في أخلاقنا ، وتأملات في نواحي حياتنا الاجتماعية . وقد تميز فيها الفقيد بسلاسة التعبير ، ودقة التصوير ، وضبط دلالة الألفاظ على معانيها ، وتركيز تلك المعاني ، وبذلك يعد في جملة الرواد من الكتاب الذين أحلوا للمقالة مكانها المرموق في عصرنا الحاضر .

أما الكتاب الثاني فما من أديب قرأه إلا وقال فيه إنه يحتوي على بيان رائع ، وتصوير جميل ، وتحليل فلسفي دقيق لحياة رائدات النهضة النسوية الحديثة ، وللمجتمع الزمن الذي عشن فيه .

وسيرة الفقيد - على ما ذكرت - هي التي كانت للجيل الحاضر أجمل كتاب . فقد قضى عمره داعياً الى الاستمساك بما عندنا من عادات وتقاليد حسنة ، وبما في الدين من وصايا خلقية ثمينة ، حتى عده بعضهم من المتزمطين أو الجامدين ، على حين أنه لم يكن عدواً للتجديد ، بل كان عدواً لترك الصالح من مقوماتنا القومية ، ولفكرة اقتباس الصالح والطالح من المدنية الغربية من غير تمييز .

أقام فلسفته على مبدأ الخير والشر ، ونقذ الى نواحي المجتمع ، فتجلت دعوته الدينية القوية في جمعية الشبان المسلمين ، ودعوته الإنسانية في جمعية الهلال الأحمر وغيرها من الجمعيات الخيرية ؛ وبرز نشاطه الاجتماعي في جميع الإصلاح الاجتماعي ، ونشاطه العلمي والأدبي والفلسفي في جامعة القاهرة وجامعة الإسكندرية ودار الكتب المصرية ومعهد الدراسات العربية العالية . أما في جمع اللغة العربية فأعضاء ذلك المجتمع يعرفون أن الدكتور منصور فهمي ، وإن لم يكن لغويًا ، قد خلف الشيخ أحمد السكندري رحمه الله في كرهه للإكثار من تعريب

المصطلحات الأعجمية ، وأنه كان يرى عدم اللجوء الى تعريب ألفاظ المعاني خاصة إلا بعد اليأس من العثور على ألفاظ عربية تقابلها في معجمتنا القديمة وفي كتب السلف العلمية والأدبية ، أو بعد المعجز التام عن إيجاد ألفاظ عربية لا تدنى ملازمة بوسائل الاشتقاق أو المجاز أو التضمين أو التخت .

ولطالما سمعت في جلسات مجلس المجمع أو مؤتمره يجادل أنصار الإكثار من تعريب المصطلحات العلمية ، ويقول لهم إن اللفظ العربي له جاذبيته الخاصة عند أبناء المروبة لأسباب وراثية ، ولأنه يشير في تقوسهم معاني وصوراً يعجز اللفظ الأعجمي المعرب عن إثارتها .

ولا يعرف إلا قلة من أبناء الوطن العربي أن الفقيه كان يؤمن مثلنا بعقيدة القومية العربية ، وأنه من المصريين الأوائل الذين كانوا يتجادلون هم والعالمون في شؤون تلك القومية ، فيفتحون لهم صدورهم ودورهم في الأزمات السياسية . والعرب الذين كانوا يلجأون الى مصر فراراً من ظلم الدول الاستعمارية في بلادهم كانوا يعرفون حذب الدكتور منصور فهمي على قضيتهم ، وتردده على جمياتهم ، ومشاركته لهم في سرايهم وفي خرائطهم .

رحم الله الفقيه وجزاه عن العرب وثقاتهم ولغتهم وقوميتهم جزاء العاملين المخلصين .

مصطفى الشربابي

الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي^(١)

موضوع الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي موضوع كبير لا يمكن استيعابه في حديث واحد ، وذلك لأن الدراسات العربية تؤلف جزءاً من علم واسع معروف بعلم الاستشراق ؛ والشرق العربي كان منذ قرون ممتداً من البحر الأطلنطي غرباً إلى الصين شرقاً .

وإذا أردنا التحدث عن الدراسات العربية بالتفصيل كان لا بد من أن نشرح تاريخ فرع كامل من فروع العلم في بلادنا ، وأنا عاجز عن أداء هذه الوظيفة . أما نشوء الدراسات العربية بمضامها العلمي في روسيا فهو يرجع إلى بداية القرن التاسع عشر ، عندما أصبحت اللغة العربية تُدرّس في جامعات خاركوف وقازان وموسكو وبطرسبورغ . ومن بين أبرز العلماء الذين بدأوا الأبحاث العربية العلمية في روسيا في ذلك الحين نذكر المجيعي قرين (١٧٨٢ - ١٨٥١) أستاذ اللغة العربية في جامعة قزان أولاً ، ثم بجامعة بطرسبورغ ، وهو مؤسس المتحف الآسيوي المشهور في بطرسبورغ ، حيث قام بصورة منظمة وعلى أساس علمي بدراسة المخطوطات العربية . ونذكر أيضاً الأستاذ بولديروف ، كان أستاذ اللغات الشرقية بجامعة موسكو من سنة ١٨١١ إلى سنة ١٨٤٣ . وقد أصدر بولديروف أول كتاب علمي لدراسة النحو العربي باللغة الروسية ، وأول كتاب منتخبات من الأدب العربي مصحوب بمعجم عربي روسي .

وقد كان المستشرقون ، منذ نشوء الدراسات العربية في روسيا ، لا يقتصرون على البحث العلمي أو التعليم في الجامعات ، بل كانوا أيضاً يعملون على إطلاع

(١) حديث للمستشرق الروسي الأستاذ عبد الرحمن سلطانوف مدير قسم العرب في معهد الدراسات الشرقية في موسكو . ألقاه في جمعية تعزيز التبادل الثقافي بين سورية والاتحاد السوفياتي .

المجتمع الروسي على الثقافة العربية . فقد قام بولديريف وتلاميذه بترجمة بعض القصائد والأقاصيص العربية الى اللغة الروسية ، واشتهر بهذا النشاط بوجه خاص أستاذ اللغات الشرقية في « بطرسبورغ » الصحفي الروسي المعروف بوصف سينكوفسكي . وقد كان ينشر مقالات في الأدب العربي ، منها مقال رائع في الشعر الجاهلي لم يفقد قيمته العلمية حتى الآن . كما كان ينشر بعض الأقاصيص فيستقي موضوعاتها من الأقاصيص العربية .

وفي أواخر القرن التاسع عشر بلغت الدراسات العربية ، كسائر الدراسات الشرقية في روسيا ، مستوى مرتفعاً جداً . وكان يتقدم العلماء المستعربين في ذلك العهد الأستاذ غيرغاس والمجمل روزين . أما غيرغاس فقد تخرج من جامعة « بطرسبورغ » ، وقضى ثلاث سنوات في سورية ولبنان وفلسطين ومصر . وبعد رجوعه إلى روسيا تولى تدريس اللغة العربية ، ووضع عدداً من الأبحاث العلمية ، ومعجماً عربياً روسياً ، وكتاباً في تاريخ الأدب العربي ، وكتاباً آخر في تاريخ الدراسات النحوية عند العرب . وفي هذا الكتاب انقد غيرغاس بعض النواقص الموجودة في الطريقة المعقدة التي اتبعها العرب في شرح قواعد اللغة ، تلك النواقص التي يشكو منها اللغويون العرب المعاصرون حتى اليوم ؛ وذلك إلى جانب تقدير كل ما يوجد في كتب اللغويين العرب القدماء من عناصر .

وأما المجمل روزين فقد برّز في مضمار دراسة المخطوطات العربية . وله يد يضاء في تربية جيل من المستشرقين وبينهم تلميذه المجمل كراتشكوفسكي . وفي بداية القرن العشرين كانت الثقافة العربية تُدرس في عدة مراكز علمية في روسيا . وكان بين كبار العلماء الذين اشتغلوا بالدراسات العربية الأستاذ قريمسكي والأستاذ كراتشكوفسكي .

وفي العهد السوفياتي اتسعت الدراسات الشرقية في بلادنا إلى حد كبير .
ونشأت في ليننغراد مدرسة استشراف فيلولوجية مشهورة كان يشرف على الدراسات
العربية فيها الأستاذ العلامة اغناطيوس كراتشكوفسكي المشهور .

لقد وضع الأستاذ كراتشكوفسكي حوالي (٥٠٠) بحث علمي في الأدب
العربي القديم والحديث ، وفي العلم العربي والفكر العربي . وكان من أهم خدماته
في قضية دراسة الثقافة العربية أنه كان أول من جعل الأدب العربي الحديث
موضع الدراسات العلمية ، بينما كان المستشرقون في أوربة الغربية لا يعترفون
إلا بالأدب العربي القديم .

وبعد وفاة كراتشكوفسكي (في كانون الثاني سنة ١٩٥١) ، قرر المجمع
العلمي السوفياتي إصدار مجموعة مؤلفاته . وقد جاء هذا القرار دليلاً على مبلغ
احترام الشعب السوفياتي لثقافة العرب التي وقف الأستاذ كراتشكوفسكي
حياته على دراستها وإطلاع الشعب عليها . وتتألف هذه المجموعة من ستة مجلدات
صدر منها حتى الآن ثلاثة ، يحتوي الأول منها ذكريات كراتشكوفسكي
عن خطواته الأولى في طريق دراسة الثقافة العربية ، وعن زيارته لسورية ومصر ،
كما يحتوي مقالاته عن اللغة العربية . ويتضمن المجلد الثاني أبحاث هذا العالم
في الأدب العربي القديم ، ويتضمن المجلد الثالث أبحاثه في الأدب العربي الحديث .

وسيصدر عما قريب المجلد الرابع وفيه مجمت أبحاث الأستاذ كراتشكوفسكي
في الأدب العربي الجغرافي ، كما سيجتوي المجلد الخامس على مقالاته في تاريخ
الدراسات العربية في روسيا ، والسادس على ترجمة كتاب ابن المعتز (في الشعر العربي) ؟
وعنى وصف كراتشكوفسكي لمخطوطات العربية في مكتبات الاتحاد السوفياتي .

وعمن يحدر ذكره بين العلماء الذين عملوا في ليننغراد الأستاذ يوشمانوف
المتخصص في اللغات السامية والافريقية ، وقد وضع عدة أبحاث في اللغة العربية

قيمة للغاية ، وكذلك الأستاذ فيلنتشك الذي عمل على وضع معجم عربي رومي خاص باللهجة السورية . وقد بذل في هذا السبيل جهوداً تستحق الإعجاب ، ولا سيما إذا علمنا أنه كان مصاباً بالصمم . وقد توفي كلا هذين الأستاذين بعيد الحرب العالمية الثانية .

وفي أثناء الحرب الأخيرة توفي مستشرق رومي كبير آخر عاش في السنوات الأخيرة من حياته في أوكرانيا ، ونعني به النجمي قريمسكي ، الذي زار سورية خلال السنوات ١٨٩١ - ١٨٩٨ ، وفي المرحلة الأولى من نشاطه العلمي أصدر سلسلة من الكتب للطلبة والمستشرقين ، منها (تاريخ الإسلام) وكتاب (اللغات السامية) و (تاريخ العرب) و (تاريخ الأدب الجاهلي) كما نشر عدداً كبيراً من المقالات عن الشرق في المصوغات الروسية ، وتجدر الإشارة إلى أن قريمسكي قد أخذ قبيل الحرب العالمية الثانية بوضع كتاب ضخيم في عدة مجلدات في تاريخ الأدب العربي الحديث . ولو أتم قريمسكي مجتهه هذا لكان أول كتاب من نوعه في الاستشراق العالمي ، ولكن الحرب حالت دون ذلك فلم ينجز إلا المجلد الأول من كتابه . وتتخذ الآن التدابير اللازمة لإصدار جميع مؤلفات هذا العالم .

وأما في وقتنا الحاضر فإنه توجد مراكز كثيرة للدراسات الشرقية والعربية في الاتحاد السوفياتي . فهناك معهد للدراسات الشرقية في موسكو وله فروع المستقلة في طاشقند وباكو وقزاق وتبليسي (تفليس) وليننغراد حيث يتخصص العلماء بوجه خاص في دراسة اللغة والآداب والمخطوطات العربية . وقد قُدم في هذه المراكز في المدة الأخيرة ما يقرب من ثلاثين أطروحة علمية في شتى موضوعات الأدب والتاريخ العربيين .

وقد نشر الأستاذ يليايف فصلاً كاملاً عن تاريخ العرب في كتاب « تاريخ الشرق في القرون الوسطى وفي العهد الجديد » ، كما ترجم الأستاذ نفسه إلى

اللغة الروسية القسم المتعلق بتاريخ شعوب آسيا الوسطى من تاريخ الطبري . وقدم لهذه الترجمة بشرح مفصل لحياة الطبري ومؤلفاته العلمية .

وقد أعد الآن للنشر كتاب وضعه فريق من المستشرقين في معهد الدراسات الشرقية عن تاريخ الحركة الوطنية التحررية في البلاد العربية بعد الحرب العالمية الثانية .

ومنذ سنة صدر في موسكو كتاب « تاريخ الشرق الحديث » ، يحوي فصلاً عن تاريخ مصر وسورية ولبنان والعراق وسواها من الأقطار العربية من سنة ١٩١٢ إلى اليوم .

ونشر في طاشقند ترجمة (قانون الطب) لابن سينا . كما صدر في خاركوف بحث في كتاب رحلة ابن فضلان إلى روسيا في القرن التاسع . وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الروسية الأستاذ كرفاليفسكي مع دراسة ضافية .

وفي هذه السنة تصدر في موسكو الطبعة الثانية من المعجم العربي الروسي للأستاذ بارانوف من أستاذة جامعة موسكو . ويتميز هذا المعجم بدقة نقل المفردات والمصطلحات العربية إلى اللغة الروسية . وهو يعدّ حقاً خير مساعد في ترجمة النصوص الأدبية والاجتماعية والاقتصادية إلى الروسية .

وقد هيا القسم العربي لمعهد الدراسات الشرقية (دليل سورية) . وهو كتاب ضخم في خمس وعشرين ملزمة ، يتضمن معلومات مفصلة عن تاريخ سورية وثقافتها في العهد الجديد . وسيُشر هذا الكتاب في هذا العام إن شاء الله .

ويشارك المستشرقون عندنا في ترجمة نماذج من الأدب العربي الحديث إلى اللغة الروسية . وقد نشر باللغة الروسية حتى الآن بعض الروايات والتقصص لأدباء العرب في مصر وسورية ولبنان والعراق ، بينها كتاب (الأيام) لطلح حسين الذي نقله إلى الروسية العلامة كراتشكوفسكي ، ورواية (عودة الروح) لتوفيق الحكيم .

وفي عام ١٩٥٥ صدرت مجموعة قصص لكتاب العرب تحوي نماذج من قصص محمود نيمور ، وعبد الرحمن الخلبس ، ويوسف إدريس ، ومحمد صدقي ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، ووصفي البني ، ومحمد إبراهيم دكروب ، وإميل يوسف عواد ، وعبد المسيح حداد ، ومواهب الكيالي ، وأحمد السيد ، وذو النون أيوب . ونشرت كذلك مجموعة قصص للأدباء المصريين كمحمود تيمور ، وعيسى عبيد ، وبنت الشاطئ ، والشرقاوي ، ويوسف جوهري ، وإدريس وسوام .

وفي سنة ١٩٥٦ نشر كتاب يتضمن مؤلفات ولي الدين يكن وجبران خليل جبران وأمين الريحاني ومحمود تيمور وشحاتة عبيد وسلي صائغ وذو النون أيوب . وأعدت للنشر ترجمات بعض مؤلفات مواهب الكيالي وشوقي بغدادى ومينائيل نعيمة ومارون عبود وحنا مينة وفاتح المدرس وسوام . وكذلك نشر في العام الماضي في موسكو مجموعة تتضمن منتخبات من آثار الشعراء المصريين .

وفي معهد الدراسات الشرقية تصدر شهرياً عدة مجلات علمية ، منها (مجلة الاستشراق السوفياتي) ، و (الرسائل العلمية) ، و (أخبار معهد الدراسات الشرقية) . وعما قريب ستظهر مجلة جديدة اسمها (الشرق الحديث) . ويوجه القسم العربي في المعهد في الوقت الحاضر اهتمامه الخاص إلى بحث عميق . ألا وهو (قضية الوحدة العربية) ، ويحاول دراسة العوامل التاريخية ، الاجتماعية والاقتصادية والثقافية واللغوية التي تنطوي عليها هذه القضية العظمى .

عبد الرحمن سلطانوف

ديوان الحافظ محمد النجار

الشامي

دعاني الأديب المؤرخ الشيخ محمد باقر ألفت الاصفهاني إلى زيارة بلدة اصفهان ، مدينة العجائب العاصرة بالمدارس والمساجد والخزائن ؛ وقد لبثت في بيته عدة أيام تصفحت في أثنائها خزائنه الحافلة بالكتب الخطية والأعلاق العربية النفيسة . وقد عملت لنفسي فهرست ما بهم من نوادر خزائنه ، فأتاحت لي فهرست مخطوطاته الاطلاع على طائفة كثيرة من المجموعات الأدبية المحفوظة بخزائنه التي تعد - والحق أقول - من الدخائر .

ومن تلك الكتب القيمة نسخة من ديوان الحافظ محمد الشهير بالنجار ؛ كما عبر هو عن نفسه في الأرجوزة التي أثبتتها في أواخر الديوان ، المسماة (لؤلؤة التنزيه لأرب التنزيه عن التعطيل والتشبيه = نظم كتاب مقامات الأولياء للشيخ عبد الوهاب الشعراني) قال :

قال الفقير حامل الأوزار محمد الشهير بالنجار

وقال - في نظم رموز كتاب الحصن الحصين التي اختارها ابن الجزري :

قال الفقير الحافظ النجار محمد من مضه الأوزار

طول أوراق النسخة ٢١٥٠ متبخر في عرض ١٦٥٧ ، وجميع أوراقها ٢٤٣ وفي كل صفحة ٢٣ سطراً وهي مكتوبة في عصر الشاعر وربما كانت نسخة الأصل (ظ) فقد أرخ الشاعر الحوادث إلى سنة ١١٧٣ هـ وفي أولها : (دخل في ملك أقر الوري إليه سبحانه وتعالى السيد مصطفى بن السيد أحمد خادم أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - سنة ١١٧٥) . والصيغة الأولى

من الديوان [الورقة ١ ب] يضاء فارغة لعل الشاعر اتوى كتابة خطبة
الديوان فيها ثم أدركه الموت ، وفي أواخر هذه الصفحة :

لما جعدت مودتي وتعرفي

وضلت في قصد السيل المقرف

وغددتني ناديت بمسد تلهني

ونتمته في [الورقة ١٢] :

لله في عنتي بين المصحف وعلى كل ذنوب أهل الموقف

..... الخ

وهذا الديوان حافل بفوائد وحوادث كثيرة مستطرفة ؛ منها :

سنة ١١٥٤ وفاة الشيخ مصطفى المصري الحافظ شيخ القراء بدمشق

١١٥٥ وفاة موسى آغا بن الاردك

١١٥٦ تولية أسعد بشه (كذا - باشا) بن العظم على دمشق وأعمالها

١١٥٩ وفاة السيد محمد فقي الدقردار بأمر السلطان عصر نهار الأحد

متصف جمادى الآخرة .

١١٦٧ تاريخ بناء خان الوزير أسعد باشا بن العظم

أواخر ١١٦٧ وفاة المجذوب الشاخ الشيخ خليل الملقب باليأض

١١٦٨ وفاة الشيخ محمد الداودي

« سنة ١١٧٠ لعشر خلون من شهر رمضان ، وقع شر بين طائفة الإنكشارية

وطائفة القول . واستمر في دمشق الى آخر ربيع الثاني

سنة ١١٧٢ »

١١٧١ ولي المولى السيد علي افندي المرادي وظيفه الافتاء بدمشق

١١٧٣ « في أوائل شهر ربيع الأول ، ليلة الثلاثاء منه ، قبل ليلة

المولد الشريف بثلاث ليال ، أو ما يقرب من ذلك ، في منتصف تلك الليلة

المذكورة ، جاء في دمشق ونواحيها زلزال هدم البنيان ، وأيتم ، وخرب المنارات ، وغادر المساجد ، والنواحي ، خرابا . . . سقطت أعالي منارة العروس ، وصاوت منارة عيسى الأرض ، وسقطت قبة النسر ، وتهدم أعالي الجانب الشمالي من الجامع . . فأمر القاضي بالصيام ثلاثة أيام » .

وفي الديوان مدح لحامد أفندي العماري شيخ الإسلام ، والوزير سليمان باشا بن العظم ، ويحيى آغا بن طالوا ، وأسمد باشا بن العظم .

ومن طرائفه أبيات « طلبها بعض الأصدقاء لتقرأ يوم ختم درس الحديث ، تحت قبة النسر ، في الجامع الأموي ، والمدرس إذ ذاك - شيخ مشايخنا ، علامة القطر الشامي . . الشيخ اسمعيل العجلوني » ، وأبيات قالها لما أكل نسخ كتاب انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون . وآخر نظمها « اجابة لمطلب محمد جريجي القباني يشكر هدية تقيب أفندي السيد علي العجلاني - كتاب الكشكول » . وقد نظم بعض قواعد الرسم والنحو . وله مراسلات مع الشيخ عبد الله الحلبي .

الدكتور حسين علي محفوظ

أغلاط مطبعية

وقعت في هذا الجزء أغلاط مطبعية تصحح كما يلي :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٤٢٥	أسامع	أسامع
٤٢٦	من كل فج	في كل فج
٤٢٧	لم ينتهم	لم ينتهم
٤٢٧	لو كاد	لو كان

فهرس الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين

صفحة	
٣٨٥	ثلاث رحلات للأستاذ شفيق جبري . . .
٣٩٣	ثقافة الأطباء عند العرب (١) للدكتور عبد الرحمن الكيالي .
٤٠٩	العلاقات الجومرية بين التتتين العربية والآرامية د انريانية (٢) للطهران غريغوريوس بولس بهنام
٤٢٥	بعضولات المنسوب (تعليد) للأستاذ شفيق جبري . . .
٤٣١	الرجاجي : حياته وآثاره (٢) للأستاذ مازن المبارك . . .
٤٤٧	كتاب شرح الألفات (٢) للأستاذ أبو محفوظ الكريم مسوي
٤٦٢	نظرة في مصمب المصلحات الضية للكثيرات (٣) للدكتور حني سيج . . .
٤٧٩	مختارات مما لم يقتر من شعر البحتري (٣) للدكتور صالح الأشر . . .
٤٩٠	كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (٧) للدكتور محمد صغير حسن المصري

التعريف والنقد

٥٠٧	قضايا الفكر في الأدب المعاصر للأمير مصطفى الشهابي . . .
٥٠٨	وجوب التناون بين الدين
٥٠٩	١- توضيح الكاية الثانية ٢- الحق الواضح المين
٥١٢	كتاب البحر الزخار للأستاذ محمد بهجة البيطار .
٥١٥	فتح النظار
٥١٨	نظرة في أعماق الإنسان للدكتور حني سيج . . .
٥٢٢	أعلام (لوزكي)
٥٢٣	الوطن العربي للأمير جعفر الحني . . .
٥٢٤	العرب والإسلام
٥٢٥	ديوان ابن الخطيب للدكتور حني علي محفوظ . . .
٥٢٧	المنظرات الاقتصادية الدولية للأستاذ عزيز الشريف . . .

آراء وأنباء

٥٣٠	الرحوم الدكتور منصور لمي للأمير مصطفى الشهابي . . .
٥٣٥	الدراسات العربية في الاغداد السوفياتي للأستاذ عبد الرحمن سلطانوف .
٥٤٦	ديوان المحافظ محمد النجار الثاني للدكتور حني علي محفوظ . . .
٥٤٣	أعلاما مطبوعة

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٩ م ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٩ هـ

مَدَى النَّحْتِ في اللغة العربية

توطئة :

من المعروف أن النحت في لغتنا الفادية التشتر والتشر والبري .
يقال فحَتَّ الخشبَ والحجارة إذا يراها . ومن المعروف أيضاً أن النحت في
الاصطلاح انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر ، على أن يكون تناسب في
اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه . وقد نحت القدماء من (الجملة) فاشتهر
من منحوتاتهم قولهم حمدَلْ حمدَلَة من الحمد لله ، وبسَمَلْ بسملة من بسم الله ،
وسجَلْ سجلة من سجان الله ، وحسبلْ حسيلة من حيي الله ، وجعفَدَ من
جُعِلَتْ قِداك ، ودمعَزَ من أدام الله عزه ، وحولقَ من لا حول ولا قوة الا بالله ،
وطلبقَ من أطال الله بقاءك ، ومشكنَ من ما شاء الله كان الخ .

وفتحوا أيضاً من المركب الإضافي : فمن مشهور ما قالوه في النسب الى عبد شمس عَبْثَسِي ، والى رَأْسِ عَيْن « في الجزيرة » رَسْعَتِي ، والى عبد القيس عَبْقَسِي ، والى حِمْنِ كَيْفَا « على دجلة شمالي الجزيرة » حِصْكَنِي ، والى عبد الدار عَبْدَرِي ، والى دار البطيخ في بغداد دَرَبْنِي .

ولم يتبعوا قواعد ثابتة سواء في الحروف التي تُنتزع من المنحوت منه ، أو في ترتيب حروف المنحوتات . ولكن القاعدة المعروفة أنهم يأخذون من كلمتين كلمة على وزن فَعْل ، وبأخذون من كل كلمة فاءها وعينها ، ثم ينسبون الى المنحوتة ، كقولهم عَبْثَسِي من عبد شمس ؛ فإنهم انتزعوا العين والباء من كلمة عبد ، والثين والميم من كلمة شمس ، ثم أضافوا الى عبشم ياء النسبة المشددة .

وقد نعتل عين الجزء الثاني من فعل ، فيتجاوزون عنها الى اللام ، كما في عَبْقَسِي من عبد القيس فقد تجاوزوا عن ياء قيس الى عينها .
إلا أننا وجدناهم يشذون عن هذه القاعدة في مثل قولهم دربنجي في النسب الى دار البطيخ . فمن مقتضى القاعدة أن يقال دربطي .
وكذلك في النسب الى سوق مازن فقد قالوا : سقرني حاذفين فاء الكلمة الثانية أي ميم مازن .

أما موضوع ترتيب الحروف في النحت فقد اختلفت فيه آراؤهم . فعند ابن فارس يقال حَوَقَلَ ، بتقديم قاف حوق على لامها ، مثلاً يقال جعفلة باللام ، بدلاً من الدال ، في جعفلة المنحوتة من جعلت فداك . وعدَّ ابن فارس ذلك تنقياً ؛ ولكن ابن دحية قد خطأ في الجعفلة هذه ، وقال إن الحوقلة هي مشية الرجل الضعيف لا منحوت « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وذكر الخفاجي في شفاء الغليل الطبقة بتقديم الباء على اللام في الطبقة المنحوتة من «أطال الله بقاءك» ، فخطأه بعض العلماء ذاكرين أنه لا بد من ترتيب الحروف في المنحوت ، على حسب ترتيبها في المنحوت منه .

ورأيهم ، بعد هذا الخلاف ، يتجاوزون في بعض المنحوتات من الجمل عن جميع حروف بعض السكك ، مثل كلمة دَمَعَز التي ألفت إليها فليس فيها حرف من حروف لفظ الجلالة .

والخلاصة أن هنالك قاعدة وضعت للنحت ، ولكن ما شذ عنها كثير . وعد القدماء النحت سماعياً ، فلم يميزوه ، وذكر بعض المتأخرين أن ابن فارس قال بقياسيته في فقه اللغة ، والحقيقة أن ابن فارس لم يصرح بقياسية النحت ، بل ادعى أن الكثير مما زاد على ثلاثة أحرف منحوت ، والكثرة تميز القول بالقياسية .

النحت في المصطلحات العلمية الحديثة . - كان مجمع اللغة العربية في القاهرة أُلّف في سنة ١٩٤٧ ، لجنة من بعض أعضائه ، تنظر في موضوع النحت ، فوضع العلامة الشيخ إبراهيم حمروش مقرر اللجنة بحثاً مانعاً في النحت^(١) انتهى فيه إلى قوله :

«ونحن نقول يجوز النحت في العلوم والفنون للحاجة الملحة إلى التعبير عن معانيها بألفاظ عربية موجزة» .

وقد أقرت اللجنة هذا البحث . وعندما عُرض في الدورة الرابعة عشرة (١٩٤٧ - ١٩٤٨) على المجمع وافق بعد المناقشة على جواز النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية^(٢) .

(١) نشر في الجزء السابع من مجلة مجمع اللغة العربية «ص ٢٠١ - ٢٠٤» .

(٢) ج ٧ ص ١٥٨ من مجلة مجمع اللغة العربية .

وليس المهم في بحثي هذا التنبؤ اني أن النحت من الألفاظ العلمية أصبح جائزاً لنا ، فكل من يعاني وضع المصطلحات بالعربية يعرف أننا في حاجة الى النحت في بعض الأحيان ، والذي يهم بيانه إنما هو مدى الضرورة العلمية الى النحت ، والشروط التي يجب على الناحية أن يتقيد بها في وضع المنحوتات العلمية ، وأرى أن البحث عن حدود النحت ومذاهب يشتمل على كثير من الملاحظات التي ذكرتها في بحثي عن حدود التعريب ومذاهب^(١) .

ففي النحت « كما في التعريب » فريقان من العلماء : فريق يرى أن كلمات « عند الضرورة العلمية » التي جعلها المجتمع شرطاً في النحت شيء رخو قابل للمط والتأويل ، ولذلك راح رجال هذا الفريق بكثرون من النحت ، على حسب ما جادت به قرائهم .

وفريق يرى أن تلك الكلمات قوية في دلالتها ، وأنه يجب مراعاتها بدقة في موضوع النحت ، لذلك تزمت رجال هذا الفريق ، ولم يستيفوا الا الندرة من المنحوتات الحديثة .

وبين فريق المتهاونين وفريق المتشددين من العلماء برز فريق ثالث ممن لم يختصوا بعلم من العلوم ، ولم يطلعوا على خصائص لساننا ولم يهضموها ، فراحوا ينحتون على حسب ما توحى به اليهم معرفتهم باللغات الأجنبية وتفكيرهم بها ، وإذا بهم باتوننا بمنحوتات عجيبة لا العالم يحوجنا اليها ، ولا الذوق العربي يستيفها . ولا بد لكل من يكاف نفسه مشقة النحت ، في قتل العلوم الحديثة الى العربية ، من أن يكون متخلياً بصفتين : الأولى إدراك مدى الحاجة الى منحوت عربي يقابل الكلمة الأجنبية ؛ والثاني التحسس بما يوافق الذوق العربي ولا ينفر منه السمع .

(١) نشر هذا البحث في عدد تموز سنة ١٩٥٦ ص ٥٠٩ - ٥١٢ من مجلة
المجمع العلمي العربي .

منحوتات لا حاجة اليها . - من الأدلة على جهل مدى الحاجة الى النحت ما أقدم عليه مؤلف معجم إنكليزي عربي من نحت كلمات سقيمة تدل على أسماء شعب وطوائف ورتب من الحيوان ، على حين أن هذه الأسماء في علم الحيوان وعلم النبات لا حاجة فيها الى النحت .

وهاكم نماذج قليلة من هذه المنحوتات العجيبة :

في رتب الحشرات :

اللفظ المتعوت	اللفظ الفرنسي	اللفظ الصحيح
غَمَجَنَاحِيَّات (من غمد وجنّاح)	Coléoptères	غَمْدِيَّات الأجنحة
غَشَجَنَاحِيَّات (من غشاء وجنّاح)	Hyménoptères	غَشَائِيَّات الأجنحة
مَسَجَنَاحِيَّات (من مستقيم وجنّاح)	Orthoptères	مُسْتَقِيَّات الأجنحة
عَصَجَنَاحِيَّات (من عصب وجنّاح)	Névroptères	عَصَبِيَّات الأجنحة

النح

وفي السمك :

الشَوَجَنِيَّات (من شوك وجنّاح)	Acantoptérygiens	شَانِكَات الزُعَاتِف (لا الأجنحة)
الدَوَقَسِيَّات (من دائر وفم)	Cyclostomes	حَلَقِيَّات الأفواه
اللَمْعَنِيَّات (من لين وزعفة)	Malacoptérigiens	لَيِّنَات الزُعَاتِف

وفي الرخويات :

البَطَنَجَلِيَّات (من بطن ورجل)	Gastéropodes	مَعْدِيَّات الارجل
-----------------------------------	--------------	--------------------

وفي الأولي :

الجَذَرِجَلِيَّات (من جذر ورجل)	Rhizopodes	جَذَرِيَّات الأقدام «أو الأرجل»
-----------------------------------	------------	---------------------------------

الى آخر أمثال هذه المنحوتات العربية التي لا حاجة اليها البتة في علوم المواليد ، وفيها فوق ذلك ضرر بارز للعيان : ذلك بأن الأوربيين عندما ينتعشون كلمة علمية واحدة من كلمتين يونانيتين ، كالكلمات الفرنسية المذكورة ، يهتمون بجمل

الكلمة المنحوتة مفهومة على قدر المستطاع ؛ ثم إن الطالب الفرنسي يتعلم مبادي اليونانية واللاتينية ، وهو يعرف معاني الزوائد اليونانية ، من صدور وكواسع ، التي تضاف الى النكبة الأصلية فتتألف منها الكلمة الفرنسية المنحوتة . فأتت اذا قلت للطالب الفرنسي إن هذه الحشرة من رتبة الـ Orthoptères مثلاً فهو يدرك على الفور أن حشرات هذه الرتبة لها أجنحة مستقيمة ، لأنه يكون قد درس في علم اشتقاق الألفاظ الفرنسية أن Ortho من Orthos اليونانية أي مستقيم ، وأن Pterè من Pteron أي جناح .

ولكنك اذا ترجمت ناحياً فقلت للطالب العربي مسجناحيات فهو لا يفهم الا النصف الثاني من هذه الكلمة المنحوتة ، لأنك تركت كلمة جناح على حالها فلم تنزع من حروفها حرفين فقط ، وهما الجيم والنون ، على مقتضى القاعدة . ولو فعلت ذلك لأصبحت المنحوتة مسجنيات ، ولاستغلق المعنى فيها تماماً ، مثلاً استغلق في الشوجنيات واللغنيات والبطجليات وأشباه هذه الرطانات المستقبجة . ولو ذكرت للطالب العربي الترجمة الصحيحة بكلمتين فقلت مستقيبات الأجنبية وشائكات الزعانف وليت الزعانف الخ ، لفهم معانيها من دون حاجة الى الشرح ، ومضى احتاج الأمر الى بيان أوجه نحت المنحوتات ضاع معظم فوائدها .

ويتبين من هذه الأمثال أن الأسماء الأعجمية الدالة على الشعب والطوائف والرتب في الحيوان والنبات يجب ترجمتها بمعانيها ، سواء أُعبر عن الاسم الأعجمي الواحد بكلمة عربية واحدة ، أم بكلمتين ، أم بأكثر . واللجوء الى النحت في هذا الباب لا فائدة فيه ، ولا حاجة اليه ، أما ضرره فواضح .

ومن الطبيعي أن كلامي هذا لا يشمل علوماً أخرى قد يفيد النحت فيها . ولا بد في جميع الحالات الملجئة الى النحت من إدراك واسع لمدى الحاجة اليه ، ومن تذوق صحيح لخصائص العربية وبيانها .

وموضوع الذوق في النحت لا يحتاج الى شرح طويل ، فجميع اللغة العربية في القاصرة كان أجاز مثلاً ، في لغة العلم ، استعمال (لا) مركبة مع الاسم المفرد (في مثل لا تدوينجي - Apétale ، ولا ثري - Acarpe ، ولا ساقى Acaule ، ولا مائي Anhydre الخ .) ، ولكنه اشترط أن يوافق هذا الاستعمال الذوق ، وأن لا ينفر منه السمع ^(١) .

داء النحت . - لقد أصبح النحت داءً عند بعض أساتيدنا ، حتى عند بعض علمائنا ، وكثير منهم يدعون اليه ذاهبين الى أنه من أكبر الوسائل المفضية الى نمو اللغة العربية وتقدمها ، والحقيقة أنه أداة صغيرة الاثر ، اذا قيست بالأدوات السائرة من اشتقاق وتضمين وتريب ؛ وكأني بالمتساهلين من أنصار النحت لا يبالون بأن تفضي آراؤهم الى خلق لغة نبطية جديدة تحمل محل اللسان العربي المبين ، ولذلك وجدنا بعضهم يضربون بقواعد العربية عرض الحائط فيقول أحدهم مثلاً الغُدِّيْعَضْلِي والشِيفْغْدِي بدلاً من الغدي المضلي ، وشبه الغدي . ويقول الأَلْفِيوَرْدِي بدلاً من ألني الورق أو ذي ألف ورقة . وأشياء هذه الغرائب كثيرة في أحد القواميس الأعجمية العربية .

ولا أدري لماذا يخشى بعض الأساتذة استعمال كلمتين عربيتين مقابل كلمة أعجمية واحدة ؟ ففي لغتنا ألوف من الكلمات لا يستطيع الأعاجم نقل الكلمة الواحدة منها الى لغاتهم الا بكلمتين أو أكثر ، ومع هذا لم يهجم هذا النقص ، ولم يجدوا فيه عاراً عليهم ، ولم يعملوا على تلافيه .

وهاكم أمثلة تمثل بها في كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » حيث قلت :

« إذا راجعت مثلاً مادة (Robes et Particularités) في معجمي ^(٢) ،

(١) الجزء السادس من مجلة مجمع اللغة العربية ص ١٧٢ .

(٢) معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية

وهي الألوان والشيآت ، تجد أن لكل شية في الخيل اسماً عربياً مؤلفاً من كلمة واحدة ، يقابلها بالفرنسية كلمتان أو ثلاث كلمات ، ومنها الشيآت الآتية :

أَعْرَ	Marqué en tête	الفرس الذي له غرّة أي يياض في الجبهة
سَابِلَة	Liste en tête	الغرة التي تسيل على قصة الأنف وتعرض في الجبهة
شَمْرَاخ	Petite liste	الغرة التي دقت على قصة الأنف ولم تبلغ الجحفلة
بَمْسُوب	Liste incomplète	إذا مال البياض على قصة الأنف دون أن يبلغ العينين
خَاتَم	Principe de balzanes	أقل التحجيل ، وهي شعيرات يياض في قوائم الفرس
إِنْمَال	Trace de balzanes	عندما يكون البياض واضحاً
تَحْدِيم	Petite balzane	عندما يجاوز البياض الأرساغ
تَجْيِيب	Grande balzane	عندما يعمد البياض في القوائم ولا يبلغ الركبتين أو العرقوبين .
تَسْرُوَل	Blzane haut - chaussée	إذا بلغ التجيب الركبتين أو العرقوبين
		فالفرس 'مَسْرُوَل'

« ونحن نقول (حديدة) وهي كلمة واحدة ، والفرنسيون يقولون (Un morceau de fer) وهي أربع كلمات ، ونقول (مَشَى) في كلمة ، ويقول الفرنسي (il a marhé) في ثلاث كلمات ، وهل كلمتنا (تَعَدُّد الخلابا) أطول ، أم الكلمة الفرنسية الواحدة وهي (Multicellularité) ؟ »

ومن الواضح أن لكل لغة قواها وأصاليها ، وأن العربية لغة اختزال ، فلا يضيرها التعبير عن معنى من المعاني العلمية بأكثر من كلمة ، بل يضيرها ويشوهها أن يُضَمَّ إليها عدد كبير من المنحوتات الثقيلة الغامضة من غير معرفة بمدى الحاجة إلى تلك المنحوتات ، أو من غير تقدير صحيح لذلك المدى .

وأم ما ينجح له أنصار الإكثار من النحت كون النسبة إلى الكلمة الواحدة

المنحوتة نكون مبسورة ، خلافاً للنسبة الى المركب الإضائي ، ولكن ماذا يجبرنا على ترجمة النسبة بالنسبة اذا تعذرت ؟ فالترجمة لا تكون دائماً ترجمة صيغة بصيغة ، ولا حرف بحرف ، بل تكون بأخذ المعنى وبإفراغه في قوالب اللغة العربية .

فقد اقترح أحد العلماء مثلاً نحت كلمة قبتاريخ من كلمتي قبل التاريخ لجعلها أمام Préhistoire ، وعلى هذا يقال في سهولة قبتاريخي مقابل Préhistorique . ولكن ما هو مبلغ حاجتنا الى هذا النحت ، والى صيغة النسبة في الكلمة الثانية ؟ ولماذا لا نحافظ على أسلوب لغتنا فنقول قبل التاريخ ، كما نقول آثار ما قبل التاريخ ، وزمن ما قبل التاريخ بدلاً من الآثار القبتاريخية والزمن القبتاريخي ؟ وما هو مبلغ الضرر في أن يكون عدد الكلمات في هذه الإضافة أكثر منه في النسبة ؟

ومن المقترحات النحت من ظروف الزمان وظروف المكان لكي تسهل النسبة الى المنحوت ، فيقال مثلاً :

خامذرمي (من خارج ومدرسة) Extrascolaire

قوسوي (من فوق وسوي) Surnormal

تحتشعوري (من تحت وشعور) Subconsient

قبتلوعي (من قبل وبلوغ) Prepubère

الخ .

وداح أن من الصعب جداً قبول هذه المنحوتات وأشباهاها ، وأتألسنا ، على ما قلت ، في حاجة الى ترجمة النسبة بالنسبة ، وفي وسعنا ترجمتها بالإضافة فنقول خارج المدرسة وفوق السوي وتحت الشعور وقبل البلوغ وهكذا . ولا ضرر مطلقاً في ترجمة كل كلمة من هذه الكلمات الفرنسية بكلمتين عربيتين .

ففي وسعك أن تقول التعليم خارج المدرسة بدلاً من التعليم اِثْنا مِدرسي ، مثلاً
تقول التعليم بعد المدرسة بدلاً من التعليم اَلْقَبْلَ مِدرسي (من غب ومدرسة
Postcolaire) ، وتقول التريية قبل البلوغ بدلاً من التريية اَلْقَبْلَوغِيَّة اخ .
وعندما يجعل العالم المختص بأحد العلوم منحوتاته على شكل اقتراح متواضع
(كما فعل العالم الذي ألمات اليه) يكون الخطب يسيراً ، ويكون الرجوع الى
الصواب ميسوراً ؛ أما أن يعمد غير المختص بعلم من العلوم الى وضع معجم
أعجمي عربي في جميع العلوم العصرية ، ويحشيه بما يعن على باله من مثل المنحوتات
السقيمة التي أشرت اليها في عرض هذا البحث ، فهناك يكون الداء الذي
تشق مداواته . فالفرد ، أياً كان ، لا يستطيع معرفة جميع العلوم العصرية ،
ولا يدرك مدى الحاجة الى النحت أو الى التعريب في كل علم من تلك العلوم
الواسعة . وما يدعو الى الارتياح أن يجمع اللغة العربية في القاهرة قد صار
حتى الآن سيراً حكيماً ومثلاً في موضوع النحت ، فالألفاظ للنحوتة في مجلته
قليلة جداً ، ومعظمها في الكيمياء ، والمختصون بهذا العلم يعرفون أنه من أكثر
العلوم احتياجاً الى النحت والتعريب جميعاً .

مصطفى الشرايبي

نقرة إمامين

عن الرواية والقصة

لم يَألف الرواية والقصة فريقي من أئمة كُتّابنا في القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين ، كإشدياق وكردعلي ، فالأول زار «لندن» وشهد فيها التمثيل ووصف هذا التمثيل وصفاً يدل على ذوقه ، ثم وصف بعض الأنواع الأدبية وسمّاها بأسمائها الأفرنجية فقال :

«ثم إن التمثيل عديم على نوعين ، الأول تمثيل ما يحزن من نحو الحروب وأخذ الثأر ويقال له عديم : تراجيدي^(١) والثاني وهو عكسه ويقال له : كوميدى^(٢) ، وكلاهما يعدّان من الأدبيات ، غير أن النوع الثاني بكثرة فيه التوريات والمؤاربات والتجنيس .»

وقد نقد بعض هذا التمثيل ، فنقد طول وقت اللعب فيه ، وأنه لني نقد هذا الطول إذ خطر بباله ضلّ الرواية فقال : وهذا كالتزام بعض المؤلفين عديم لنوع يسمى : نوفل ، وهو أن يجمّلوا الكتاب ثلاثة مجلدات ، فيسفسفون ويدققون ويأتون بالغث والثلث . . .»

وكما نقر الشدياق عن الرواية فقد نقر كردعلي عن القصة وهذا رأيه فيها : «أردت غير مرّة على أن أشارك في القصة ، أكتب فيها أو أُنقدها ، فما طابت نفسي للدخول في موضوع لم يأخذ منها ، وليس لي يد في القصص التي نشرتها

(١) أطلق على هذا النوع بعد ذلك اسم : المزيّنات .

(٢) أطلق على هذا النوع بعد ذلك اسم : المضحكات .

أول أمرى لأنها مترجمة ، وأكبر داعر الى عدم عنايتي بالقصة اعتقادي أنها مختلفة » .

هذان رأيان صريحان في زهد كاتبين من كبار كتاب النهضة الحديثة في الرواية والقصة ، على أنه كاد هذان النوعان الأديان يحلان أرفع محل في أدبنا . أما نقد الشذيق لطول الرواية الانكليزية فقد كان على حق . فيه لأن الرواية الانجليزية في أيامه كانت طويلة ، فهي ضعف الرواية الفرنسية ، وأما نقد كرد علي للاختلاق في القصة ففيه بعض النظر .

وقد يطول بي الكلام على الرواية واتساعها لموضوعات شتى ، للتاريخ ودراسة الأهواء ووصف الأخلاق وتحليل المواقف واتساعها للطبيعة وواقع الحياة والمذهب الطبيعي والمثل الأعلى كما يطول بي الكلام على القصة ، على أن موضوعات القصة ليس من الضروري أن تكون مختلفة ، فقد يكون الموضوع مرة واحدة من الحوادث تستبطن من واقع الحياة فيجهد القاص في التفتيش عن أصولها وفي تصور عواقبها ثم في التفتيش عن تأثير هذه الحادثة في رجال آخرين وفي بعض الأوقات في المجتمع نفسه وقد يكون الموضوع مرة قانوناً من القوانين أو عادة من العادات أو حالة من الحالات فيجهد القاص في تصور ما يمكن أن يعمل به هذا القانون أو هذه العادة أو هذه الحالة في أشخاص يختراعهم ذهناً اختراعاً ، وعلى كل حال الاختلاق بمناه اللغوي ليس من خصائص القصة وطبائعها ، فالأقترأ شيء وتصور أمر ممكن الوقوع شيء آخر ، فأصحاب الروايات لا يخترعون أبطالاً فوق الواقع أو خارج الواقع ولكنهم يضعون أبطالهم في هذا الواقع .

وكيف كان الأمر فالظاهر أن بعض الأدباء يملون في هذا العصر الى أن يجمع المؤلف وثائق شخصية انسانية يعرضها على القراء ، فهم قد أخذوا يفضلون المذكرات على الروايات .

ولم يمن أدبنا في تديم الدهر بالرواية والقصة العناية كلها ولا ألف هذين

النوعين الألفه كتبها واني أعتقد أن أدبنا كان أدب تركيب لا أدب تحليل ، فاذا رجعنا الى طائفة من كتبه كالعقد الفريد أو كاليان والتبيين فأننا نجد في أكثر هذه الكتب عبارات وجيزة ، كثيفة في معانيها ، مختصرة في مبانيها تكاد تشتمل على موضوع رواية في هذا العصر ، من هذه العبارات ما ينسب الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : ما تزيّد متزيّد إلا لنقص في نفسه ، ولست مستوثقاً كل الاستيثاق من ألفاظ هذه العبارة ولكن هذا هو معناها ، فهذه العبارة قد تكون في عصرنا موضوع رواية من الروايات الفلسفية ، فاذا أراد كاتب رواي شرحها في رواية استطاع أن يبين لنا ما يستونه في الفلسفة : مركّب النقص ، أمّا العرب فان أذواقهم تنفر عن مثل هذا الشرح وهذا التطويل ، فقد تغنيهم الإشارة أو الجمع عن كل ذلك وقد أعربوا عن هذا الغناء في كثير من مواضع كتبهم الأدبية ، وليس معنى هذا أن أدبنا يخلو من التحليل فأننا اذا رجعنا الى بعضه وجدنا فيه من التحليل المبني على التجربة والبيان ما يدهش العقل ، من ذلك تحليل الجاحظ للحسد في بعض رسائله ، فقد فطن الى دقائق من الحسد لا يكاد يظن اليها إلا الراسخون في علم النفس ، وكما لم يخل هذا الأدب من التحليل فكذلك لم يخل من القصص ، ومع هذا كله فالتركيب غالب على أدبنا أكثر من التحليل .

إلا أن الذي أعجب منه بعد هذه المقدمة وبعد هذا الاستطراد نقرة الشدياق عن الرواية وقد اجتمعت له خصائصها وأمرارها ، فالروايات في معظم الأحوال تشتمل على كثير من الوصف والتصوير اشتغالها على تحليل فكر من الأفكار أو مذهب من المذاهب ، فهي لا تستغني عن الوصف ولا عن التصوير ، واذا قرأنا رواية لكاتب راسخ في فن الروايات فان أول ما يبلغ منا من هذه الرواية إنما هو الوصف والتصوير .

لقد وصف الشدياق في كتبه أموراً كثيرة وصوّر أموراً كثيرة ، لقد وصف الشوارع والآثار والأبنية والمآكل والثياب والسفن والأخلاق والحياة

الاجتماعية ووصف الفنون الرفيعة كاللوسيقى والتثيل ووصف بعض مخترعات عصره كالبرق وسماه في رحلته باسمه الافرنجى : التلغراف وفي هذا الوصف كله ظهرت شخصيته وظهرت عبقريته فان له قدرة على الوصف غريبة ، فعينه شديدة البصر وأتفه شديد الشم وأذنه شديدة السمع ولسانه شديد الذوق .

نجد في بعض وصفه لعادات أهل مالطة وأحوالهم وأخلاقهم وأطوارهم وصفاً بسيطاً مجرداً من كل زينة إلا أن ألفاظه وحدها كافية أن تربنا الأشياء الموصوفة بسبب الصلة القوية بين الاسم والمسمى ، بين اللفظ ومعناه كما نجد ميل في وصفه الى بعض ألفاظ العامة المتعلقة بالثياب كالبرنيطة والطربوش والصدريه والكفوف ، وشأنه في هذه المساحة في اللغة شأن أكبر الكتاب في القديم كالجاحظ الذي نرى في بعض كتاباته ألفاظ العامة لقوة تأثيرها في الأذهان . وكما قدر الشدياق على الوصف فقد قدر على التصوير فصور فضول أهل مالطة وتلهيمهم بالاصناف من القول والعمل تصويراً يطول الكلام على خصائصه وعلى خصائص جملة ، فمرة تكون هذه الجمل سريعة ومرة تكون بطيئة وأريد بالسرعة في هذا المقام تصوير الكاتب لفكرته دون التعرّيج على التفاصيل والدقة غالبية على الأسلوبين ، أسلوب الوصف وأسلوب التصوير .

وكما عجبنا من نقرة الشدياق عن الرواية وقد تهيأت له أسباب فنياف كذلك عجبنا من نقرة كرد علي عن القصة وقد اجتمعت له بعض أسبابها ، لقد روى في مذكراته قصة : قاضي دومة ، وهي وإن كانت بضعة سطورية إلا أننا نجد لها عرضاً وعقدة وخاتمة وقد عرضت حوادثها في أوضح معرض وتسللت تسلسلاً منطقياً زاد في وضوحها واشتباكها فيها الحوادث اشتباكاً أخذاً ، وأسلوب هذه القصة واضح فكل لفظ مناسب لمعناه وفي بعض القصة حوار ولا شك في أن الحوار ينفع في القصة روحاً وحياة .

فلماذا تقرأ هذان الكاتبان الإمامان عن الرواية والقصة ولم تغب عنهما

أسمار قنهما .

شفيق عيري

مصر

ثقافة الأطباء عند العرب

- ٢ -

ولما تأسست دار الحكمة في أيام المأمون وانتظم أمر التأليف والترجمة واستكمل جمع الكتب من كل أنحاء العالم ، واتسع نطاق النشر والتعليم أيام جعفر ، والرشيد ، والمأمون ، والمعتصم ، واستوفى العرب حظهم من التحصيل والمعرفة والاطلاع ، انتقلوا الى دور التعمق والتجربة والاستقراء والكشف والاختراع والتأليف وإنشاء المعاهد والمشافى ، وساعدتهم عليه ظروفهم الى العلم وتحصيله ، واهتمام الملوك والسلاطين والأمراء والوزراء وأصحاب الفنى به وبالعلماء ، وبذل هؤلاء الأموال لاستكمال ما كانوا يريدونه هم ويريدونه الأطباء والعلماء . ولم يقتصر الاهتمام على الطب بل تناول الفلسفة ، والفلك ، والرياضيات ، والجغرافيا ، والقياسات والرصد ، والكيمياء ، عدا اهتمامهم ومساعدتهم وبذلهم الحبات والعطايا بسخاء وكرم للشعراء والأدباء ورجال الدين وإطلاقهم الحرية لهم في البحث والقول والعمل .

وفي الحقيقة ان الطبابة لم ترتق وحدها بل ارتقت في هذه العهود المستنيرت والبيمارستانات والمؤسسات والملاجئ الخيرية وانتشرت بكثرة في جميع البلاد الإسلامية : في بغداد والقاهرة ودمشق وحلب ومكة والمدينة وفلسطين ، وفي قرطبة واشبيلية وطليطلة والقيروان .

وفي عهد عبد الرحمن الثالث وولده الحاكم الثاني كانت اسبانيا في جامعاتها ومكتباتها ومدارسها وبيمارستاناتها من أرقى ما وصلت اليه الحضارة العربية ، وكان

من أطبائها وفلاسفتها الذين اشتهروا وأثروا في تقدم العلم والطب ابن رشد ، وابن الطفيل ، وبنو زهر ، وأبو القاسم الزهراوي وغيرهم .

وما يدل على عناية العرب واهتمامهم بتشيد المعاهد العلمية والبيمارستانات واختناقاتها وترتيب ادارتها وتنظيمها ، ووقف الأموال والايادات الكثيرة لتجهيزها وادارتها :

- أولاً — كثرة عددها وانتشارها في جميع المدن والعواصم الاسلامية .
- ثانياً — اهتمام العالم العربي ملوكاً وأفراداً ووزراء وشعباً بتحويلها ووقف المزارع والأماكن والمرافق لندوام عملها وترقية شؤونها .
- ثالثاً — تنظيمها وحسن ادارتها وبذل العناية في هندستها وأثاثاتها .
- رابعاً — تخصيص أهم الأطباء للتعليم والتدريس والتريض فيها .
- خامساً — فتحها للعامة وخاصة ، للذكور والاناث .
- سادساً — تقسيمها الى فروع وجعل كل فرع خاصاً بقسم من الأمراض .
- سابعاً — ربط المدارس الطبية والمكتبات والصيدليات بها .
- ثامناً — تزويدها بكل ما يحتاج اليه من مؤونة وزاد وغذاء وأدوية وألبسة ومفروشات ، وأشربة وأدوات ، ومياه قية ونور وتهوية ، وأسرة وأغطية ، وجعل وظائف أصحابها من أجل الوظائف ورتبهم من أرقى الرتب .
- تاسعاً — اعطاء أطبائها وناظرها المرتبات الوفيرة عدا تقديم ما يقوم بكفائتهم من الأرزاق والمهمات والجراية وعلوة الدابة .
- عاشراً — جعلها مرجعاً لتجارب ، وتدوين المشاهدات والتأليف ، ومركزاً للتأليف والاكتشاف والاختراع ، ودائرة لامتحانات الأطباء والصيادلة واعطاء الاجازات .

وفي كتاب تاريخ البيمارستانات في الاسلام للدكتور أحمد عيسى تفصيل هام وأدلة وافية وصور عن الوقفيات المتعلقة ببيمارستان المنصوري ، والمعتضد ،

والنوري ، وصور عن المراسيم التي كان يصدرها الملوك لمن يتولى الطبابة والادارة والخدمة فيها ، والكل يؤيد ما قلناه عن عناية العرب ومبلغ اهتمامهم بها وبايصال النفع العام لرعاياهم .

وكمثال على مقدار العناية والاهتمام يقول الدكتور في صحيفة ٨٦ وفي صفر ٦٨٠ هـ الموافق لعام (١٢٨١) م :

« ولما تكامل البيمارستان (يعني المنصوري) الذي أنشأه الملك المنصور سيف الدين قلاوون الأتقي الصالح بنحو بين القصرين (هما القصر الكبير الشرقي الذي بناه جوهر قائد الفاطميين عام ٣٦٠ والقصر الصغير الذي بناه العزيز بالله أبو منصور تزار سنة ٤٥٠ هـ) من القاهرة ، وكان ذرعه (١٠٦٠٠) ذراعا . ركب السلطان وشاهده وجلس بالبيمارستان ومعه الأمراء والقضاة والعلماء ، وأخير بعض من شهد السلطان وشهد عليه أنه استدعى قدحا من الشراب فشربه ، وقال قد وقفت هذا على مثلي فمن دوني وأوقفه السلطان على الملك والملوك ، والكبير والصغير ، والحر والعبد ، والذكر والأنثى ، وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة ، ومن مات جهز وكفن ودفن . ورتب الحكماء الطبائعية ، والكحالين ، والجراثيمية ، والمجبرين لمعالجة الرمد والمرضى والجروحين والمكسورين من الرجال والنساء . ورتب به الفراشين والفراشات والقومة لخدمة المرضى وإصلاح أماكنهم وتنظيفها وغسل ثيابهم وخدمتهم في الحمام^(١) ، وقرر لهم على ذلك الجامكيات الوافرة ، وعملت الفرش والتخوت والطراريح والأقطاع والمخدات والحف والملاءات لكل مريض فرش كامل ، وأفرد لكل طائفة من المرضى أمكنة تختص بهم ، فجعلت الأودوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحميات وغيرها ،

(١) كان الأورديون يجهلون الحمام ، وكانت مناليم كالزرايب يتام المريضان منهم في فراش واحد ، وكان غسل الجسم باللاء والصايون غير مستحب في نظر أطبايهم ، وفرش المرضى كانت ممتلئة من الرائحة الفدرة والرق . م (٢)

وجعلت قاعة للرمذ ، وقاعة للجرحي ، وقاعة لمن أفرط به الاسهال ، وقاعة للنساء ، ومكان حسن للمرورين^(١) من الرجال ومثله النساء ، والمياه تجري في أكثر هذه الأماكن ، وأفردت أماكن لطبخ الطعام والأشربة والأدوية والمعاجين وتركيب الأشكال والشيافات^(٢) والسفوفات ، وعمل المراهم والأدهان ، وتركيب الدرياقات (الترياقات)^(٣) وأماكن لحواصل العقاقير وغيرها من هذه الأصناف المذكورة ، ومكان يفرق منه الشراب وغير ذلك مما يحتاج إليه ، ورتب فيه مكان يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس طب ينتفع به الطلبة ، ولم يحصر السلطان أنابه الله هذا المكان المبارك بعده في المرضى يقف عندها المباشر ويمنع عندها ، بل جعله سبيلاً لكل من يصل إليه في سائر الأوقات من غني وفقير ، ولم يقتصر فيه على من يقيم فيه من المرضى بل رتب لمن يطلب وهو في منزله ما يحتاج إليه من الأشربة والأغذية والأدوية حتى إن هؤلاء زادوا في وقت من الأوقات على مائتين غير من هو مقيم بالبيمارستان .

ولا يقل الاعتناء والاهتمام ببقية البيمارستانات أبناً كانت عما تقدم يافه ، ولكن ظروف الزمن وتبدل الحكم ووقوع البلاد العربية تحت حكم الأعاجم والأجانب من مغول وتатар وصليبيين وعثمانيين جعلها قفرة ، وأضاع أوقافها ووقفاتها ، وبدل معالمها ، وهدم أقسامها ، وشوّه محاسنها ، وكانت في ذلك الحين صورة حية تنطق عن حضارة العرب وما أسدته للعالم من فضل على العلم والطب وخدمة الإنسان وحفظ الحياة والمجتمع .

وإذا كنا في استعراضنا لم نستوف المطلوب لبيان سلسلة التطور الطبي والطبابة ، وكان علينا أن نسهب في ذكر الكتب التي ألّفها العرب والمسائل التي فاقوا بها

(١) المرور : من تبييت فيه المرة أي السواد فاستمرت على طوله .

(٢) الشيافات : هي التنايل . مفردتها شيافة أو شبة .

(٣) الترياق : هو المركب الذي يشفي من السم .

من تقدمهم والمكتشفات التي اكتشفوها في أسباب العلل والأمراض ، والأدوية التي اخترعوها لمداواتها ، والآلات الجراحية التي توصلوا إلى صنعها للقيام بالعمليات الجراحية ، ومن هم الأطباء الذين غدوا نجومًا في سماء العلم والتعليم يضيئون بنورهم على من كان في زمانهم ومن أتى بعدهم ، وما هي الاختراعات التي وصل إليها العرب في الكيمياء والصيدلة ، والمعالجة ، والتشخيص ، والتحليل وبقية العلوم الطبية وغير الطبية ، فلأن استيفاءها والتفصيل فيها يقتضيه الشرح والتفصيل يحتاج إلى مجلدات ويخرجنا عن الموضوع ويبعدنا عن النتيجة التي نريد أن نصل إليها .

وخير لنا أن نجيب أخيراً على السؤال الذي سألناه : هل من الضروري أن تتغير أخلاقنا وآدابنا الطبية وتراثنا المهني وصفاتنا الاجتماعية التي اتصف بها أجدادنا الذي رفعوا شأن العلم والطب ؟ فأقول كلا ! لأن المقاييس العلمية والطبية والأخلاقية التي رفعت شأنهم وشأن من تقدمهم وحفظت مكانتهم لا تزال ذات المقاييس في قيمتها وصحتها ولو تبدل الزمن ، وتبدلت مناهج التعليم ، وتضاعفت مواد التدريس وعلا شأن الطب في صاحة المعرفة والاكتشاف والاختراع .

أما أما كن التدريس وكيفية التحصيل وأنواع الكتب التي كانت مواد دراستهم ومناهج تلك المعاهد فيمكن الوصول إلى معرفتها مستخلصين ذلك مما قاله ابن أبي أصيبعة ، والقفطي ، وتاريخ الطب للدكتور أمين أسعد خير الله . فابن أبي أصيبعة يقول :

« وكان يلحق بالمستشفيات الكبيرة مدارس للطب ، فكان الطلبة يجتمعون في القاعة الكبرى حيث كانوا يراجعون دروسهم وينسخون المخطوطات الطبية التي راجعها أساتذتهم وأصلحوها لهم ، وكان هؤلاء يلقون عليهم الدروس من مؤلفات جالينوس والرازي وابن الجوزي حتى ظهر قانون ابن سينا " الذي كشف التعاليم السابقة » .

(١) هو أهم كتاب طبي عربي جمع ما وصل إليه علم الطب والطبابة حتى زمن الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا ، وبقي مرجعاً للدرس والتدريس لكل من أتى بعده مدة ثمانية قرون في الشرق والغرب .

« ولمشاهدة التطبيقات وتنتائج النظريات التي يدرسونها كان الطلبة والمساعدون يفتحون المرضى في العيادة الخارجية ويعرضون الحوادث الصعبة على رئيس العيادة ، وكانت الحوادث المهمة تشرح لهم شرحاً وافياً ويوصف لها العلاج اللازم » .
ويصف لنا في كتابه (عيون الأنبياء) كيف كان يتلقى هو الطب ، وكيف كانت الأساتذة يلقون دروسهم ويمرّنون طلابهم ، قال : « ولما أقام الشيخ مذهب الدين ^(١) بدمشق شرع في تدريس صناعة الطب واجتمع إليه خلق كثير من أعيان الأطباء وغيرهم يقرأون عليه وأقمت أنا بدمشق لأجل القراءة عليه ، وقبلها كنت أشتغل عليه في المعسكر لما كان أبي والحكيم مذهب الدين في خدمة السلطان الكبير - يريد به الملك العادل نور الدين منشى البيارستان الكبير في دمشق - فبقيت أتورد إليه مع الجماعة ، وشرعت في قراءة كتب جالينوس وغيرها . وكان خبيراً بكل ما يقرأ عليه من الكتب ، وكان يطلق اللسان ، حسن التأدية للمعاني ، ثم لازمته أيضاً في وقت معالجته للمرضى في البيارستان وتدرّبت معه في ذلك وباشرت أعمال الصنعة . وكان في ذلك الزمن في البيارستان الشيخ رضي الدين الرحي وهو من أكبر الأطباء سناً وأعظمهم قدراً وأشهرهم ذكراً فكان يجلس على دكة ويكتب لمن يأتي إلى البيارستان ويستوصف منه للمرضى أوراقاً يعتمدون عليها ويأخذون من البيارستان الأشرطة والأدوية التي يصفها ، ف كنت بعد ما يفرغ الحكيم مذهب الدين والحكيم عمران

(١) الشيخ مذهب الدين : هو أبو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد ويصرف بالدخوار ، انتهت إليه رئاسة صناعة الطب وصرفها . مولده في دمشق وكان أبوه علي بن حامد كمالاً مشهوراً ثم أخوه حامد بن علي . وجد له مائة مجلد وأكثر يحيطه بالطب وغيره من العلوم . خدم الملك العادل أبا بكر بن أيوب بصناعة الطب ، وترأس البيارستان النوري (نور الدين محمود بن زنكي) ثم في عام ٦٠٤ أصبح طبيب الملك العادل وطبيب المعسكر وكان يتناول مائة دينار كل شهر ورواتب مثلها ، وتول وثلاثة أطباء مهر أيضاً .

من معالجة المقيمين بالبيمارستان وأنا معهم أجلس مع الشيخ رضي الدين الرحي فأعين كيفية استدلاله على الأمراض وجملة ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم وأبحث معه في كثير من الأمراض ومداواتها .

وما سبق بتضع أنه عدا المحاضرات التي كانت تعطى للطلبة على المرضى كانت تكتب التعليقات اللازمة (الوصفات) وتنفذ بدقة وتدوّن الملاحظات عن كل مريض متبعة سير المرض . وقد قيل ان الرازي بنى كتابه (الحاوي) على هذه الملاحظات . وكان للأطباء الحربة بالتجربة للأدوية الجديدة التي كانت تدوّن معلوماتها في كتاب خاص تنشر تحت عنوان (المجربات) .

ولم تكن مدارس الطب تابعة للمستشفيات دائماً ، فقد كان هنالك مدارس خاصة ، فالطبيب الغني والمشهور مذهب الدين الدخوار المار ذكره سابقا والذي مات بلا عقب أوقف منزله بدمشق ليكون مدرسة للطب ووقف عليها المكتبات والقرى يقوم ايرادها بنفقات المستشفى .

ويقول ابن أبي أصيبعة : « ولم يكن يصرح لأحد بتعاطي الطبابة إلا بعد فحص قانوني . وقد بلغ الخليفة العباسي المقتدر بالله في عام ٩٤٩ أن أحد الأطباء في بغداد أخطأ علاج مريض وتوفي المريض بسبب الخطأ ، فأصدر أمره بفحص جميع الأطباء (ماعدا الأطباء القائمين بخدمته) قبل التصريح لم تعاطي الطب وكان عددهم في بغداد وحدها (٨٦٠) طبيباً عدا أطباء الخليفة .

وكان أطباء المستشفيات يختارون بعناية خاصة دقيقة ، فالرازي انتخب لرئاسة المستشفى العضدي في بغداد من بين مائة طبيب . ويقال ان عضد الدولة لما بنى البيمارستان العضدي قصد أن يكون فيه جماعة من أفاضل الأطباء وأعيانهم فأمر أن يحضروا له ذكر المشهورين ببغداد وأعمالها ، فكانوا متوافرين على المائة فاختار منهم خمسين بحسب ما علم من جودة أحوالهم وتمهرهم في صناعة الطب ، فكان الرازي منهم . ثم انه اقتصر من هؤلاء أيضاً على عشرة فكان الرازي

منهم ، ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان الرازي أحدهم ، ثم ميّز بينهم فبان له أن الرازي أفضلهم فجعله (ساعور) البيارستان العضدي و (الساعور) معناه (عميد الأطباء والمشرق على المستشفى) . وكانت المستشفيات الإسلامية أشهرها المستشفى العضدي في بغداد ، والمستشفى المنصوري في القاهرة ، والمستشفى النوري في دمشق . وكان يوجد غيرها في مختلف العواصم العربية بما يزيد عن ثلاثين مستشفى لم تصل الى ما وصلت اليه من الرقي والروعة والكثرة وضخامة البناء ، واتقان الهندسة ، وحسن الادارة ، ووفرة الأطباء إلا بعد أن استكمل العرب نهضتهم ونضوج معارفهم واتساع علمهم .

وفنحن مهما ذكرنا عن فضل العرب في اتقاذ الطب والعلوم القديمة المتصلة به من الضياع ، ومهما قلنا عن ترتيبها والاضافة اليها وتسليمها الى أوروبا منسقة واضحة فيكفي أن ننقل ما قاله (لمستون) وغيره عن ذلك كبرهان على صحة قولنا . يقول (لمستون) : « ان لم يكن للعرب من فضل غير هذا الكفاح نفرا » . ويقول الدكتور أمين خير الله : « ولو فرضنا أن العرب لم يضيفوا شيئاً الى معلومات القدماء فمن الامة يمكن أنهم اتقنوا تعاليم أبقراط وجالينوس وحفظوها للعلم والانسانية . والواقع أنهم لم يكتفوا باتقازها فحسب بل أضافوا اليها أشياء كثيرة وقاموا بنقل العلوم اليونانية والهندية والفارسية وعلوم باقي البلدان المتحضرة في زمانهم ، ووعوا وتفهموا المنطق والفلسفة والفلك والهندسة ، والتاريخ ، والآداب ، والموسيقى ، والكيمياء ، والزراعة ، والبناء والمحارن ، وتفهموا جميع هذه العلوم وأضافوا اليها دروسهم واختياراتهم وأنشأوا مدينة عربية صحيحة وأعطوها الى العالم » .

ثم يقول : « راداً عدنا الى الماضي القريب لتتفقد عصر التمدن الإسلامي وذهوه في الغرب والشرق نجد أنه من أكبر الأسباب في نهضة أوروبا ، فالمذاهب العلمية فيها وليدة الثقافة والعلوم العربية ، ونهضتها نتيجة تعاليم ابن سينا

والرازي والمجوسي وابن زهر والزهرادي في الطب ، والكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي وابن طفيل وابن العربي في الفلسفة ، والطوسي وعمر الخيام وابن بونس والجريطي والبيروني واخوارزمي في الفلك والحساب ، وابن الهيثم وابن الكندي وابن الصلت في الطبيعيات ، وابن البيطار وابن الصوري وابن وحشية في النبات ، وابن حيان والرازي والزهرادي في الكيمياء .

والعرب يعود الفضل في رفع مقام الطب وفي اقامة المستشفيات الراقية وفي انشاء وتوسيع الصيدلة ، وجعل الجراحة تسمياً منفصلاً عن الطبابة ، وفي التصريح الشرعي لممارسة الطب والصيدلة ، وكان لهم الحظ الأوفر في توضيح المذاهب الفلسفية وحفظها للذرية ، وفي فصل العلم عن الدين ومحاولة التوفيق بين الاعتقاد والبرهان ، وهم الذين أعطوا الروح العلمية الصحيحة للغرب ، وكانت مبادئ لايمان طريقة (باكسون) العلمية ، وعلّموا العلماء البحث عن أسباب الأشياء ذاهبين من المعلوم الى المجهول ، فلا يقطعوا حقيقة أمر إلا بعد التثبت من صحته بالتجربة المكروزة أو بالملاحظة الدقيقة . وكانت الكيمياء عند العرب كيمياء تجريبية ، فالرازي عرف خواص الزئبق بتجربة استعماله على القرد ، وماسويه شرح قرداً كبيراً وكتب كتاباً عما وجدته ، وكانوا اذا لم توصلهم الملاحظة الى الغاية المطلوبة يلجأون الى طريقة المنطق والتحليل وبها اكتشف ابن نفيس الدورة الدموية الرئوية ، واكتشف ابن الخطيب العدوي في الوباءات . وقبل أن يبدأ باراسلوس اصلاحه الطبي في أوروبا كان العرب قد أدخلوا المنطق والبحث الطبي العلمي وخالفوا التعاليم التي لا تنطبق على منطقهم واختبارهم مما كان مصدرها .

وكما استقبل (سقراط) الموت في سبيل عقيدته وعلمه كذلك ثلاثة من أطباء العرب المشهورين استقبلوا الموت جهوداً وشجاعة ، فابن سينا رفض أن

يتعاطى الدواء ويبيع كل ما يملكه ووزع ثمنه على الفقراء ، واتقطع الى العبادۃ وكان يتلو القرآن مرة كل ثلاثة أيام . والرازي رفض أن يعالج مقلتيه بعد أن أضنى بصره في التجارب والبحث والكتابة قائلاً بأنه قد رأى من العالم ما يكفيه . وابن زهر رفض أي اصعاف وقال لولده الذي كان يقوم بخدمته أنه اكتفى من الحياة .

وبعد هذا ما هي الكتب التي كانوا يدرسونها ؟ هل هي كتب الترجمة فحسب أم كتب أخرى ألّفها العرب ؟

من يدقق فيما قدناه من الاستعراض يتبين له أن طلاب الطب في المستشفيات والمعاهد العلمية كانوا يدرسون أولاً الكتب الأدبية ، ثم الكتب الدينية ، ثم الكتب الطبيعية ، ثم الكتب الرياضية والفلسفية ، ثم ينتقلون الى الكتب الطبية . وكانت الطلاب يتبعون سيرة أسانذتهم الذين يلازمونهم في جميع مراحل الدراسة حتى إذا أتموها ووثقوا من أنفسهم في بلوغ الغاية ، ووثق أسانذتهم من كفايتهم وأخلاقيهم وعلمهم تقدموا للامتحان وأخذ الإجازة في البيمارستانات الشهيرة بعد نجاحهم .

أما الكتب فكانت حتى أيام ابن سينا المجموعة المترجمة عن أبقراط وجالينوس وديوسقوريدس^(١) ، وقد أتينا على ذكرها ، ثم ما ألّفه الأطباء الذين أتى بهم جعفر المنصور والرشيد والمأمون ومعظمهم من السريان النسطوريين ومن الصابئة كجورجيس بن بختيشوع وجبرائيل أخيه وعبد الله بن جبرائيل ، وبختيشوع ابن حنا ، وحنين بن اسحاق ، وحيش الأعسم ، والكندي ، واسحاق بن

(١) ويجيب التحري ، وقطا بن لوقا . أما الكتب فقد ذكرناها وهي لأبقراط وجالينوس وعددها (١٦) كتاباً كان يقرأها المتطبلون على اللولاء ، وهناك كتب أخرى هي من ترجمة حيش وديسوريدس واسمه من عين (زربي) من أعمال حلب ويقال له السانع في البلاد .

حنين ، وثابت بن قره ، ومنان بن ثابت ، وأبو بشر بن متى ، ويوحنا بن ماسويه . وقد تبين أن معظم الكتب المترجمة كانت بين عام (٧٥٠ — ٨٥٠) بعد الميلاد .

ومن هذه الكتب المترجمة التي ذكرها ابن النديم في فهرسته وابن أبي أصيبعة في تاريخه طبقات الأطباء : (٤٦ كتاباً طبياً ليوحنا بن ماسويه ، و ٨٤ كتاباً ورسالة طيبة لحنين بن اسحاق وهي لابقراط وجالينوس عدا ما ترجمه من غير الكتب الطبية ، ولقسطا بن لوقا البعلبي ٣٢ كتاباً في الطب و ٢٩ كتاباً في الفلك والمنطق والرياضيات والفلسفة ، وللكندي ٣٢ كتاباً طبياً ، وثابت بن قرة ٤٥ كتاباً) .

وأما التي ألفت فهي شروح ، أو اختصارات ، أو تعليقات ، أو زيادات على ما ترجم ، ولكن عندما ظهر أبو بكر محمد بن زكريا الرازي عام ٣٢٠ — ٣٦٤ هجري بدأ العرب في اثبات كفايتهم وتدوين ثمار اختباراتهم وتأليف كتبهم الطبية بعد نضوج تحقيقاتهم وتجاربهم وتحرياتهم ، وبذلك يكون الطب والطبابة قد انتقلا من المرحلة القديمة إلى المرحلة الجديدة في تاريخ النهضة العربية والثقافة العلمية الطبية ، مرحلة الاكتشاف ، والاختراع ، والتقدير عن التجارب ، والتأليف .

والرازي طبيب المسلمين غير مدافع ، مسلم النحلة ، مشهور في علم المنطق والهندسة ، كان في ابتداء أمره يضرب بالعود ثم تركه وأقبل على تعلم الفلسفة فنال منها كثيراً ، وألف كتباً كثيرة أكثرها في صناعة الطب ، وسائرها في ضروب من المعارف الإلهية والطبيعية . وكان طبيب المارستان في الري ، ثم طبيب المارستان في بغداد ، بقي فيه طويلاً ، وكان بينه وبين منصور بن اسماعيل

صداقة وله ألف كتابه « المنصوري »^(١) ثم في آخر عمره عمي بما نزل على عينيه ولم يسمح بقدرتها ، وكان في دوة المكتني وفي بعض زمن المقتدر . والرازي من حيث وصفه وسيرته يقول أحد عارفيه محمد بن الحسن الوراق : « كان شيخاً كبير الرأس ، مسقطاً ، وكان يجلس في مجلسه ودونه تلاميذه ودونهم تلاميذ آخر ، وكان يحمي الرجل فيصف ما يجد لأول من تلقاه فان كان عندهم علم والا تمداهم الى غيرهم ، فاذا أصابوا والا تكلم الرازي في ذلك وكان كريماً متفضلاً باراً بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء والاعلاء ، حتى كانت يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم ، وكان لا يفارق المدارج والنسخ ، وما دخل عليه واحد إلا وجده بنسخ أو يسود أو يبيض . وقد تلقى الفلسفة عن البلخي ، وكان البلخي يطوف البلاد ويحول الأرض ، حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة » .

وبما هو معروف في كتب الطب أن الرازي كان أول من وصف الحصبة والجدرى ولا يزال وصفه معروفاً في جميع الكتب القديمة والحديثة . وصنف كتاباً آخر سماه « الملوكي » قدمه لملي ابن صاحب طبرستان ، وفي أول أيامه تعلق بالكيمياء وله تصانيف أيضاً فيها .

وكان الرازي يرمي إلى اثبات إمكان تحول العناصر ووحدة الجوهر ، وفي سبيل هذه العقيدة قام بتجاربه التي أدت إلى اكتشاف كثير من المركبات

(١) « المنصوري » : الشيخ الرازي منصور بن اسماعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء النهر . وكتابه « الحاوي » وضعه في ثلاثين مجلداً ويسمى (الجامع الحاصر لصناعة الطب) . وله تأليف وكتب أخرى يبلغ عددها ما يزيد عن مائة وخمسين عدداً ، وكان عمره ثلاثين سنة عندما قدم الى بغداد وفيها تعلم الطب ودرس . ومن مصنفاته المشهورة : (كتاب الجدرى والحصبة ، كتاب الأدوية الموجودة في كل مكان ، كتاب الفالج ، كتاب الدوة ، كتاب التفرس والعرق المدار ، كتاب اوجاع الفاسل ، كتاب الآتين ، كتاب هيئة الجن الخ)

الكيميائية . و كتابه « الحادي » المشهور بين كتبه الثلاثة آتته لابن عباد ولكن الأجل لم يفسح له المجال فلم يخرج به إلى الوجود ولكن أخرج ورثه بعد وفاته ، وأما كتبه الأخرى ورسائله فهي كثيرة تناولت علوم الطب ، واللاهيات ، والفلسفة والطبيعات ، والكيمياء ، وعلم النفس . وفي كل ما كتب وألف كانت علماً لا يجارى في قوة تفكيره ، وسعة احاطته ، ودقة ملاحظته ، وعمق فلسفته ، وصحة منطقته ، وصدق تجاربه .

وبعد الرازي ظهر الفارابي وذلك في عام ٣٣٩ هـ ، وكان الفارابي من مدينة (فاراب) وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان ثم سافر إلى بغداد وبقي فيها مدة وانتقل إلى الشام ، ولما دخل بغداد كانت يعرف التركية وعدة لغات غير العربية ، فأتقن اللغة العربية وبلغ فيها غاية الاتقان وأخذ المنطق عن أبي بشر بن متى يونس الحكيم المشهور ثم ارتحل إلى مدينة (حران) وفيها يوحنا بن حيلان الحكيم النصراني فأخذ عنه طرفاً من المنطق أيضاً وبعدها رجع إلى بغداد وقرأ علوم الفلسفة وتناول جميع كتب أرسطاطاليس وتعمق في اخراج معانيها والوقوف على أغراضه فيها . ويقال أنه وجد كتاب النفس لأرسطاطاليس وعليه مکتوب بخط الفارابي أني قرأت هذا الكتاب مائة مرة ولم يزل ببغداد مكباً على الاشتغال بهذا العلم إلى أن برز فيه وفاق أهل زمانه وألف به معظم كتبه ^(١) ، ثم سافر من بغداد إلى دمشق ولم يبق بها ثم توجه إلى مصر عام ٣٨٣ هـ .

(١) الفارابي لم يطبع كل كتبه ، والطبوع منها : (١) آثار أهل المدينة الفاضلة (٢) الإبانة عن غرض أرسطاطاليس (٣) كتاب ما بعد الطبيعة (٤) الثمرة المرضية في بعض الرسائل الفارابية . (٥) رسائل الفارابي . (٦) شرح القصص . (٧) عيون المسائل . (٨) كتاب الموسيقى . (٩) مبادئ الفلسفة القديمة . (عن معجم المطبوعات العربية - السيد يوسف البان سركيس) .

ويقول عنه ابن أبي أصيبعة : « كان رحمه الله فيلسوفاً كاملاً » وإماماً فاضلاً ، قد اتقن العلوم الحكيمة ، وبرز في العلوم الرياضية ، زكي النفس ، قوي الذكاء متجنباً عن الدنيا ، مقتنعاً منها بما يقوم بأوده ، يسير سيرة الفلاسفة المتقدمين ، وكان له قوة في صناعة الطب وعلم بالأمور الكلبة منها ولم يباشر أعمالها ولا حاول جزئياتها . ولما دخل دمشق كان في أول أمره ناطوراً في بستان ، وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها والتطلع إلى آراء المتقدمين وشرح معانيها ، وكان ضعيف الحال حتى أنه كان في الليل يسهر للمطالعة والتصنيف ويستضيء بالقنديل الذي للحارس وبقي كذلك مدة ثم عظم شأنه وظهر فضله واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه وصار أوسع زمانه وعلامة وقته ، واجتمع به الأمير سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي وأكرمه أكراماً كثيراً وعرفت منزله عنده وكان له مؤثراً . »

« وقيل ان الفارابي لزمه لم يكن يتناول من صنف الدولة من جملة ما ينعم به عليه سوى أربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروري عيشه ، ولم يكن معنياً بهيئة ولا منزل ولا مكسب . وكان في أول أمره قاضياً فلما شعر بالمعارف نبذ ذلك وأقبل بكلية على تعلمها ، ولم يسكن إلى نحو من أمور الدنيا البتة ، وكان يذكر أنه كان يخرج إلى الحراس بالليل من منزله يستضيء بمصابيحهم فيما يقرأه ، وكانت في صناعة الموسيقى وعملها قد وصل إلى غاياتها وأتقنها اتقاناً لا مزيد عليه ، وهو الذي صنع آلة غربية يسمع منها الحائكا بديعة يحرك بها الاتقالات . »

وقال القاضي ابن صاعد بن أحمد بن صاعد في التعريف بطبقات الأمم : « أن الفارابي أخذ صناعة العلم الحكي على يوحنا بن حيلان المتوفى في مدينة السلام . وكان يجتمع بابن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ

عليه صناعة المنطق . ومثل « أبو نصر » من أعلم أنت أو أرسطو ؟ قال :
« لو أدركته لكنت من أكبر فلامبذه » .

وبدلنا على شغفه في أرسطو وكتبه أنه قال : قرأت السماع لأرسطو
أربعين مرة وأرى أنني محتاج إلى معاودته .

ولأنني نصر من الكتب ما ينوف عن السبعة وتسعين كتاباً ورسالة ومقالة
تنوعت مواضيعها في شتى العلوم والأدب والاجتماع ، والفلسفة ، والآلات ،
والرياضيات ، والكيمياء ، والموسيقا ، وعلم العدد وغيرها .

وحياة الفارابي تمثل الانقطاع للعلم ، والتجرد للدرس ، والزهد في الدنيا ،
وما في الدنيا من زينة ومفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد . وكان قد بقي
الأمير سيف الدولة الحمداني وهو في حلب ثم صحبه الأمير معه إلى دمشق ، وفي
عام ٣٣١ ألف كتابه (المدينة الفاضلة) وسافر إلى مصر عام ٣٣٨ ورجع إلى
دمشق وتوفي بها في رجب سنة ٣٣٩ عند سيف الدولة في خلافة الرازي وصلى
عليه الأمير في خمسة عشر رجلاً من خاصته .

وللفارابي دعاء صوفي شهير وقد جاء فيه هذه الآيات وهي من شعره تكشف
لنا عما انطوت عليه روحه الصوفية من عقيدة ومحب آهي . قال الفارابي :

يا علة الأشياء جميعاً والذي كانت به عن فيضه المتفجر
رب السماوات الطباق ومركز في وسطهن من الثرى والأبحر
إني دعوتك مستجيراً مذنباً فاغفر خطيئة مذنب ومقصر
هذب بفيض منك رب الكل من كدر الطبيعة والناصر عنصري

ومع أنه تعلم الطب ولكن ميله للفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضيات غلب عليه
فكان من أكبر فلاسفة الاسلام ، ولم يزاوِل الطب الصنعة بل أحاط به احاطة
تامة وارتشف من حياضه حتى اطفأ ظمأه ثم انعكف على البحر في المنطق وما
وراء الطبيعة فكان له ما أراد من فهم وعلم واطلاع وتأليف واتاج ، ومع

ما كتبه من الكتب العديدة التي أشرفنا إليها فإنه ألف في الطب كتباً كثيرة ودبر مارستان الري ثم مارستان بغداد أيام المكتفي . ومن الأسف أن كتبه الطيبة ضاع أكثرها ولم ينشر منها ما يذكر ، وأما كتبه الفلسفية فقد نشر منها وطبع : (آثار أهل المدينة الفاضلة ، وما بعد الطبيعة ، والإبانة عن غرض أرسطاطاليس ، وبعض رسائل ترجمت للألمانية ، وكتاب عيون المسائل في المنطق ومبادئ الفلسفة ، وشرح فصوص الحكم ، وكتاب عيون المسائل ، وكتاب الموسيقى) وبقية تأليفه لا تزال في عالم الخفاء كما خفي قبره من الوجود . وبعد الفارابي يجدر بنا ذكر شيخ الأطباء « جالينوس » عصره الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا . وهو وإن كان أشهر من أن يذكر وفوائده أظهر من أن تسطر ، فإنه وصف سيرته وأحواله بما ينفي غيره عن وصفه . ولد عام ٣٧٠ وتوفي عام ٤٢٨ .

قال ابن سينا : « إن أبي كان رجلاً من أهل « بلخ » ^(١) وانتقل منها إلى بخارى أيام نوح بن منصور واشتغل بالتصرف والعمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها « خرميشن » من ضياع بخارى وهي من أمهات القرى وبقرها قرية يقال لها « أفشند » وتزوج أبي منها بها ، وقطن بها ، وولدت منها بها ، وولد أخي ، ثم انتقلنا إلى بخارى وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب حتى كاد يقضى مني العجب . وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين وبعد من الاسماعيليين ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم وكذلك أخي . وكان ربما تذاكرا بينهما وأنا أسمع منهما وأدرك ما يقولانه وأبدءا بدعوائني أيضاً إليه ويجريان على لسانها ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند ، وأخذ يوجهني

(١) بلخ : كانت القبة السياسية لولاية خراسان ثم أصبحت المركز الثقافي والديني لملكة طخارستان . وفي عام ٣٣٠ هـ قتل عليها الحصار ابن قيس الأختف حتى قتلها ، وبعد زمن اجتاحتها قبائل جنكيزخان ودحرتمها وذلك في عام ٦١٦ هـ و ١٢١٢ م .

إلى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند حتى أتت علم منه ، ثم جاء إلى بخاري أبو عبد الله الثاني وكان يدعي الفلسفة وأنزله أبي دارنا رجاء تعلمي منه ، وقبل قدومه كنت اشتغل بالفقه والتردد فيه إلى اسماعيل الزاهد وكنت من خيرة السائلين وقد ألقت طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على الوجه الذي جرت عادة القوم به ، ثم ابتدأت بكتاب (ايساغوجي) ومعناه (المتولات = أو المقدمة للفلسفة) على الثاني ولما ذكر لي حد الجنس أنه المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو ؟ فأخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله وتعجب مني كل العجب وحذر والذي من شغلي بغير العلم ، وكان أي مسألة قالها لي أنصورتها خيراً منه حتى قرأت ظواهر المنطق عليه ، وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبر . ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكت علم المنطق وكذلك كتاب افليدس في الهندسة فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ثم توليت حل بقية الكتاب بأسره ، ثم انتقلت إلى « المجسطي » (كلمة يونانية معناها الأكبر) وهو كتاب يبحث عن الفلك ، ولما فرغت من مقدماته وانتهيت إلى الأشكال الهندسية قال لي الثاني قول قراءتها وحلها بنفسك ، ثم اعرض علي ما تقرأه لأبين لك صوابه من خطئه . وما كان الرجل يقوم بالكتاب ، وأخذت أحل ذلك الكتاب . فكم من شكل مشكل ما عرفه إلا وقت ما عرضته عليه وفهمته إياه ، ثم فارقني الثاني متوجهاً إلى (كركانيج = مراكز لمقاطعة خوارزم) واشتغلت بتحصيل الكتب من النصوص والشروح من الطبيعي والالهي ، وصارت أبواب العلم تنفتح علي ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه . وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون علي علم الطب .

(يتبع) عبد الرحمن الكيالي

العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »
في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

- ٥ -

٢ - صور الحروف الأبجدية وعددها في اللغتين الآرامية والعربية :
إذا أردنا إيجاد وحدة صورية بين هاتين الأبجديتين يجب علينا الرجوع إلى
أقدم صورة باقية لكتبيهما وهما القلم الاسطرنجيلي الآرامي ، والقلم الكوفي العربي
فعند مقابلة هذين القلمين يتضح لنا اتحادهما في شكل جميع الحروف تقريباً ، الأمر
الذي يؤيد تأثر القلم الكوفي بالقلم الاسطرنجيلي تأثراً قوياً بعد استقلاله عن القلم
النبطي الآرامي القديم ، وهذا هو السبب في جعل العلماء الخط الاسطرنجيلي وحده
أصلاً لخط الكوفي العربي الذي تولدت منه سائر الأقلام العربية إلى يومنا هذا .
أما عدد صور الحروف في الأبجديتين فإنها اثنتان وعشرون صورة ، مع أن
اللغة العربية تحتاج إلى أكثر من هذا العدد . وقد أظهر العرب حكمة بالغة
وحذقاً عظيماً في تلافي النقص في عدد الحروف المستمدة من الآرامية . وذلك
أنهم لم يقتصروا صوراً جديدة للحروف الزائدة عن حاجة السريانية الآرامية ، بل
عمدوا إلى الحروف نفسها فاستولدوا ستة منها سبعة أحرف جديدة تفي بحاجة
اللغة العربية بعد اضافتها إلى الحروف الاثنتين والعشرين المعروفة الموجودة في
السريانية الآرامية ، وتركوها على صورتها الأصلية ، إنما عالجوا الحرف الجديد
بوضع النقط اللازم بحسب الاصطلاح الجديد . وهذه الأحرف الستة التي
ولدوا منها الأحرف السبعة الجديدة هي د . هـ . ط . ع . ص . ت .

فصدرت عنها بالتسلسل سبعة أحرف هي ذ . ج . ح . ظ . غ . ض . ث .
 وإنك ترى أن كل حرف أصبح حرفين الأصلي بدون نقط . والجديد وضعت
 له النقط اللازمة . الا (الحاء) وحدها . فقد استولدوا منها حرفين هما (الجيم
 والحاء) بواسطة تقطيعها المعروفتين .

ومما يجدر ذكره أن العرب سلكوا سلوكاً فيلولوجياً بارعاً في هذه الطريقة
 لتلافي عجز الحروف القديمة التي استمدوا منها أنجديتهم الجديدة . وهذا ما عمله
 الآراميون عند عودتهم إلى كتابة العرية بحروفهم الآرامية . وهو الأسلوب
 المسمى بـ (الكرثوني) الذي أشرنا إليه سابقاً . الا أن هناك اختلافاً بين
 الجانبين في بعض الحروف . فان الآراميين استعملوا (الجومل) بوضع نقطة
 تحتها لكي تصبح (غينا) ، وبوضع نقطة في داخلها لكي تصبح (جيا) في
 الكتابة الكرثونية . أما العرب فلم يسلكوا هذه الطريقة بل أولدوا الفين من
 العين بوضع نقطة فوقها . وأولدوا الجيم من الحاء بوضع نقطة تحتها . وهكذا
 تم لهم ما أرادوا .

الا أن العرب لم يضعوا النقط لتمييز الحروف المزدوجة صورة الا بعد شعورهم
 بوقوع التباسات كثيرة في الكتابة ، وهذا هو السبب في لجوئهم إلى هذه
 الطريقة السهلة مع ابقاء الحرف على صورته الأصلية المثلة في الصورة الفرعية
 أيضاً مع العلم أن كتباً عربية كثيرة كتبت بدون استعمال التنقيط
 حتى بعد اختراع هذه الطريقة . وما خلا ذلك ، فمع تمادي الزمان
 وكثرة الاستعمال تقاربت صور أحرف أخرى بعضها من بعض فأصبحت
 كأنها حرف واحد لا يميز إلا بالنقط أيضاً كالزاي والراء (ز . ر) والشين
 والسين (ش . س) والقاف والقاف (ق . ف) . وتشابهت أيضاً صور النون
 والباء والياء والتاء في أول الكلمة وفي حشوها ، وهكذا نجد كثيراً من صور

الأحرف كل منها يعبر عن حرفين أو أكثر ، وصارت الحروف العربية ثمانية وعشرين حرفاً ، ولكن يعبر عنها بخمسة عشرة صورة فقط .

ان حرف الخاء يولده الآراميون عند كتابتهم العربية بالأحرف الآرامية من (الكوف) أي (ك) ؛ أما العرب ففضلوا أن يتولد من (الخاء) نفسها بوضع نقطة فوقها ، وما تجب الإشارة إليه أيضاً أن صورة (السين والشين) في الأرامية والآرامية النبطية هي واحدة فقط ، فسلك العرب هذه الطريقة وميزوا بينهما بوضع ثلاث نقط صغيرة فوق السين لكي تصبع (شينا) .

هذه هي الوحدة الكاملة بين صور الحروف الأرامية وعددها في اللغتين الآرامية والعربية .

٣ — الخواص العددية في الحروف الآرامية والعربية :

تتفق الأينجديتان الآرامية والعربية بكونهما تستعملان علامات للأعداد عوضاً عن الأرقام العددية . وهذه الطريقة قديمة جداً في الآرامية وربما يرجع تاريخها إلى العصور السابقة للمسيحية ، مع العلم أن الأسم الآرامية القديمة قد اخترعت علامات خاصة للأعداد ، فقد ظهرت هذه العلامات في الرقم الكنعانية والآرامية القديمة في اقناض مدن سورية المندرس كما ظهرت أيضاً في نصب تدمر وكتابات الآراميين في ضواحيها ^(١) ثم استمدت منها طريقة خاصة في عهد المسيحية الأول في الكتب لتأريخ السنين ، ولتصوير عدد آيات فصول الكتاب المقدس ، وعلى الأخص الانجيل ، ولترقيم اعداد كرايس الكتب ، واستمرت هذه الطريقة إلى العصور المتأخرة ^(٢) .

أما الأرقام الهندية المعروفة اليوم في العالم العربي فلم تعرف إلى القرن السابع

(١) اللغة النبية ليوسف داود الجزء ١ ص ١٥٧ .

(٢) اللغة النبية ج ١ ص ١٥٨ .

الميلادي ، قد نبغ في هذا القرن العلامة الفيلسوف والفلكي الرياضي ساويرا
سابوخت ، وعلى يده وصلت للمرة الأولى الأرقام الهندية إلى العرب ، ويظهر
أن استعمالها لم يشع فبقيت عصوراً أخرى حتى أخرجت إلى الاستعمال ، ويعود
الفضل في أعدادها لنا إلى الرياضي السرياني الكبير المشار إليه ^(١) .

أما طريقة الحروف في العلامات العددية فقد شاعت عند السريان الآراميين
أكثر جداً ، فنجد جميع مخطوطاتهم مؤرخة بهذه الطريقة وعنهم أخذها العرب
في العصور الأولى لظهور أبجديتهم فاستعملوها كما استعملها الآراميون قبلهم ^(٢) .

وهذه الحروف تنتظم في الأبجديتين للغاية العددية كما يأتي :

١ : ا	٤ : د	٧ : ز	١٠ : ي	٤٠ : م	٧٠ : ع	١٠٠ : ق
٢ : ب	٥ : هـ	٨ : ح	٢٠ : ك	٥٠ : ن	٨٠ : ف	٢٠٠ : ر
٣ : ج	٦ : و	٩ : ط	٣٠ : ل	٦٠ : ص	٩٠ : ش	٣٠٠ : س
٤٠٠ : ت						

وبقية الأعداد يعبر عنها بتركيب هذه الحروف فجو :

١١ : يا	١٧ : يز	٦٢ : مز
١٢ : يب	١٨ : يـح	١٤٨ : قـح
١٣ : يـج	١٩ : بط	٣٩١ : شـصا

وإذا رغبت في تأليف عدد بعد الـ ٤٠٠ فاقرن حروف المئات كما يأتي :

٥٠٠ : تق	٨٠٠ : قـت	٧٠٠ : قـش
----------	-----------	-----------

ثم تجعل حروف الآحاد نفسها للآلاف وحروف العشرات للمئات التابعة
للأربعمئة . ويشترط أن تكون أولاً الآلاف ، ثم المئات ، ثم العشرات ثم

(١) المشرق البيروية المجلد ١٤ ص ٢٣٩ سنة ١٩١١ .

(٢) استعمل هذه الطريقة عبرانيون أيضاً أخذوا عن الآراميين وكذلك اليونانيون -

اللغة الشبية ج ١ ص ١٥٧ و ٤٣٩ .

الآحاد ، خوفًا من الالتباس نحو (افعو : ١٨٧٦) ، (بعنا : ٢٧٥١) ، (جقمه : ٣١٤٥) . وقد اُصطلحوا أن توضع قطعة فوق حروف العشرات للدلالة على المئات ، ومن تحت حروف الآحاد خطبطين قائم للدلالة على الآلاف . ومن تحتها أيضًا خطبطين للدلالة على الربوات نحو (ع : ٧٠٠) ، (ننسج : ٥٥٣) ، (اعمد : ١٧٤٥ الخ) . نستنتج من استعمال الحروف الأيجدية علامات للعدد في اللغتين . ان العرب اعتبروا صراحة عدد الحروف الأيجدية ٢٢ فقط . اذ لم يخالفوا السرياني الآراميين في هذه الطريقة مطلقًا وهو الذي يؤيد أن الأيجدية الآرامية هي أم الأيجدية العربية بحروفها الاثني والعشرين الراحنة . وبالتالي اعتبر العرب أيضًا أن الحروف الأيجدية الأصلية هي الاثنان والعشرين الآرامية فقط . وأما الحروف الزائدة في اللغة العربية فهي مشتقة من الحروف الأصلية كما بينا سابقًا .

٤ التطور اللفظي في حروف بعض الكلمات المشتركة بين الآرامية والعربية : من الرامن أن اللغتين الآرامية والعربية باتصالهما التاريخي الطويل ، الذي يمتد إلى قلب نشوئهما ويرتقي إلى عهد ازدهارهما ونضجها ، تبادلتا مادة غزيرة يصعب حصرها في بضع صفحات ، وذلك من حيث الألفاظ والأساليب وغيرها . وأما الآن الناحية اللفظية من المادة المشتركة بين اللغتين ، وتطور الحروف من حالة إلى حالة من حيث النطق بها في اللفظة نفسها . ولا ندعي أننا سنحيط بجميع تلك الألفاظ المشتركة لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات كاملة بل نورد نماذج من ذلك التطور لتقف على حالة الحروف الأيجدية النطقية عند استعمالها في هذه المادة المشتركة بينما مع العلم أن هناك ألفاظًا تكون الحروف هي عينها في كلتا اللغتين .

قبل أن نستعرض التطور اللفظي في الحروف المشار إليها يجب أن نعلم أن الحروف الأيجدية في اللغتين نوعان حروف علة وهي (الالف والواو والياء) ،

غير أن السريانية قد تضيف (الهاء) إلى أحرف العلة أحياناً خضوعها في بعض الحالات اللغوية إلى ما تخضع له أحرف العلة في الاعلال والقلب والتغيير . وأما في العبرانية فإن (الهاء) ملحقة بأحرف العلة دائماً تقريباً . وسميت أحرف العلة كذلك لأنها تدخل الكلمات إما أصلية أو زائدة فيطراً عليها تغيير كبير من حذف ، وقلب ، وإبدال ، أو يصيب حركاتها أو حركات الحروف التي قبلها شيء من التغيير ، وتشارك اللغتان في هذه الناحية .

ومن المعروف أيضاً أن أحرف العلة كانت تقوم مقام الحركات في اللغتين قبل ظهور الحركات فيها ، كما هي الحالة في كثير من اللغات الحية الآن ؛ ويظهر أنها لم تف بحاجة النطق الصحيح ، لذلك اضطر علماؤهما إلى اختراع الحركات . والتنوع الثاني من الحروف هي الصبيحة ، وهي بقية الحروف الأبجدية ؛ وأما التطور اللفظي في حروف بعض الكلمات المشتركة بين اللغتين فنجد كما يلي :

٢ - الألف (ا : ١) الألف في السريانية وفي العربية ، إذ لم ترد حرف علة على ضرار ما أشرنا إليه الساعة ، تكون حرفاً صحيحاً حافياً ، ويسميه نحاة العربية (المحزة) ، ومن المعلوم أنه ليس هنالك اسم خصوصي للمحزة في السريانية كما في العربية ، وليس لها إلا علامة خاصة كما هي الحالة في العربية ، ولذلك فإن المحزة السريانية لا تكتب إلا بالألف أبناً جاءت .

وتكون المحزة في اللغتين إما زائدة وإما أصلية ، والأصلية تكون في فاء الفعل وعينه ولامه (اَفْعَل) أكل (اَفْعَل) سأل (اَفْعَل) قرأ . وقد تكون في لام الفعل أحياناً مقلوبة في السريانية إلى حرف علة فيقال (اَفْعَل) قرأ (اَفْعَل) برأ .

وأما التطور الذي أصاب حرف الألف في بعض الكلمات فقد يكون أحياناً في السريانية عوضاً عن العين في العربية فيقال في قرع (اَفْعَل) عوضاً عن (اَفْعَل) .

في كلمات أخرى نحو **بُهْمَا** ذرّ **بُهْمَا** ذلّ **بُهْمَا** ذنب **بُهْمَا** ذنب **بُهْمَا** ذنب واخ .

٥ - الهاء (ه : هـ) حرف الهاء تنسأى فيه السريانية والعربية ، إلا ان السريانية قد تستغني عنه أحياناً فيحذف لمرونته وينقلب الى ألف وذلك في آخر الأسماء المؤنثة المجزومة وفي جزم التشكير نحو **مَدْمَكَا** مدينة **كَلَا** علة كما أسلفنا .

٦ - الواو (و : و) تنسأى فيها العربية والسريانية . وفي بعض الكلمات العربية التي تبدأ بها تمثلها الباء في السريانية نحو **وَصَادَة** حصيلاً .
٧ - الزاي (ز : ز) تنقلب الزين السريانية الى الصاد في بعض الكلمات العربية المشتركة باللفظ نحو **أَوَّيْمَا** صديق **أَخَوَا** صغير وقد تنقلب الى شين في العربية نحو **أَص** شق الا أن اللغتين تشتركان بمادة غزيرة تبدأ بهذا الحرف عنه .

٨ - الحاء (ح : ح) ترد في اللغتين مادة غزيرة تبدأ بالحاء إلا أن في العربية الفاظاً تنقلب فيها الحاء السريانية الى خاء نحو **حَمَلَا** خل ، **حَمَلَا** خمر **حَمَلَا** سخين **حَمَلَا** خاب **حَمَلَا** خيط **حَمَلَا** خياط **حَمَلَا** خرب **حَمَلَا** خروب (خرنوب) **حَمَلَا** خرز اخ .

٩ - الطاء (ط : ط) الطاء في السريانية تكون تارة طاء في العربية ، وأحياناً تنقلب الى الظاء نحو **هَمَكَا** ظل **هَمَكَا** ظفر **هَمَكَا** ظمن **هَمَكَا** ظي **هَمَكَا** ظهر **هَمَكَا** ظم .

وقد تنقلب الطاء في السريانية الى تاء في العربية **هَمَكَا** ناعس وبمكس ذلك تنقلب التاء العربية الى الطاء في السريانية نحو قتل **هَمَكَا** . وتنقلب التاء العربية أيضاً الى الطاء في السريانية نحو **هَمَكَا** قتل .

١٧ - الراء (ر : ر) قد تقابل الراء السريانية نون في العربية ومن ذلك أُنْمَ اثْنين حَا ابن حُنَّا بنت إلا أن الراء السريانية تنقلب الى نون أيضاً فيها عند الجمع فيقول في حَا ابن حُنَّا بتون حُنَّا بنت حُنَّا بنات .

١٨ - الشين (ش : ش) فلما تقابل الشين السريانية بشين عربية بل تقابلها غالباً السين كما سبق الكلام في السين السريانية نفسها .

١٩ - التاء (ت : ت) تمثل التاء السريانية حرفين في العربية هما التاء والتاء وهكذا تكون بعض الكلمات المتحركة في اللغتين تارة تاء عربية نحو أُنْمَ تنور أُنْسَا تنين أُنْمَا تبس وطوراً تاء نحو بابَا ندي أُنْمَا نور أُنْمَا ثقل أُنْمَا ثلاث .

هذا ما يمكن قوله في تطور الحروف ولفظها في المادة المشتركة بين اللغتين العربية والسريانية الآرامية . ولو عاد المتبصر الى معاجم اللغتين لوجد مجرأ خضياً من المادة المشتركة فيها واعتدى إلى أمثلة كثيرة على غرار ما أُلْمنا إليه في بحثنا هذا .

(الموصول) - غريغوريوس بولس بهنام

نسخة تاسعة

من ديوان ابن عُنين

أعارني الحكيم (الطبيب) السيد مظفر حسين بكراجي في ٩ شعبان سنة ١٣٧٨ هـ
نسخته من ديوان ابن عُنين . وكان طال مقامه بميدراآباد الدكن . ومن
فهرامه وهواه في الأسفار والآثار اجتمع لديه منها مبلغ لا ينكر قدره .
فباع منها جملة خزانة ميرپور وفيها نسخة جليظة من ديوان ابن الساعاتي .
وقد بقيت عنده بقايا أكثر من نصفها فيها كل علق مفنة يشد إليه الرجال .
والظاهر أنه يبيعها لخزانة دار التحف بكراجي .

ولما سرحت فيها نظري وعارضتها بطبعة الصديق الأستاذ الفاضل خليل مردم بك
من ثمان نسخ وجدت فيها نحو ٣٤ ما بين مقاطيع وقصائد فانت النسخ ،
وبعض أخبار وروايات لا يخلو تقييدها من فائدة زائدة ، فصحت عزيمتي على
تخليتها ولم تتعها وضبط شواردها وعرض فرائدها .

وهي بقطع وسط أميل الى الثمن في ١٠٨ أوراق . والمسطرة تتراوح بين
١٨ الى ١٥ سطراً في الغالب وربما تقل وتكثر . بعدة خطوط لا تقل عن
خمة . مما يدل على أن بعض الزوار أو الحجاج يكون زار الشام ، فأوفزته
الرحلة عن امتساخ الديوان على وجهه ، فوزعته على نحو مئة من كاتبين ،
وما كانوا كراماً يورثه ، فخطوا وسرّفوا . وكأها بالنسخ . وهي عريضة المنصب
ليست من نتاج الهند أو الهند وإنما تهنت منذ قديم . وهذا يدل على أن

الهند استأنست يزائرها فحافظت على وُدّه كما حفظت نسخة من شعره وإن كان لم ينصفها بعد مفادرتة لها إذ قال :

وإذا سقى الله البلاد فلا سقى بلدة الهند سوى الصواعق والدِّما
وقد تماورت النسخة أيدي عدة من الأصحاب يدلُّ على ذلك خطوطهم
التي لم أستطع قراءة بعضها لمحو أصابها . وعليها ختم (اورنگ زيب عالم گير)
أو بعض أمراء عهده ، وثبت عليه خط إمامي همداني وتمام اسمه ميرعماد الدين
محمود وهو من آل آباد من نواحي همدان وهو عصري الشفائي المقدسي وصاحب
النقي الأوحدي من شعراء الفرس الذين زاروا الهند ومات سنة ١٠٦٤ هـ .

وقد لقيت عساق القرية وجهداً جامداً في إصلاحها وردّها الى أصلها .
فقد وثقت في بعض الأماكن كما قد أخفت في بعضها الآخر . وبعض هذه
الخطوط مشكول شكلاً أكثره مغلوط وما كان يفسره لو فقد الشكل والإعجام
بالمرّة . هذا إلى ما أحدثته الأرضة من ثقب وخروق حالت دون قراءتها كما هي ،
وإلى أن بعض الأوراق قلبت فوضعت في غير أماكنها من الأبواب التي هي
منها . والنسخة كاملة على علاقتها ، غير أن المقطوعة التي رقت رقم ٢٥ بطرقتها
قد خلت من عنوان ، وهي في أول الورقة ، وهذا مما يوقع خرم وسقوط
ورقة أو أكثر دون جزم وبت .

ونسختنا على ترتيب الأبواب الخمسة التي مردها الأستاذ الناشر في ص ٢٤٨
من طبعته سواء .

وقصيدتاه الأوليان في الديوان في مدح صلاح الدين (مخرف وأرسخ)
اللتان طرّز بها باب المدح قد خلت عنها النسخ الثمان ، وكلّ بها ابن نيهان
وجه الديوان من صنعه . ولكن حائر المقطوعات ملحقة بآخر الأبواب الزائدة .

هذا وقد أكلتُ العِراضَ فأثبتُ بعض أخبار زادته نسختنا أو خالفت فيها بعض ما عند أخواتها ، هذا إلى أنها مُتَخِلٌّ ببعض ما أنين به وأثبتته .
 وأما طريقي التي سلكتها فاني اعتبرت بترتيب نسختنا الأول فالأول .
 وقد سهل عليّ فهرسُ القوافي الملحقه بآخر الطبعة البحث عما فيها ، إذ لم يكن لي عن ذلك مندوحة . نظراً إلى أن مخطوطتنا تخلو عن فهرس يمكن من فحص باقي المطبوعة عما فيها . وهذا ظاهر . فمذري واضح فيما سلكته .
 وما أنذا أقل مقدمة النسخة بعد الحمد والصلاة :

(قال العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى أبو الحسن محمد بن نصر الله بن عنين تجاوز الله عن زلته ، وألحقه بمن تفحده بجزيل رحمته وأصله من زرع قرية ببلد حوران وهو من بني غالب ووُلد بدمشق الحروسة يوم الاثنين تاسع شعبان سنة ٥٤٩ وتوفي يوم الاثنين أيضاً العشرين من ربيع الأول سنة ٦٣٠ بدمشق الحروسة . عما عني بجمعه محمد بن المسيّب بن نيهان التغلبي ^(١) الدمشقي إحياءً لذكره ولما لحقه من بديع شعره الخ) .
 وظاهر أن تاريخ وفاته ألحقه ابن نيهان بعده . وهو الذي أراد ابن خلكان بقوله (وقد جمع له بعض أهل دمشق ديواناً صغيراً لا يبلغ عشر ماله من النظم) . وكان مُفرّماً به وبشعره يتردد إليه ويحضر مجالسه ويسأله عما أشكل عليه منه أو اعتاص ويستوضحه عنه ، ولما رآه ابن عنين حريصاً على ذلك أملى عليه بعض ما تبقى عنده من شعره في هذا الديوان الصغير .

كراتشي

عبد العزيز الميجني

(١) كذا جاء بالثنين المسجلة ثلاث مرات أو أكثر . ولست أرى إجمالاً إلا تصحيحاً .

قال يمدح السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أيوب (١) رحمه الله وذلك في سنة خمس ومبشرين وخمسين مائة ، وأنشده إياها بالساحل :

ما للاماني عنك منجرفٌ ولا لما عن ذراك منصرفٌ
أنصفت أهل الزمان كلهم منه ولولا تذاك ما انصفوا
إني بانعامك الذي امتلأتُ به مناي الغداة معترفٌ
لذاك شكري الذي غريت^(١) به ذأبي فاض منه وموتنفٌ
ضافت [عن] المدح والثناء على بعض الذي قد أنبت الصنفُ
يا طالبي العارفات دونكو ندَى ملك الزمان فأعترفوا
فما انخفض الطائي غواربه ولولا الفيث المواعظ النطفُ
عليكو منه بأين مكرمة تشدح أمواله وتفتشرفُ
ما دونها ذائدٌ ولا حرس إلى حراها الآمالُ بتخلفُ

حراها : نواحيها

ما بين هذا الاثام كلهم في أنه أكرم^(٢) الودي خلفُ
يوسف مصر الذي مالكة جنة عدن فيها لنا غرفُ
مشحونة^(٣) بالنعيم صافية ظللها بالخلود متصف^(٣)
أبقى على الدهر من حوادثه محوطة لا بناها الرّكفُ
الركف : العيب .

لما من الناصر الملك صلاح الدين حام سيفه رُغفُ

وقال أيضاً يمدحه رحمه الله ويذكر فتوح مصر وخطبة بني العباس أدام الله (٢) أيامهم بها :

(١) الأصل عريت به .
(٢) بضمه مأكول الأرض .
(٣) كذا ولل الأصل تصف .

'حلومك أرمى من شمام^(١) وأر-خ
 وذكرك ما بين الأقام كأنه
 بقبت صلاح الدين فينا مخلدا
 إذا ذكرت أنباء فضلك في الوري
 سمى الملك من أنباء أيوب ماجد
 فضائله 'ترني على الرمل كثرة
 'عقود صلاح الدين فينا أكيدة
 مهابة درع عليه حصينة
 إذا الحرب حشنتها الكفاة كأنها
 غدا 'مطفئا نيرانها بوزائم
 لمجد صلاح الدين بوصف مهمة
 أقام بمصر دعوة الحق فانثت
 وكم أروى للأدعياء 'عداته
 يهود بما تحوي بداء تبرما
 كما سحت الأنواء طلاء ووابلا
 بلام على بذل المواهب والندی
 فيعرض إعراض الكرم بسنة^(٢)
 فيا 'حسنها من سيرة 'عمرية
 رعاها الإمام المستضي وولده

ومجذك أعلى من [جبا^(٣)] ل واشمخ
 وقد ضاع باليسك السعيق مضخ
 فأنك معها دمت فالردع 'مفرخ
 لدى معشر أنشوا عليك وبجبحوا
 'همام شديدا البأس أصيد أبلغ
 على أنها 'تروى وتنتسج
 أبت أنها - مادامت الأرض - تنسج
 وبين حماه والحوادث برزخ
 طهارة قدير في الشتاء وطبخ
 'تفلق هامات الملوك وتشدخ
 تطول دراري النجوم وتروخ
 'تدوت في أيامه وتورخ
 'ترض يمرداة الهوان وتروخ
 ويحزل ما يعطيه طوراً ويرضخ^(٤)
 وجاءت بما يروى البلاد وينضخ^(٥)
 ويُنحى على إحسانه ويربخ
 ويثبت كالطود الأشم ويرضخ
 وملة عدل - بينها ليس 'بنسخ
 وقام لها 'يزهى كريما ويشمخ

(١) كقطام جبل لباه .

(٢) مأكول .

(٣) يعطى عطاه دون الجزل . ويرضخ في البيت المظلم يشدخ ويكر .

(٤) 'يروى ومنه عيان فتاخران .

(٥) الأصل به .

قال محمد بن نيهان التغلبي الدمشقي رحمه الله جامع الكتاب فأعطاه الملك
الناصر صلاح الدين ألف دينار وأرسل له من بغداد ألف دينار .

ص ٣ : وقال يمدح السلطان الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن
أيوب رحمه الله وأنشده إياها بمدينة دمشق سنة ٥٨٥ هـ القصيدة والبيت العشرون
وصرّحن على الرجال كأنما البيت

ص ٩ : ١ زاد : وأنشده إياها بمدينة دمشق بالقلعة في شهر سنة ٦٢٦ هـ
ص ١٤ : ١٢ زاد : من قصيدة طويلة لم يوجد منها غير هذه الأبيات الثلاثة .
ص ١٨ : ٥ : لا يُثَبِّها .

ص ٢٣ : ١ : يتقدّم البيت :

ألا أيها الملك المعظم والذي مواهبه ترجى ويُخشى عقابه

ص ٣ : من تشادور يبلاد العجم إلى دمشق . وهي نيسابور .

ص ٩ : يتلوه :

ذو مقلّة دعجاء أدمى لحظنا قلمي وأنقذ سهمها أدراعي

ص ٢٣ بعد ص ١ : قال جامع الكتاب محمد بن نيهان التغلبي الدمشقي رحمه
الله سألت الشيخ شرف الدين رحمه الله يوما بحضرة الشيخ نجيب (١) الدين
أبي الفتح نصر الله بن الصفار المعروف بابن الشقيشقة عن معنى هذا البيت وقد
استغربته لأن عادة الخمر أن تبدل الوفار بالطيش فقلت له أهذا المعنى لك
مبكر أم سمعته ؟ فقال لا أعلم أنه لآخر غيري فابتدر الشيخ الامام نجيب الدين
وقال بل هو لنيره وأنشد في المعنى لابن وكيع :

(١) المتوفى سنة ٦٥٧ هـ كان "مُرَّان" بركة الدين يراعى أرباب الجاهات كثيراً ترجمته

في ذيل الروضتين ٢٠١ وغيره .

كيف [لي] أن أراك منجّم المنطق مكران لست توضع حرفاً
وأناذي من المسرة مات السُّكر فادعوا إلى الكأس صرفاً
إنّ للراح منّة لست أدري شكرها كلما أطلت الوصفا
لنيت مخلق قدور وأعارته سماحاً وطنته العطفاً
كلما رمت قبلة قالت النفس — ماة القلا تخذ لك ألفاً
فتمجّب الحاضرون من حسن استحضاره وعظم اقتداره .

ص ٢٣ س ٢ :

في روضة بالتيربين أربعة موشية يدائع الإبداع
مخلصة (كذا) وشائع يردّها كف الخصب وأي كف صنّاع
ص ٢٦ س ٣ : جاورت (بالراء المبهمة) ، هذا عمران بن حطّات
لا خرج على عبد الملك بن مروان وطلبه فهرب منه فلم يجد له ملجأ في الأرض
إلا رّوح بن زنباع فقصدّه فلما وصل إليه وهو مطمئن القلب به لم يجرّه
وطرده ١٥ الميني والخبر سرده أبو العباس على طوله بعض اختلاف في الكامل
٥٣٠ — ٥٣٤ .

س ٥ : أرقح كي أسدّد .

س ٨ زاد : وتسبّحها على منوال الأفور والأودى في قصيدته المخرّضة ١٥
ولعلها دالته في الديوان صنع العاجز برقم (ز) ص ٩ .
ص ٢٨ س ٣ : دالجة : والدالج الذي يمشي بالدلو من البئر إلى الخوض .
والسّر القوم المسافرون .

ص ٢٩ س ٦ : أهوّم أو في بطن دويّة أسري

٧ : عن منا البدر . هذا البيت بقرطس في غرض البلاغة
بإصاحه وتأنّس به الأسماح على غمراهه وتمنّو لديه الأوصاف والمدائح وتنجبل
عند سماحه لتصورها طلايات (كذا) القرائح .

ص ٢٩ س ٢ : ولو حاول المرنج البيت يتلوه ييثان وطيعما انلنام - وصائر
الأييات التي تتلوه هنا تتقدمه عندنا - ومما :

من القوم لو جاراهم البحر في الندى لا أصبح قاعاً نصفاً من زيد البحر
إذا استلأموا يوم^(١) التزال حسبتهم أسود العرين الغلب تسبح في غدر
لقد أصاب شاكلة التشبيه وأصبح فرداً في مناه بلا شبيه ا ه .

س ٩ : عندنا سنة ثمان عشرة .

ص ٣١ س ٨ : سناها وللأدنى . وأراه الصواب .

١٠ : وأفرجت . ولا أرى عليه غبارا .

ص ٣٢ س ٥ : ومعهما ارتجاس .

ص ٣٢ س ٨ : أرضاً قداس .

س ١٠ : بيت الذئب طائر ، يزيرو وجارو ريزبه الكناس .

ص ٧١ س ٤ : بأصلنا الخوول من أسماء الدواهي ا ه فهو بالفتح .

ص ٣٤ س ٤ : زاد : وأنشده إياها بمدينة عدن في سنة ٥٨٩ ه .

س ٧ : وإن بعبدا لا يورجى اقترابه .

ص ٣٥ س ٨ : لا يتأصب .

ص ٣٦ س ٢ : على الرمل في إثر المطي .

ص ٣٧ س ٦ : من خلوة الفحل .

ص ٧٢ س ٥ : سنة ٥٨٩ ه .

س ٨ : حنين العطاش .

ص ٧٣ س ٨ : قوله منها يوم أن هنا شيئاً من القصيدة لم يورد هنا .

ولكنها تظهر تامة في نسختنا .

(١) البيت معروف في أصلنا .

ص ٧٤ من ١ : سبله ٤ ولا يظن سهل .

من ٣ : الباب القباي .

ص ٣٩ من ٨ : قوله ومنها كأنه حذف البيت الآتي من أجل خلل
أو تصحيف وهو :

وكأنه في الحرب خرصان به ذي العز (?) الملك العزيز قد احتج

ص ٤٠ من ٣ : وقال يمدحه وأنشده إياها بمدينة عدن في سنة ٥٩١ هـ
بظاهر البلد .

ص ٤٢ من ١ : النفل بلا تحريف .

من • : لأفصح معجم غزير .

ص ١٠٢ من ١ : عندنا : ولما ملك الملك الناصر صلاح الدين بعض البلاد
الساحلية أرسل الى أخيه السلطان الملك العزيز ظهير الدين صاحب اليمن بعرض
عليه النزول عن اليمن والحق به ليستلم الساحل الفرنجي ويحضر الغزاة . فشاور
الشيخ شرف الدين بن عنين وكان حاضراً عنده في ذلك . وكان شرف الدين
قد سرق له بمكة قماش اتهم به بعض الأشراف الذين بها ممن كان حوله .
فأنشد سيف الإسلام هذه الأبيات يجرّده على قتال أهل مكة وبثني عنزمته
عن الساحل وأولها :

ثم بعد تمامها : قال جامع الكتاب سألت الشيخ العلامة نجيب الدين بن
الشقيشقة عن هذه القصيدة فقال لم يوجد منها غير هذه الأبيات ولتعاها
سبب . فسأله عن السبب فقال حدثني الشيخ شرف الدين أبو المحاسن محمد بن
عنين بداره في ليلة من ليالي الشتاء في ثالث ربيع الأول من سنة ٦١٣ أنه
لما كان باليمن وعمل هذه القصيدة خلط قلب الملك العزيز على أهل مكة ووصل
الى أشرافها شيء من مكروهه . قال فرضت مرضاً شديداً بلغت فيه الموت .

أو ككت فرأيت في إحد [ى] لبالي مرضي كأن مولاتي الست فاطمة صلى الله
عليها وسلم وهي واقفة بازائي تشير باصبعها الكريمة إليّ وتقول :

حاشا بني فاطمة كلهم من رخصة تعرض أو من غنا
وانما الأيام في صرفها وفعلها السوء أساءت بنا
لأن أماً من ولدي واحد تلحق هذا الشتم عمداً بنا
فتب الى الله فمن يقترف ذنباً بنا يأمن ثمما جنسى
وأكرم^(١) لأجل المصطفى أحمد وآله من أهله أعيننا
فكلما نالك منهم أذى^(٢) تلقى به في الحشر معنا^(٣) هنا

قال فاستيقظت شديدة الرعب وقد شيمت راحة العافية فوثبت الى القعيد
فرزقتها وعملت :

عذراً ! الى بيت نبي الهدى تقبله من عبد سوء جنى
وتوبة تقبلها من أخي جرم بعيد الخير مرة الجنى
والله لو قطعتني واحد منكم بسيف البغي أو بالقنا
لم أك في ظنني مبيتاً به بل أراء في الفعل بي محبنا

وكان لا يؤثر أن يحفظ أحد من هذه الأبيات شيئاً حتى إن الملك الأشرف
كان^(٤) إذا أراد أن يغيظه ذكر بيتاً منها .

ص ٥٥ س ٧ : فتربني أنه حذرا .

س ١٠ : اذا استيقيت وابله ، على الظاء (كذا) مقاني .

(١) بالتسويل ضرورية .

(٢) الأصل مزا .

(٣) الأصل منا .

(٤) الأصل وكان اذا أراد منيعة .

- ص ٥٧ س ١٠ : فظلت تباري الشمس .
- ص ١١ : أزال على الصواب .
- ص ٥٨ س ٤ : به مثل . وهو الأليط .
- ص ٥ : ما أحلى قوله إلا أن ظفرت يرا . يريد لم أحصل على
صوى القافية فانها كقافيته « إنما الشعر لم ألحق فيه من شأوه شيئاً » : الميمني :
فأنضح أنه يرا أي يحرف الراء وهو روي القافية لا غير .
- ص ٨ : يتلو البيت الأخير : وهذا آخر مدائحه للملك ا هـ
ثم يتلوه مدح الوزير ابن شكر وهو في ص ٤٥ .
- ص ٤٥ س ١ أصلنا : وقال بمدح الوزير صفي الدين أبا الحسن علي
ابن عبد الله (وفي الفوات ١ / ٢٨٠ وصرآة الزمان عبد الله بن علي) بن شكر
وزير الملك العادل سيف الدين أبي [بكر] بن أيوب وأنشده إياها بدمشق
سنة ٥٩٣ وبذكر فيها حصار الأفضل والملك الظاهر العادل (؟ للعادل)
ورجوعها عنه بحسن تدبير الوزير الممدوح .
- ص ٤٩ س ١٣ : ولو مات وجدا .
- ص ٥٠ س ١٠ : ألقى .
- ص ١٢ : فلو عالجتُ حداً (؟ جُداً) .
- ص ٥١ س ١٣ : يأتي بالأمس ينهب رداً .
- ص ٥٢ س ٣ : وهو فاعلٌ .
- ص ٥٣ س ١ : ألى جنابك رداً .
- ص ٢ : والثناء أكرمُ مهدى .
- ص ٩٤ س ١٢ : بأصلنا زيادة : وذلك بمدينة حمرو في مدرسته التي بُلقي
بها الدروس .

- ص ٩٥ س ٧ : يمشي بقلب .
- ص ٥٣ س ٦ : أصلنا فكتب إليه من نيسابور وسيرها إليه الى نسا دور^(١) وذلك في سنة ٦٠٣ .
- ص ٥٤ س ٨ : رباح الطبش .
- ص ٩٨ س ٩ : محلة الجناح .
- ص ٩٩ س ٣ : وحلة المزاح .
- ص ٧٤ س ٧ : من نسا دور .
- ص ٧٦ س ٢ : جواسق كالدراري .
- س ١٠ : لغيامي وعزمه .
- ص ٧٧ س ٢ : بين الدئاب .
- س . زاد : وسيرها إليه أيضا من بلاد^(٢) العجم الى دمشق .
- ص ٧٨ س ٦ : يتلوه بيتان وعليها الختام :
- عسى عطفة بدرية تعكس النوى فألقى قريو العين بالاهل والوطن
- فقد ملئت النفس البعاد ويروحت بها سعة الشكوى وضاق بها العطن
- ص ٧٩ س ١ : عندنا : وقال يمدح النجيب بن يمن العرضي وكان اجتماعا كلامها وعاد النجيب الى الشام فكتب بها اليه :
- ص ١٠٤ س ١٣ : بات عنه غني .
- ص ١٠٥ س ١ : مبيجة الف .
- ص ٥٩ س ٨ : في صفيح الحدا .
- ص ٦٠ س ٩ : غمر .

(١) كذا وهي نيسابور نفسها عامية .

(٢) وفي الأبيات من عدن .

- ص ٦١ س ٤ : فيها وأصجرت الموالي .
- ١١ : يريد بالأخشاب المجانيق اه .
- ص ٦٢ س ٥ : بعده بيت وعليه الختام :
- فأملك عين^١ خاطبته كان^(١) بها رَمَدًا فكان لما عراها إثمدا
- س ١٢ : وجنوا المعالي . هذا غلط صرفي من ابن عني .
- ص ٦٣ س ٥ : انتميس . والنص من خطأ الطباعة .
- ص ٦٤ س ٤ : با لاإرعاد .
- س ٨ : زاد : وكانت بينهما صداقة ومودة أكيدة وكانت
- دفن بدمشق ثم نقلوه الى قلعة جعبر .
- س ١٢ : عن طريق رشادها .
- ص ٦٥ س ٤ : رُزى الكرام الخ كا في صلب المطبوع .
- ص ٦٧ س ٧ : بعده وعليه الختام :
- لا غب فيرك^١ مرزجعين زاهر زجل^١ النواحي مسيل^١ هذار
- ص ١٤٠ س ١١ : ينهد^١ لو حملته بعضا - الجبل . أي ينهد الجبل
- (ضد السهل) لو حملته (بالشد) الداهية بعضا . وهذا ظاهر .
- ص ١٤١ س ٣ : متعل في شعر الأعشى رقم ٦ وقام البيت :
- مر كولة^١ فنن^١ دُرْم مرافقها^١ كأن أحمها بالشوك متعل^١
- والضمينان غير موجودين في نسختنا .
- س ٥ : متفخ وكذا نسختنا والصواب : متفج بالجم لا غير .
- س ٦ : في بيضة القَيْظ وأراه الأقمذ وفي زائبة الشماخ :
- طوى ظلمها في بيضة القَيْظ بعدما جَرَى في عِنان الشِعْرَيْنَيْنِ الأماعن^١
-
- (١) أو بان .

ص ١٤٢ بعد س ١ : يريد بنظام الدين ابن القلانسي . فالحظ أنها المتأمل ما ألفت هذا الاستطراد وما أحلى موقعه من التواد حتى لو سمعه الذي قيل فيه لشغله استفادة هذا الخرج عن أن يرتقل في ثياب المخرج اه الميجي لا أعرف المخرج إلا المخرج وهي ثياب تبسط على جبل لتجف . ففعل المخرج عامية .

ص ٩١ س ٣ : فيما وقع له من الوقائع والمآجريات والمكائبات والمجاوبات والطلبات والشفاعات والأغراض والمجون والهدايا والاستهداآت والطرف والتنف والالطف والحنين والأشواق الى بلده وغير ذلك مما يجري مجراه اه .

ص ٩٢ س ١٠ : بتلو (مسلما) :

(٣)

رأى صبيًا مليحًا تركبًا قد رأى غرابًا على شجرة فرماه بسهم .

من أنحزور العيون رأى غرابًا فأوتر قوسه ورمى بسهم

فخلت البدر أرسل عن هلال الى الليل البهيم شهاب رجم

ص ١٠١ س ٨ : عندنا وكتب الى الملك العزيز سيف الإسلام باليمن يطلب منه خمراً على طريق اللغز .

ص ٤٤ س ٥ : ما قطباً لي أد [ر] ي عداك الذم

ص ٧٣ س ٣ : عندنا أربعة أبيات من هذه القصيدة وهي في الأسطر

٣ و ٤ و ٦ و ٧

ص ٨٠ س ٩ : يلوح وأذي الدجنة .

ص ٨١ س ١١ : من أن تنال وتلثا .

ص ٨٣ س ٤ : على وكز بالزاي المعجمة لا بالمهمله .

ص ١٤ : راحلا - وأحداثه بي .

- ص ٨٦ من ١١ : بعد (عن ذكر الشا) زيادة :
- أصبحتُ بعد فراقكم متجميعاً ١١ بنوى فمصر^(١) (كذا) في الخطوب مشتتاً
- ص ٨٧ من ٥ : بين النعائم والفقر . وبالنسر يحصل الإبطاء .
- ص ٨ : يتلوه : يريد بذلك أنت توه سعد السعود صعبه
- بأبي الأنواء المستطيرة إذا لازمها بكثرة الغيث ويصير مكان الضب وهو البراري المقفرة كمكان الحوت وهو البحر وربما زاد ماء البحار والأنهار وطفأ السمك الى أن يتلاقى به والضب في وكره وهذا بليغ حسن :
- ص ١١١ من ١ : عبت السقام .
- ص ١١٦ من ٤ : بداه كما قيل فإما .
- ص ١٤٢ من ٨ : قيد ضيق .
- ص ١٢٢ من ٥ : شرك الأنجم .
- ص ١١١ من ٨ : عند ذاك .
- ص ١٠ : والبيتان اللذان أنشدتهما ابن الجاور :
- بالكؤوس الملاء حثاً إلياً لا تجرباً (كذا) بالمدام لأعلياً
من يدي فاطر اللواحق كالبد ر اذا حثه نجوم الثريا
- ص ١٢٠ من ٢ : لقد حثت قوادمها .
- ص ١٢٢ من ٩ : عندنا في الترجمة : وكان لما كتب هذين البيتين (جناحي ص ١٢٠) مريضاً طلب أن يزوره وكتب اليه مع هدبة اه .
- ص ١١٢ من ٢ : لو لمك عذرا .
- ص ١٣١ بعد من ٨ : فلما وقف عليها السلطان أمره أن يستدعي ما يحتاج ضيوفه اليه في كل يوم من سائر الحوائج .
- ص ١٢٣ من ٣ : لو كان ما يهذي على مقداركم ، لم يرتض الشمس .
- (١) له بمصر في الخطوب تشتتاً ، على الإبطاء .

- ص ٩٠ من ٦ : في أعالي البان .
 ص ٨٩ من ٤ : وصَرَجتُها :
 ص ٥ : ضاح بضوع قاح .
 ص ٩٠ من ٣ : وقد : أو غلُ :
 ص ١١٢ من ١١ : فكم أشهب .
 ص ١٠٠ من ٧ : يا جراري ، والجرار شقّ لسان الفصيل والقلم أيضا
 'يثق' لسانه . ثم يتلو الأبيات وقال مخاطباً للسلطان الملك المعظم وقد جرى
 يوماً حديث قسمة الغنائم شرعاً وكيف ترحّضت الرسوم الشرعية :
 يا أيها المالك المولى الكريم ومن يستحق الملك والدنيا إذا يهبُ
 (٤) إذا لقيتَ الأعادي يوم معركة فإنّ جمعهم المغرور متّهبُ
 لك النفوس وللطير اللحوم وللوحش العظام وللخيالة السلبُ
 فضحك الملك المعظم وقال هذه قسمة على بيت المال فيها حيف .
 وكان عند الملك الناصر الخ مافي ص ١٢١ س ٤ ويتلو بيتيهما :
 فقال الملك المعظم الناصر سمعاً وطاعة ، ثم أمر بنف لجنته فاستغاث الشاعر
 وأقسم أنه ليس من القصيدة . وقرأ ذلك اليوم في نوادر الشعراء .
 وكان مع الملك المعظم في 'بحيرة طبرية فركبا في الزيب' (١) فقال بديها : (٥)
 واني لأعجب من زيب به بحر (?) كيف لا يفرق
 فن تحته بحر (?) واحد ومن فوقه أبحر تدفق
 وأعجب من ذا وذا أنه يلامه وهو لا يرزق (كذا)

(يتبع)

(١) هذه الأبيات معروفة لخلق الشاعر في طاهر بن الحسين والرواية :
 عيب طرّاة ابن الحبيب كيف نوم ولا تفرق
 وبحران من فوقها واحد وآخر من غنما مطبق
 وأعجب من ذاك عياداتها وقد مَسّا كيف لا تورق
 والزيب نوع من الدفن .

الزجاجي

حياته وآثاره

ومذهب النحوي من خلال كتابه «الإيضاح»

- ٣ -

١٣ - كتاب معاني الحروف :

عدّ يروكن بين مصنفات الزجاجي كتاباً باسم «حروف المعاني» . وأما «معاني الحروف» فلم يذكره أحد غير ابن خير الاشبيلي^(١) . إلا أن القفطي قال في الإنباء إن «لأبي علي الفارسي كتاب «الأغفال» فيما أغفله الزجاجي في المعاني^(٢)» ! وكلام القفطي هذا ، يهتد السبيل لوم القاري ، إذ يدل على أن «أغفال» الفارسي يتصل بمعاني الحروف للزجاجي . والحق أن في كلام القفطي قصصاً وسهواً ؛ أما النقص فلا أنه كان ينبغي له أن يشير إلى أن «الأغفال» إنما هو في معاني القرآن . وأما السهو فلا أن «الأغفال» هو تعقيب واستدراك على كتاب «معاني القرآن وإعرابه» لأبي اسحاق الزجاج ، لا على معاني الحروف لأبي القاسم الزجاجي ، ولم يشير محقق الإنباء إلى ذلك^(٣) .

(١) فهرست ابن خير : ٣١٩ .

(٢) إنباء الرواة ١ : ٢٧٤ .

(٣) أقول زيادة في الإيضاح : للأغفال نختان ، أحدهما في مكتبة الأوقاف بطرابلس الغرب رقماً (خزائن ١ رف ٤ رقم ٩٤) وهي مكتوبة سنة ٦٧١ . والنسخة الثانية في دار الكتب بالقاهرة تحت الرقم (٥٢ تفسير) ولعلك عن هذه النسخة نسخة أخرى في دار الكتب أيضاً .

وقد ذكر ابن خير كتاب الأغفال بنسبة للصحيحة في فهرسته (ص ٣١٠) كما ذكر كتاب «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج في ص ٦٤ . -

١٤ - شرح رسالة كتاب سيويه :

لم يذكر هذا الكتاب أحد من ترجموا للزجاجي ولم يشر الباحثون إليه على كثرة عنايتهم بكتاب سيويه وما يتصل به . والذي ذكر هذا الكتاب هو صاحبه نفسه ، فقد أشار إليه أكثر من مرة فقال في كتابه « إيضاح عل النحو » : وفي ذلك احتياج ونظر لم تقصد إليه في هذا الكتاب ، لأننا قد شرحناه في كتاب شرح الرسالة بجميع ما فيه . » وقال في موضع آخر « فأما القول فيما قاله سيويه في كتابه « هذا باب علم ما الحكم من العربية » وما في ذلك من الألفاظ والوجوه ، فقد ذكرته في كتاب أوردته لتفسير رسالة كتاب سيويه . » وقال أيضاً « وقد أشبعت المعنى في تفسير كلام سيويه هذا ، في تفسير رسالته . »

وما ما أراده الزجاجي من هذا الكتاب ، فهو - فيما أعتقد - شرح الصفحات الأولى من كتاب سيويه ، تلك التي بحث سيويه فيها أموراً عامة قبل الدخول في أبواب النحو الجزئية التي تبدأ في الصفحة الثالثة عشرة من الكتاب ياب الفاعل . ويؤيد ذلك :

أ - أنه من عادة الزجاجي أن يستعمل لفظ « رسالة » بمعنى مقدمة الكتاب أو خطبته ، وقد رأينا يستعملها غير مرة في حديثه عن مقدمة أدب الكاتب لابن قتيبة .

- وبمناسبة الخلط بين الزجاج والزجاجي ، يجدرني أن أبه على أن الكثير من فهرس المكتبات العامة ذكرت « كتاب لعلك وألعلك » منسوباً للزجاجي ، حتى أخذ بذلك بعض المخطئين . فمدّه الأستاذ محمد بن أبي شبيب ناشر الجمل بين آثار الزجاجي ، زاماً أنه ينقل عن كتف الفطنون . والحق أن هذا للكتاب من وضع أبي اسحاق الزجاج ، استاذ أبي القاسم الزجاجي ، كما في كتف الفطنون نفسه (١ : ١٤٤٧) وكما في فهرست ابن خلدون (٣٥٢) وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٦) ضمن مجموعة باسم « الطرف الألفية » .

٢ - من المعروف أن كتاب صيبويه لا مقدمة له ، إلا أن في الصفحات الثلاث عشرة الأولى منه ما يصلح أن يكون مقدمة للكتاب ، لأنه بحث في أمور عامة يدخل أكثرها في مقدمات كتب النحو . وأما أبواب النحو بتفصيلها وتفرعها فتبدأ في الصفحة الثالثة عشرة من الكتاب ، حيث يبدأ الكلام على باب الفاعل .

٣ - قول الزجاجي أنه شرح في هذا الكتاب قول صيبويه « هذا باب علم ما الحكم من العربية » بدل على أن هذا الباب من « الكتاب » داخل في « رسالة كتاب صيبويه » وهذا يتفق مع ما أشرت إليه في الفقرة السابقة من اعتبار الصفحات الثلاث عشرة الأولى هي مقدمة الكتاب .

١٥ - كتاب غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنفين :

لم يشر إلى هذا الكتاب غير اثنين ممن ترجموا للزجاجي هما السيوطي وبردكبات . أما السيوطي فقد أشار إليه شاكراً في نسخته حين نقل عنه بعض مجالسه . وأما بردكبات فقد عدّه في جملة آثار الزجاجي .

قال السيوطي في الأشباه والنظائر : « مجلس الخليل مع صيبويه ، ذكره أبو حيان في تذكرته ^(١) وأظنه أخذه من كتاب غرائب مجالس النحويين الآتي ذكره » ^(٢) وقال فيما بعد « مجلس أبي إسحاق الزجاج مع جماعة ، ذكره أبو حيان في تذكرته وهو في كتاب المجالس المشار إليه وأظنه تأليف تلميذه أبي القاسم الزجاجي ^(٣) » وأثبت ظنه ثانية فقال « مجلس ذكر صاحب الكتاب

(١) التذكرة في العربية لأثير الدين محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي المتوفي سنة ٧٤٥ . وذكر في كشف الظنون ١ : ٣٩٣ .

(٢) الأشباه والنظائر ٣ : ١٦ .

(٣) المصدر السابق ٣ : ١٧ .

المسمى غرائب مجالس الفخويين الزائدة على تصنيف المصنفين» ولم أقف على اسم مؤلفه وأظنه لأبي القاسم الزجاجي^(١) . وقد قل عنه ذلك صاحب خزائن الأدب^(٢) ومع أن السيوطي لم ينر لنا السبيل ولم يذكر مادفعه إلى هذا الظن إلا أننا نستطيع إذا رحنا نلتمس له الدليل أن نجد بعض ما يؤيده ويؤكد أن يرجع ظنه .

إذا عدنا إلى ما نقله السيوطي من أخبار هذه المجالس وجدنا :

١ - أن أسلوب الرواية في هذه المجالس هو نفسه أسلوب أبي القاسم في أماليه فكلاهما أسلوب يعني صاحبه فيه بالسند عناية كاملة ، رأينا ذلك حين تحدثنا عن الأمالي ونراه هنا في أخبار المجالس الوارد ذكرها في الأشياء والنظائر (٣ : ٣٥ و ٣٦ و ٣٧) .

٢ - أن الذين يروي عنهم صاحب كتاب المجالس هم أنفسهم أساتذة الزجاجي وزملاؤه الذين روى عنهم في كتبه ؛ فمنهم البيهقي (أشياء : ٣ : ٣٣) والزجاج (٣ : ٣٤) وأبو جعفر الطبري (٣ : ٣٥ و ٣٩) والأخفش (٣ : ٣٧ و ٣٩ و ٤٠) وابن الخياط وابن شقير (٣ : ٤٦) وهؤلاء جميعاً ممن اجتمع الزجاجي بهم وصرح في « الإيضاح » بالأخذ عنهم .

٣ - أن عنوان الكتاب الذي هو « غرائب مجالس الفخويين الزائدة على تصنيف المصنفين » فيه رغبة ظاهرة في الحرص على ذكر الغرائب التي لم يذكرها المصنفون من قبل ، وهذا يتفق مع ما عرفناه من رغبة الزجاجي وحرصه على أن يذكر في مصنفاته ما لم يذكره غيره ، وأن يضمن تأليفه ما لا يوجد في غيرها ، قال عن كتابه « الإيضاح في علل التهم » : « وان أكثر ما أودعته

(١) المصدر السابق ٣ : ٢٩ .

(٢) الخزانة ٣ : ٣٥٣ .

إياه لا يكاد يراه متفرقا ولا مجموعا في غير هذا الكتاب . « وقال عن المسائل التي أودعها كتابه : « منها ما تلقيناه من علمائنا رضي الله عنهم تلقيا ومشاهدة ما لم يودعوه كتبهم ولا يوجد فيها البتة . »

وبعد ذلك فأنا لا أدعي أنني أرضيت العلم أو وصلت بالظن إلى البقين ، إذ ينبغي للجزم في معرفة صاحب كتاب المجالس أن نعود إلى النسخ المخطوطة من كتب المجالس وتقارن بين مجالسها وننظر في تاريخ أصحابها وليس هذا التمهيد الذي أقدم فيه آثار الزجاجي هو موضع هذا التحقيق العلمي الدقيق .

١٦ - الإذكار بالمسائل الفقهية :

وما يجب ذكره بين آثار الزجاجي تلك المسائل المتفرقة التي نقلت عنه في كتب المتأخرين وكان منها ما يتصل بالفقه ومنها ماله صلة بشير الفقه . فما كان منها فقهيا فقد جمعه وأطلق عليه اسم « الإذكار بالمسائل الفقهية » ونقل السيوطي هذه المسائل في الأشباه والنظائر ونحن نذكر مقدمتها لوضوح دلالتها عليها : « قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي التحوي رحمه الله تعالى : أما بعد حفظك الله وأبناك ، وهدانا وإياك ، ووقفنا فيما نحاول ديننا ودنيا للرشاد ، ورزقنا علما تقرر به عملا بقرب منه ويزلف لديه ، إنه مجميع بصير وعلى ما يشاء قدير . فإليك أذكرتني بالمسألة التي سألتني عنها في البيت الذي مثل الكسائي عنه وهو قوله :

فأنت طلاقٌ عزيمة ثلاثا ومن يخرق أعق وأظلم^(١)

وتفسيري وجه الطلاق بالنصب في ثلاث مسائل فقهية من العرية بتلاقي بها التحويون ويسأل عنها متأدبر الفقهاء ، وكنت جمعتها قديما ، منها مسائل ذكر لي

(١) هذا ما قبل حول هذا البيت في الأشباه والنظائر ٤ : ٢٤٠ .

أبو بكر محمد بن منصور المعروف بابن الخطاط النحوي أنه اجتمع هو وأبو الحسن ابن كيسان مع أبي العباس ثعلب على تلخيصها وتقريرها ، ومنها مسائل ذكر لي أن أبا العباس ثعلباً أفاده إياها . ومنها مسائل منشورة جمعت بعضها عن شيوخ شافها ، وبعضها مستنبط من كتبهم ، فأحييت أن أجمعها في هذا الكتاب وأسميه « كتاب الإذكار بالمسائل الفقهية » فاعتمدت ذلك حين نشطتني له ، فجمعتها فيه كلها وما اتصل بها وجانسها ومسألة الكسائي التي جرى ذكرها ، وجعلته نهاية في الاختصار ، وموجزاً غاية الإيجاز ، لئلا يطول فيل ، وبكثر فيضجر ، وبالله التوفيق وهو حسبتا ونعم الوكيل » ^(١) .

ثم أورد بعد ذلك أربع عشرة مسألة كلها في الطلاق .

١٧ - مسائل متفرقة :

ومما تركه الزجاجي مسائل متفرقة جمعها في كتاب بعث به إلى أبي بكر الشيباني ، وكان هذا قد سأل عن بعضها ، فدفعه السؤال إلى الجمع والتأليف . جاء في الأشباه والنظائر : « هذه إحدى عشرة مسألة سأل عنها أبو بكر الشيباني أبا القاسم الزجاجي في كتاب أنفذه إليه من طبرية إلى دمشق فكتب إليه في الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم . حفظك الله وأبقاك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . وقفت يا أخي - جعلني الله فداك - على مضمّن كتابك الوارد مع أخينا حفظه الله ، والجواب عنه يصدر إليك ولا يتأخر بحول الله ومشيئته . ووقفت على ما ضمتته آخره من المسائل التي اشتهت عليك ، وبأدركت إليك بتفسيرها في هذا الكتاب ، لعلّي يتعلق قلبك بها ، ولجعل أخونا حفظه الله الانتفاع بها .

(١) الأشباه والنظائر ٤ : ٢٣٣٤ .

وأتبعها مسائل من عندي منتخبة من ضروب شتى أنت تقف عليها وتذكرني بها ،
ومها عرض لك من أمثال هذا فلا تنقبض في مفاجئتي به فإني أمرت بذلك ،
وأقضي إليك فيه ما عندي على مبلغ ما يقتضي إليه علي إن شاء الله تعالى . » ^(١)
ثم يورد المسائل الإحدى عشرة ونحن نكتفي بإيراد المسألة الأولى منها . قال :
« أما قولهم هذا زيد السعدي سعد بكر ، وقولك كيف يعرب سعد وما
الاختيار فيه . فإن هذه المسألة يختار فيها الكوفيون الخفض فيقولون زيد
السعدي سعد بكر ، قالوا لأن معنى قولنا زيد السعدي : زيد من سعد ، ثم
تقول سعد بكر على الترجمة (يعني البدل) ، لأننا نريد بهذا الكلام الإضافة ،
وليس يمنعون من إجازة نصبه .

فأما أصحابنا البصريون فلا يميزون خفض هذا البتة ، لأن قولنا زيد السعدي
سعد مرفوع وليس بمرفوع وإنما الياء المثقلة في آخره دلت على النسب إليه ،
ولا يكون المضاف إليه أولاً والدال على الإضافة آخرأ . ولعمري ان
النسب إضافة ، لأننا إذا قلنا رجل بكري ونميري ، فإنما نضيف إليه ، ولكنه ليس
على طريقة المضاف والمضاف إليه . وليس هاهنا لفظ خافض ولا مخفوض ، وقد
سمى سيبويه النسب إضافة على الوجه الذي ذكرته لك ، فيقول أصحابنا : أزيد
السعدي سعد بكر بالنصب على أعني سعد بكر ، ولا يمنعون من الرفع على
معنى هو سعد بكر .

ولست هذه المسألة مسطرة لأصحابنا في شيء من كتبهم البتة ، وهي مسطرة
في كتب الكوفيين ، ولكني سألت عنها أبا بكر بن الخطاط وابن شقير فأجاباني
بما ذكرته لك

(١) الاشباه والنظائر ٣ : ٤٨ .

١٨ - الأسئلة الواردة على البسمة وأجوبتها :

أضاف بروكلمان الى مذكره من كتب الزجاجي السابقة كتاباً آخر باسم « يات الأسئلة الواردة على البسمة وأجوبتها » ولم أجد أحداً أشار الى هذا الكتاب سواء .

والخلاصة ان مكتبة الزجاجي هذه لم يبق منها إلا ثمانية كتب الى جانب المائل الصغيرة التي حفظها لنا السيوطي . وقد طبع من هذه الكتب اثنان هما الجمل والأُمالي . ودفت بالثالث منها وهو « الإيضاح » الى الطبع وبدأت بإعداد كتاب « اللامات » وأنا اسأل الله أن يمدني بعونه وتوفيقه لأتابع تحقيق سائر آثار الزجاجي فهي نعم الدخر في النحو واللغة والأدب .

وما كم نماذج عن كتاب « الإيضاح في عل النحو » وشرح مقدمة « أدب الكاتب » وكتاب « اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل » وكتاب « اللامات » للزجاجي :

(يتبع)

مازن المبارك

بسم الله الرحمن الرحيم وبعد استعصر
 الحمد لله ذي البر الرحمة والعطاء الخيلة التي لا يقطع امرها ولا
 عرك ما فيها وعلى الله على سبيل محمد وآله الطيبين الطاهرين
 وسلم سلماء اعلم وفقنا الله وأياك للترنيد والهدى وجننا
 من الغواية والزلزال الى الكتاب المصنف في نور العلم كثير جدا
 كما نعت كل فريق استعصر في التالف والشيخ الذي جاء لونه منه
 حتى لو ان مكلفا تلك الاخطاء فاصف من في واحد من نور
 العلم الحق ليس ذلك عليه ولم يسله الا بشقة وافتاد اكثر
 من غيره في علمه لم يكتفه الاخطاء بذلك حتى هي على قلبه بالله لم
 يفتت في ذلك الفيزا كان الكتاب يسطع عبر محصور في الفروع
 مختلفة غير من ملته والا را متلبه غير متسائله كل نول على
 فركنا عده واختار فيه وعمله من ذلك العلم الذي يعالينه ويرور
 منه للمصنف منه علوا او اعلا لعل عليه او مضاعفة وشكرا له
 فيما وتوسعا من هاهنا الميراثين من لم ينفق له مع هذه المقدمات
 التي كثر في حقون كل من يظن في تصفيه موافقا له قطعا
 ورايا واختار او محلا من ذلك بل اعلا اختر من يظن فيه مخالفا
 له في ضرب من هذه الصروب او في اختيارها فميله عنه ما
 ما رويته الى قال الله وعرفه واذا كان قادرا له مصححا لكل
 ذي بصيرة على ما يستند وعمله الشاير ومعرض مقدار من
 العلم للعلم والتوازن في تعرضه بتصنيف كتاب في من
 من العلم الى من كان من حد او منزل ان ثابره على صفاضه
 طولا غير من حاجه وعمله وعمله وتجدد نفسه في ستر ماسترة
 الايام من حق سرازه وفامير اخباره لانه قبل تعلفه ذلك

كتاب الإيضاح في علل النور للزجاجي

صورة وجه الورقة الثانية وفيها أول الخطبة

(٥٠)

في سر كنهه ومصور خفيه وحيز منج من لجاه الحيد
 عليه واطل في الألية في الإقامة في منس مقامه او محاسبه
 هذا مع تغذرا الامناع عليه من مخاويل ادحاله في حيله الحسب
 والوقوف على عوار ان كثر من غير الناس خافنا قبل ذلك
 وسبع ان يعلم ان اشدت الناس وانهم هم في منس مقامه
 نظر مضادة ومخاضها ركنه الله عز وجل في الاصل السريفة
 من المنافسة في العلم وطلب الترتيب العالي فيه ولزج هذا الحسد محمودا
 في حال الا في طلب العلم لمن لم يردعه منه الى الاية من مطاولة
 نظيره عليه في العلم واعتلا به اياه وعليه فان الهممة عالية عليه
 وملايات بطول جد او انما اوزما ما اليه لتعلم الناطق في هذا الكتاب
 انما نال هذا في تديبه وترتبه ونظمه واحبار حكمة الطائفة
 ومع ازخا لنا اناء وذك لنا جميعه من مواضع غير عليل على مثال
 سفة ولا نجد من على نظم قدومه وهذا كتابات انشائه على
 علل النور خاصه والاحصاح له وذكر انشاز وكيف السطر من
 لطائفه وعواميه دون الاصول لان الكتب المتعددة الاصول
 كثيرة جدا ولم اذكر كتابا الا هذه الغاية من ان علل النور مشروعا
 فيه جميعها وانما يذكر في الكتب هقيب الاصول التي يبرهنها
 مع حلول اكثر منها ونظم الى لعل بعد مقدمتها ما بل محررة مشروعة
 من سائر الخرد منها ما اسم حذاء من كتب العلماء ونسطة
 وهذا ما القاطنة وقرناة ومنها ما اطلقناه من علمنا رضى به
 تلقينا ومناجاة مما لم يود عوه كسهم ولا يوجد فيها الشد ومنها
 مسائل حوت بين الفهم من سلف في مجالس اجتماعها احصا
 بها الكتاب واخير من حشر ذلك مما من البحر من النور في حشر

كتاب الإيضاح في علل النور للزجاجي

صورة ظهر الورقة الثانية وفيها أول الحطبة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلوة على سيدنا محمد وآله وسلم
 قال اخبرنا الشيخ ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي رحمه الله
 قال لما بعد اسمع الله الادب بمقامك وزير الدنيا بعد ملكها
 اقل العلم ما يزداد ايامك عزمك وجرؤك وساموئيل معوطا فانه امر من العلماء
 في كل عصر ينشرون في الترويضات عدة لطائف خيرة عويها ومضائق
 يشيعونها في سواعدهم من العلم وهي احقر العلم عند الرؤساء في ذكرهم وذكره
 من صنف من احدهم من تلك الصنفات على من ورا الايام ونظاويل الارقان
 نلقاه عابره عن سالف وتداوله الذواة ونقله الايام فربما بعد من في
 لما انعم الله على من حسن املك ومحبته من افعال الله والخلق في عالمه الحسن
 وفوق على حمل من حلال في ضرورة من العلم غير تعلم في من هذا العلم الذي
 اتجده وعبره من العلوم فرائد ان اشرح رسالة الاشياء الموسومة بالادب
 الشارح لان منه لانه ذكره لخير الادب عينا واعرض عن شرحها
 نسج في المقال ونسج للعلم من عفت من ما علم من اللغة باستفاه
 وفارقه ومن المحو عليه ومما فيه وشرح ما اوزم الله من اذكاره
 الكتاب اليه من معقود المصادر والاسم والاعلام والادب والادب
 عن الناء والادب من حقا وخلا من المصادر وفست احار الراد
 صلى الله عليه وسلم الذي ذكره في المصنفات ووصف بها ما حاسنها وكرت
 في العالي الساجد الذي حشاها عن السطيفين والماسين وحلا من الساجد
 رضى من نظرها من سواد وجمع جمع دلل من حرا عاين الاخبار
 ليقار حشوه وشرح فاديه والراجل حيا فصاره من تصيد خزا
 طريقا بسجله واسانا ياديه او يدب في البحر من الاحداث
 على فاديه للست طلبة المعرفه هذه الاسماء من فاديه واسرع بعضا
 من الكتاب المنقذ بالرسالة ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق

شرح مقدمة « أدب الكاتب » للزجاجي
 صورة وجه الورقة الثانية وفيها أوله

قال ابن قتيبة أما بعد حمد الله بجميع محامده والسأ عليه ما هو عليه
 والصلوة على رسوله المصطفى على الله فاني رأيت أخيراً اهل زماننا من سبيل
 الادب فاحسين ومن اشبه منطيرين ولا فله فاحسين. قالت له نعم
 أما خربت منكم من الخراء ولا بل له من الخوارب بالقاء لفتة مع الخراء كقولك
 أما ريد فحسبهم وأما بعد الله فسطون نفع ما بعداً بالاسد له وهو مقدم
 مما بعد القاء فالتسوية بينهما يعني من شئ بعد الله عند طلوع
 فالاسم الذي على ما مقدم مما بعد القاء ولا خوارب نيلها بالالاستمالاها
 ما بعد عن حرف الخاء والعجل المخاريق ولا بد للمعلم من فاعل ولذلك ولستها
 الاسماء ذور الانفعال وان وقع بعد القاء فاعل فاصب غير ان الاسم الذي
 بعداً ما ففتة ورأى الاسد احسن نزول في غير هذا الموضع بدخول الفاعل
 فقول أما ريداً فليت وأما بعد الله فاحسب من قال الله عز وجل فاما
 السيم ولا هتر وأما السائل ولا هتر. وفي كلام العرب اما اخوي
 وهي من حبه من خسر من كان وما وذلك قولك اما ليت من طلقا انطلقت
 معك واما ليت سائر اسرت معك قال سوية بعد من ان كنت سائرا
 سرت معك اي لا تترك سائر اسرت معك فموضع ان تصب معك
 له ولم يترك سائر من اللبث واصبرث ورنيت ما عومنا من حيث
 الفعل ولا يشور لها هذه الامشوجة شاعري قلل خبر مصنف حلال خلد
 والمندسويه في اما خراشيد اما انت دافر فابن حوي امر فاشهر المع
 المسمع السند محمد السديده قال ويمل لروم ما فاهنا عومنا اوله
 ارميد ما عومنا من المعجراته قال امعاجه او حذر ان كتب لا يعجز
 مومنا اما لا مومنا وقال غير سوية وكثرت في الشفيع خلوت
 فيها الامناء قال سوية وان اظهرت المعجراته يا شام لم خسر
 فنيها ففتة اما ليت من طلقا ان طالت معك ولا خوارب في الفعل مع السيم

شرح مقدمة « أدب الكاتب » للزجاجي

صورة ظهر الورقة الثانية وفيها أوله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قال أبو القاسم محمد بن اسحق الزجاجي وفرد عليه الحمد
 الملك الحق سبحانه وتعالى والجليل والعزيز والعظيم والسلطان
 الحكيم القديم الاحد الفرد الصمد العليم ذي الاسماء الحسنی
 والصفات العلی الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا خالق الخلق
 بقدرته ومصرته على ارادته ومشيئته عند انقضاء مملكته اجملا
 على ما ايلي وانتم واولي واسئله العزت على طاعته والتمسوا
 وبره ومشيئته على سيد المرسلين وافضل النبيين محمد
 وآله الصديقين الطاهرين هذا الكتاب افردته لشرح استقفا
 اسماء الله عز وجل وصفاته المذكورة في الاثران من احصاها
 وحل احصاها ارواها اهل العلم واستنبطوها بعد
 الرواية فيراهد من كتاب الله عز وجل فاستخرجت منها
 ما يعارض فيها شك ولا يحتاج في الصدق واليقين
 بها على يد كاتب المريد العلماء باللغة العربية باساليب
 كلامية واستقفاه وتصاريفه غير جار على ما صلب
 العرب في ذلك مما استفاضت بالقرآن بين الاسم والصفة
 وبينها العنق كلام العرب ومجاها صفات الله عز وجل
 من حيثها من زهد وكبر من قال بالاستقفا ومن ابي قاضي

كتاب استقفا اسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل
 وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل للزجاجي
 صورة وجه الورقة الثانية وفيها خطبه

كتاب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التزويل
وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل للزجاجي
صورة ظهر الورقة الثانية وفيها خطه

[illegible]

كتاب الالامات للزجاجي

صورة وجه الورقة الثانية وفيها خطبة الكتاب وأوله

كتاب اللامات للزجاجي

صورة ظهر الورقة الثانية وفيها خطبة الكتاب وأوله

نظرة في معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليفل

تلا إلى العربية الأستاذة سرشد خاطر وأحمد حمدي الحياط

ومحمد صلاح الدين الكواكي

(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق)

- ٤ -

رقم المصطلح	رقم المصطلح
1132	Arthropathie nerveuse tabétique
1135	Arthrose, Arthropathie dystrophique dégénérative ou déformante

وأفضل أن يقال "اعتلال المفصل التابي" (١)

وبمعنى بـ (Arthrose) التبدل الطارئ على أحد المفاصل بسائق الشيخوخة والمروم . وترجمه بجمع اللفظة بداء المفصليات ، وترجم Deptrophie بسقطل و (Dégénération) بفساد .

و درج كاتب هذه السطور على ترجمة الكاسفة Ose بتنكس كما هو الواقع التشريحي في هذه الفئة من السلال فيكون ترجمة (Arthrose) تنكس

(١) سبقت الملاحظة على كلمة تابس و Arthropathie الأول في الصفحة ٩٨ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين ، والثانية في الصفحة ٤٧٨ من الجزء الثالث من المجلد نفسه ،

المفصل ، ثم اعتلال المفصل (Arthropathie) بسوء التغذية (Dystrophia) التنكسي (Dégénération) أو المشوه ، وهي الترجمة الكاملة لما جاء في كلمات هذا المصطلح .

أما ما جاء في ترجمة اللجئة : فقام فقد جاء في اللسان الفقام داء شبيه بالتشنج ولا أراه يفيد المعنى المطلوب وكذلك كلمة مَرَقَ في اللسان أيضاً ومَرَقَ الشيء مَرَقًا خَفِيًّا ، وَمَرَقَت مفاصله وانسَرَقَتْ ضَعُفَتْ .
وأما حَتَلٌ وسَقَلٌ^(١) كلاهما يدل على سوء الغذاء وحري بأن يخص بما يعرض للرضع من ضعف وهزال من سوء الغذاء . ولا أظن التنكس إلا أفضل من التذني والفساد^(٢) في ترجمة (Dégénération) .

١١٤٧ قَتَخَ ، مفصل ارتفائي - Articulation de poli-
chinelle, amphiarthrose 1147

وسقط في الطبع من الأصل الفرنسي كلمتان لم تنبه اللجنة إليهما . في الأصل :
Art. ballotante de polichinelle amphiarthrose, articulation mixte

وتكون الترجمة لهذا المصطلح بكامله : مَفْصِلٌ خِيَالٌ الظل^(٣) المتهز

(١) لقد جاء في اللسان الحَتَلُ سوء الرضاع والحال ، وقد أحسنت أمه والمُحَتَّلُ الشيء الغذاء إلى أن قال احتلت الشيء إذا أساءت غذاءه وأحسنت الدهر أساء حاله . أما سَقَلٌ فقد جاء في اللسان أيضاً السَقِلُ الدقيق الدوام الصغير اللجئة الضعيف والاسم السَقَلُ ، والسَقِلُ والوَقِلُ الشيء الغذاء المضطرب الأعضاء الشيء الخلق يقال صبي سَقِلٌ يَتَنُ السَقَلُ .

(٢) في اللسان التَنَكُّسُ قلب الشيء على رأسه ، وقال وقوله تعالى : ومن يُعْبِرْهُ تَنَكُّسَهُ في الخلق معناه من أطلنا صوره تَنَكُّسًا خلقه فصار بدل القوة ضعفاً وبدل الثباب هروماً . وفي اللسان أيضاً والمَدَنِيُّ من الناس للضعيف الذي إذا آواه القيل لم يَبْرَحْ ضعفاً .

(٣) (Polichinelle) عُرِفَ بِخِيَالِ الظل ولعمري العامة في ديار الشام كراكرز ولي مصر أراجوز وكلاهما تصيب لكلمة قره كوز التركي ومعناها البين السوداء .

المفصل المزدوج ، المفصل المختلط . أما للفَخَخُ فقد جاء في القاموس المحيط :
الفَخُ استرخاء الرجلين كالْفَخَخِ والفَخَّة . ولا أراها تفيد المعنى المطلوب
والمفصل الارتقائي أفضل منها .

1156 Arythmie عدم اتساق 1156

والمشهور هو عدم الانتظام وإن شئت اللا انتظام ، وهو ما نراه في كتب
الأقدمين الطبية^(١) أيضاً كما أن مجمع اللغة أقر عدم النظم ونشوز النظم .

1158 Arythmie perpétuelle, عدم اتساق دائم 1158
delirium cordis ثم هذيان قلبي

والأصح أن يقال عدم الانتظام الدائم وهذيان القلب بسبب حركته اللانظامية ،
وقد يفهم من هذيان قلبي هذيان من منشأ قلبي .

1162 Ascaride lombricoïde ، حية البطن ، صقر 1162
دودة خراطينية

وأقر مجمع اللغة اسكارس لمريكويد والصقر الخراطيني .
وعندي أن يقتصر على اسكارس . فقد جاء في اللسان : والصقر داء
في البطن يصفر منه الوجه وانصر حية تلزق بالفلوع فتعضها الواحد والجميع
في ذلك سواء وقيل واحده صقرة وقيل الصقر دابة تعض الفلوع
والشراسيف ، وقيل الصقر حثش البطن . أقول ونحن في غنى عن هذا
كله باقتصارنا على اسكارس أو اسكاريد ، ولا صلة بين هذه الديدان
وصنف الحيات .

(١) قانون ابن سينا الفن الثال للفصل الأول كلام كل في النبض الصفحة ٦٤ من
طبعة روما . وكذلك في الصفحة ٢٦٣ من الجزء الأول من كامل الصناعة
للجوسي .

- 1165 Ascite, hydropéritoine (سقي (سائل الجن) ١١٦٥
استسقاء الصفاق
وأقر جمع اللفظة استسقاء لكلمة (Ascite) . والأفضل أن تخصص كلمة
استسقاء بـ (Hydropisie) أو (Anasarque) شأن ما عملته اللجنة .
أما الصفاق فقد تقدم ترجيحي تخصيصها بـ (Aponévrose) ^(١) .
- 1172 Asile d'aliénés مأوى المجانين ١١٧٢
وتقدمت ملاحظتي على المجانين ^(٢) وأرجع أن يقال مأوى أو ملجأ المجانين .
- 1184 Assainissement تصحيح ١١٨٤
وأرجع أن يقال اصلاح صحي .
- 1200 Assourdissement des bruits اصمام الأصوات ١٢٠٠
والأرجح اصمام المدقنين أو خففتها إذا كان الأمر متعلقاً بالقلب ^(٣) .
- 1202 Assurance contre les تأمين ضد الطوارئ ١٢٠٢
استمهاد ضد الطوارئ accidents du travail
وأفضل أن يقال تأمين ضد الإصابات .
- 1205 Atasie غَيْف (عدم القدرة على الوقوف) ١٢٠٥
وأقر جمع اللفظة العجز عن الوقوف . والأفضل أن يقال لا وقوف قياساً
على ما تقدم في المصطلح ذي الرقم ٧ ^(٤) . لأن المصاب بهذا الخلل لا يستطيع
الوقوف بينما حركات رجله تبقى صحيحة .

(١) الصفحة ٤٧٥ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين .
(٢) الصفحة ٣١٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين .
(٣) الصفحة ٣٠٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين في اللفظة ذات الرقم ٦٩
(٤) الصفحة ٣٠٢ من الجزء الثاني من هذه المجلد (المجلد الرابع والثلاثون) .

أما الغَيْف وقد جاء على وزن فَعَلَ الوزن الذي اختارته اللجنة للدلالة على المرض بالاشتقاق من غَيْف فقد جاء في اللسان غَيْفٌ تَبَغْتَرُ ، وتَغَيْفٌ مشيٌ مشيئة الطَّوَال ، وقيل تغيف مرّاً مرّاً سهلاً سريماً وتغيف النرس اذا تمطف ومال في أحد جانبيه . ولا أرى في هذه الكلمة ما يفيد معنى (Abasie) .

١٢٠٥ رَجَزٌ ، خَطَرَانٌ بتقص Astasie - abasie, 1205

الانتظام الانطلاقي ataxie par défaut

de coordination automatique

وأقر بجمع اللفظة كلمة قُعَاد^(١) .

وأرجح أن يترجم هذا المصطلح بلا خطو ولا وقوف والأناكسيا بفقد الانسجام التلقائي .

أما الرَّجَز فقد جاء في اللسان داء يصيب الإبل في اعجازها ، والرَّجَز أن تضرب رجل البعير أو فخذه اذا أراد القيام أو ثار ساعة ثم تنبسط ، والرَّجَز ارتعاد يصيب البعير والناقة في أفخاذهما ومؤخرهما عند القيام .

وأما الحَطَرَان ففي اللسان: خَطَرٌ يَخْطُرُ اذا تبغتر، والحَطَرُ والحَطَرَان عند الصولة والتساط وهو التناول والوعيد .

ولا أرى في كليهما دلالة على معنى اللفظة المذكورة .

١٢١٥ رَبُو نِيَّابِي Asthme allergique 1215

أقول رَبُو آليرجياتي^(٢) .

١٢١٦ رَبُو قَلْبِي Asthme cardiaque 1216

(١) الصفحة ٣٠٢ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين ، وقد تقدم فيها رأي كاتب السطور في هذه الكلمة .

(٢) الصفحة ٣١٨ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين .

وأرجح رَّبُو قُلَابي نسبة الى القُلَاب وهو علة القلب ، لأن هذا النوع من الربو يبدو في المقلوب (الليل بعله قلبية) .

١٢١٨ رَّبُو الحشائش ، حمى Asthme des foins 1218

الحشائش ، زكام الحشائش fièvre des foins

rhume des foins

أقول رَّبُو الكَلَا ، حمى الكَلَا ، زكام الكَلَا . فقد جاء في اللسان الكَلَا العُشب وَطْبُهُ وَيَابِسُهُ ، وهو المقصود هنا لأن هذا النوع من الربو الأَليرجِيائي منه ما يتأتى عن الرطْب من الكَلَا ومنه ما ينجم عن يَابِسِهِ .

١٢٢١ رَّبُو عَرَضٍ ، رَّبُو مَوْم Asthme symptomatique 1221

أقول رَّبُو عَرَضِي ، رَّبُو كَاذِب (١) .

١٢٢٣ حَرَجُ البَصَر Astigmatisme, astigmie 1223

وأفر جمع اللفظة اللابؤرية والاستجماتية معربة . وهو خلل في طبقات العين من شأنه أن يجعل ارتسام المراتبات على الشبكة لا يتم بشكل قطعي بل بشكل خطي ، مما يجوز استعمال الابؤرية على هذا الخلل .

أما حَرَج (٢) البصر فلا أراه يفي بالمعنى المذكور فقد جاء في اللسان : وَحَرَجَتْ عَيْنُهُ تَحَرَجٌ حَرَجاً أَي حَارَتْ ، وقيل منها أنها لا تنصرف ولا تَطُوف من شدة التَنَظُّر وقال الحَرَجُ أن ينظر الرجل فلا يستطيع أن يتحرك من مكانه قَرَقاً وَتَغَيُّظاً .

(١) المصداق ٤٦٩ من الجزء الثالث من هذه المجلد (المجلد الرابع والثلاثون) في اللفظة ذات الرقم ٧٣٤ .

(٢) أرى في ضبط هذه اللفظة غلطاً مطبوعاً لم تكتب البنية الى تصويبه إذ لم أذكر في اللسان ولا في التاج إلا قوله وَحَرَجَ الرجل أَيَابَهُ يَحْرُجُهَا حَرَجاً حَكَ يَحْرُجُهَا حَرَجاً حَرَجاً .

1232	Ataxique	مُتَهَزِّع ، مَزَعِي	١٢٣٢
1233	Ataxie	مَزَع ، اضطراب الحركة	١٢٣٣

وأقر بجمع اللفظة بتخليج لكلمة (Ataxie) .

أقول ان الترجمة اللفظية لهذا المصطلح هو اللاتنظام أو عدم الانتظام ، وتطلق على الاضطراب البادي في حركة العضلات في الطرفين العلويين أو السفليين . وقد درجت على استعمال أناكسيا . أما تخليج فقد جاء في اللسان : وتخليج المجنون في مثبته تجاذب بيناً وشمالاً والمجنون بتخليج في مثبته أي يتمايل كأنما يجذب مرة يمنة ومرة يسرة ، وتخليج المفلوج^(١) في مثبته أي تفكك وتمايل والتخليج في المشي مثل التخلع . فالتخليج إذن خل خاص بالمشية وذو صلة بالطرفين السفليين بينا الأناكسيا ينبغي أن تشمل اضطراب الحركة في عضلات الطرفين العلويين والسفليين على السواء .

وأما التهزع فقد جاء في اللسان أيضاً اَمَزَع والتهزع الاضطراب ، تهزع الرمح اضطرب واهتز واهتزاع انقناة والسيف اهتزازهما اذا هزأ ، وتهزعت المرأة اضطربت في مشيتها . أقول وإذا دلّ التهزع على الاضطراب في الحركة فلا أراه يني بالمعنى المقصود من أناكسيا .

1234	Atélectasie. état	مُؤَمَّود الرئة ، حالة جنينية	١٢٣٤
	foetal du poumon.	لرئة ، ذات الرئة الهامشية	
	pneumonie marginale; apneumatosi		

(١) ودوج كاتب الطور عن استعمال التخليج في المشية أو المشية التخلية بدلالة على (Demarche en fauchant) وهي المشية البادية في المفلوج .

وأقر مجمع اللغة لا تعد ترجمة لـ *Atelectasie* ، ودرجت على استعمال كلمة
الخنماص^(١) فأقول في ترجمة هذه الألفاظ : الخنماص ، حالة جنينية للرئة ،
ذات الرئة الهامشية واللا رئوية (وقد أممت اللجنة ترجمتها) .

١٢٣٩ 'فتور ، لا سَعْتَرِيَة Athymie 1239

وأرجع أن يقال لا شعور ولا نومة . فالكلمة الأولى هي الترجمة الحرفية
لـ (*Athmie*) في معناها الأول . أما إطلاق الغدة السَعْتَرِيَة عن (*thymus*)
فلا أظن الكلمة مشتقة من السعتر ، وهي النومة وقد أقر مجمع اللغة هذه الكلمة .

١٢٨٤ غير مثالي Atyrique 1284

وأرجع لا نموذجي .

١٣٠٩ خمج ذاتي Autoinfection 1509

وأرجع أتان ذاتي وعنونة ذاتية^(٢) .

١٣٣٦ داء لا حَيَمِينِي Avitaminose 1336

أقول عَوَز الفيتامين ولا أرى لزوما لاستعمال حَيَمِين عوضاً عن فيتامين
الكلمة الدارجة في جميع اللغات .

(١) في اللسان : والخمص سخامة البطن وهو دقة خلقتة ورجل مخمصان وخميص
المشا أي ضامر البطن إل أن قال والخمص الجُرْحُ والخميص الجُرْحُ يخمص
خمرصاً والخمص بالخله والحاء ذهب ورده كخمص وخمص .

(٢) للصلة د ٩ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

حرف B

- 1383 Bacille du charbon عَصِيَّةُ الْجَمْرَةِ الْمُشَوَّمة symptomatique ١٣٨٣
وأرجع عصية الجَمْرَةِ العَرَضِيَّةِ ما دُمنا نطلق العَرَضَ على (Symptome) .
- 1384 Bacille diphtérique عَصِيَّةٌ دِفْثَرِيَّةٌ (عَصِيَّةٌ ١٣٨٤
كليبس - لوفلر) (de Klebs - Loeffler)
وأرجع عَصِيَّةٌ دِفْثَرِيَّةٌ أو خَانَوْقِيَّةٌ ، وأن نَحْمَصَ غِشَاءَ لترجمة
(Membrane) .
- 1386 Bacille pseudodiph- عَصِيَّةٌ مُشَبَّهَةٌ بِالدِفْثَرِيَّةِ ، عَصِيَّةٌ ١٣٨٦
térique شِبْهَ دِفْثَرِيَّةٍ
وأرجع عَصِيَّةٌ دِفْثَرِيَّةٌ كاذِبَةٌ .
- 1397 Bacille du rouget عَصِيَّةُ حَمْرَةِ الْخِنْزِيرِ ١٣٩٧
de porc
والصَّحْبُ عَصِيَّةُ حَمْرَةِ الْخِنْزِيرِ لِأَنَّ الِاسْمَ الْفَنِيَّ لِهَذِهِ الْعَصِيَّةِ هُوَ
(Bacillus legripelas mès)
- 1409 Bacilles anaérobies عَصِيَّاتٌ انْتَدَعُصُ اللَّاهَوَائِيَّةِ ١٤٠٩
de la putréfaction
(والمولدة للغاز) . (provoquant la formation de gaz)
وأرجع عَصِيَّاتُ التَّفْخِخِ اللَّاهَوَائِيَّةِ بِاعتبارِ التَّفْخِخِ كَلِمَةً دَارِجَةً وَمَعْرُوفَةً .
- 1415 Bacillus botulinus عَصِيَّاتٌ بُتُولِيْنِيَّةٌ ١٤١٥
وأقرَّ بِمَجْمَعِ اللَّفْظَةِ بِاسْمِ التَّسْمِ الْحَبَارِيِّ ، بِاسْمِ التَّسْمِ اللَّفَاقِيِّ .
وَدَرَجَتِ عَلَى اسْتِعْمَالِ التَّسْمِ الْوَشِيْقِيِّ تَرْجِمَةً لـ (Botulisme) وَهُوَ الْإِنْسَامُ
الْإِنْسَامُ النَّاجِمُ عَنْ أَكْلِ الْحُمُومِ الْمُقَدَّدَةِ (الْمُخْفُوظَةِ) . فَقَدْ جَاءَ فِي الْإِنْسَانِ :

الوشيقُ والوشيقةُ لحمٌ يُغلى في ماءٍ ملح ثم يُرفع ، وقيل هو أن يُغلى إغلاءً ثم يرفع وقيل يُقدد ويحمل في الأسفار وهي أبقى قديد .

١٤١٨ عُصَيَات خَازِبَة Bacillus oedematiens 1418

وأقر جمع اللغة لهذه اللفظة باسيل اوديمي . والوذمة كلمة شائعة تعريب (Oedeme) استعملت في الكتب القديمة وأرجع ابقاءها فأقول عصيات موزمة .

١٤٢٠ عُصَيَات سُؤْمِيَة Bacillus prodigiosus 1420

وأقر جمع اللغة الباسيل العجيب . لأن المعروف عن (Prodigieux) أنه العجيب أو الخارق للعادة والطبيعة ولا أظن أن لهذه الكلمة من صلة بالشوم . لهذا أرجح أن يقال العُصَيَات العجيبة .

١٤٣٢ مُثَبِّتَة الجراثيم Bactériostatique 1432

وأرجح موقفة الجراثيم ، لأن من شأن هذه الفئة من العقاقير أن توقف نمو الجراثيم وتكثرتها لا أن تثبتها ، والتثبيت يخص لـ (Fixation) .

١٤٨٥ داء الزرقيات Balantidiose (balantidiase) 1485

وأقر جمع اللغة معرباً هذه اللفظة بالبالاتيدية وهو الأرجح .

١٥٣٢ لَحْيَة البال ، بال Barbe de baleine, baleine 1532

وأرجح أن يقال ريش الحوت أو البال اذا جنحنا الى التعريب والمقصود من هذه اللفظة كما جاء في معجم لاروس النهايات الدقيقة من الصفحة القرنية البادية في فم الحوت والتي تتخذها لضبط صفار السمك . وجاء في الترجمة الانكليزية لهذه اللفظة (Whobbom) ومعناه عظم الحوت وفي الألمانية (Feochbén) ومعناه عظم السمك .

١٥٤١ صد المائع الدماغى Barrière encéphaloliquidienne 1541

وأرجح المائعة الدماغية السائلة .

١٥٥١ أسمر الى السواد Basané 1551
أرجع أسمر . ففي اللسان والشقرة والشعر لون يضرب الى السواد
فوق الأدمة ورجل أسمر وامرأة سغراء ، وجاء في ترجمة اللفظة الانكليزية
(Sunburned) وهي الومعة فقد جاء في اللسان أيضاً الومعة الأثر
من الشمس .

١٦٢٩ حزال رزي Béri - béri, Kakke 1629
وأقر بجمع اللفظة البري ، وتشير هذه اللفظة الى علة مردها الى عوز
فيتامين ب ، وقد يفهم من حزال رزي أن أكل الرز هو الباءث عليها
وصلتها بالرز هو من الاقتصار على الغذاء به وخلوه من هذا النوع من الفيتامين
ليس إلا .

١٧١٣ (٤) حصار التشجرات Blocage des arborisations 1713(4)
وأفضل حصار الغصينات .

١٢٥٦ انسام بالبخص ، انسام فصيدي Botulisme, allantiasis 1756
وأرجع الانسام الوشيقي أو الانسام بالوشيق (ينظر الى ماورد في اللفظة
ذات الرقم ١٤١٥ آنفاً) بعد أن سبق للجنة أن استعملت الانسام النفاقي في
ترجمة تلك اللفظة .

أما البخص فلا أراه يعني بالمراد ^(١) وكذلك الفصيد ^(٢) .

(١) في اللسان : البخص في العين لحم عند الجفن الأسفل ، والبخص لحم
القدم ولحم إرئيسين البير ولحم اصول الاصابع مما يلي الراحة . إل أن قال :
هو لحم يخالطه بياض من فساد يحل فيه قال مما يدل على ان اللحم خالطه
الفساد . اقول وهذا لا يدل على انه اللحم المتدد والمحافظة شأن الحال في
كلمة الوشيقي .

(٢) في اللسان : والفصيد دم كان يوضع في الجاهلية في موى من قصير عرق البير
ويترك وكان أهل الجاهلية يأكلونه ويطعمونه الضيف في الأزمة .

١٧٥٩ صُنْبُور Bouche d'égout 1759

وأرجع الكَرِيَّاس ، ومدلول اللفظة الفرنسية المجري أو النحلة البادية في الشوارع والمتصلة بالكَنيف (السياق) وعلى ذلك كانت الترجمة الانكليزية لهذه اللفظة (Street - grelly) وترجمتها مجري الشارع وكذلك اللفظة الألمانية (Strossen eimlauf) أيضاً .

فقد جاء في اللسان : والكَرِيَّاس الكَنيف ، وقيل هو الكَنيف الذي يكون مُشرفاً على سَطْح بقناة الى الأرض . أما الصُنْبُور فقد جاء في اللسان فم القناة (دون أن تخصص بالكَنيف وربما كانت القناة الرمح أو العصا) ، كما أن هذه الكلمة معانٍ عديدة أخرى .

١٧٨١ هُبُوُ Rouffée de chaleur 1781

وأرجع هَيِّيب الحرارة أو فورتها . وهو مائشعر المرأة القاعد^(١) من حس الحرارة المبالغت بين حين وآخر في بدء انقطاع طمثها ويعرف بين العامة بـ (الهبله والمهلات) . وهي ثورة من الحرارة تدوم مدة قصيرة . ولم أجد في الهُبُوُ^(٢) ما يدل على هيب الحرارة المذكور .

(١) عجم اللفظة وفي اللسان : وقَعَدَت المرأة عن الخِيَض والولد تَعَمَد مُضوداً وهي قاعد القطع عنها والجمع قواعد .

(٢) في اللسان : الهَبَاءُ التراب الذي تطيره الريح ، وما دَقَّ من التراب ، وهما الرماد يهبر احتلط وحمَد ، إذا سَكَنَ لَهَبُ النار ولم يطفأ تجرما نيل سَخَدَتِ إِنْ طَفِئَتِ البُتَّةُ قِيلَ سَخَدَتِ ، فإذا صارت رَمَاداً قِيلَ هَا يَبُو وهو هَابٍ ، ال أن قال الهَبَاءُ في الأصل ما ارتفع تحت متابك الخيل ، والنهي المُنْبِت الذي نراه في ضوء الشمس تشبهها اباء ال أن قال الهَبُوُ الظلم .

- 1808 Boule émotive أو لُقمة هَرَعِيَّة ١٨٠٨
ou hystérique ,
كرة هَرَعِيَّة globe hystérique
أقول لُقمة انفعالية أو لُقمة هِستَرِيائية ، كرة هِستَرِيائية ^(١) .
- 1811 Boulimie, fringale سَمَار ، ضَوْر ١٨١١
وأرجح أن يقال بوليميا تعريفاً أو الشهوة الكليية .
فدلالة اللفظة الشعور بالجوع الشديد الذي لا يشبع به المصاب شأن ما يبدو
في بعض الملل العصية الخنية والنفسانية .
واقترح بجمع اللغة الاستجاعة (الجوع البقري ، الجوع الكبي) هذا ولا
شك أن السمار والضور كلاهما بفضل على الاستجاعة ، إلا أن الأمر لا يتعلق
في الحقيقة بالجوع الحقيقي بل الأمر جوع كاذب والأحرى شعور بالجوع
لا يستند إلى أساس يبرره ، لذا أرجح الشهوة الكليية وبوليميا ، اللفظتين
التي استعملهما من القديم أطباء العرب في مؤلفاتهم ^(٢) .
- 1894 Bruit cardiaque صوت قلبي ، نَفْخَة قَلْبِيَّة ١٨٩٤
souffle cardiaque
وأرجح دقة القلب ^(٣) ، نَفْخَة قَلْبِيَّة .
- 1896 Bruit clangoreux صوت رَتَان معدني (في ١٨٩٦
التهاب الوتين المزمِن)

(١) ينظر إلى الصفحتين ٣٠٠ و ٣٠٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين
من هذه المجلد .

(٢) الجزء الأول من كامل للصناعة ٢٣٥ والكتاب الثالث من قانون ابن سينا
الصفحة ٣٣٩ (فصل في الجوع واشتداده وفي الشهوة الكليية) .

(٣) الصفحة ٣٠٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلد في
اللفظة ذات الرقم ٦٩ .

و درجت على استعمال اللفظة المذوية مادام الأمر عائداً للقلب مترجماً
(Clangor) بالدويّ وتاركاً الرنين والرفة لترجمة (Résonance) شأن..
ما فعلته اللجنة في ترجمة هذه اللفظة (رقم ١١٢٦٤) .

١٩٠٦ صوت الطاجن المشقوق Bruit de pot fêlé, 1906

صوت معدني bruit métallique

وأرجع صوت الحُق المشقوق ، صوت معدني ، لأن اللفظة تشير الى الصوت
الصادر عن الحُق الآنية المصنوعة من الفخار .

حرف C

١٩٣٣ مرّحاض يلقى فيه التراب الفخمي آلياً Cabinet auto-
matique à la tourbe 1933

وأرجع 'حجرة التراب التلقائية لتخصيص المرّحاض لبيت الخلاء .

١٩٣٤ 'غرفة معاينة Cabinet de consultation 1934

وأرجع غرفة الاستشارة .

١٩٣٩ حارّض ، حرّضي Cachectique 1939

١٩٤١ حرّض Cachexie 1941

وأفر جميع اللغة الدتف وهي الكلمة الشائعة بين الأطباء ، لذلك أرجع
ابقاءها ، فأقول في اللفظة الأولى دتفي وفي الثانية دتف .

١٩٤٣ حرّض سيّلي ، حرّض الأنحاد Cachexie stru- 1943

الدرقي ، خرب مخاطي بضمي myprive, c. thyrooprive

myxordème opératoire

وأرجع دتف سيلمي ، دتف حرمان الدرق ، ودّمة مخاطية بضمية .

١٩٦١ 'بنين ، مثلث الخيل كزانين Caféine, triméthylxanthine 1961

وأرجع تعريب اللفظة فأقول كاثنين أو كفتين شأن ما أفره مجمع اللغة ، ونرى منيل كزاتين ترجيحاً أو منيل كزاتين الثلاثي .

١٩٨٠ الكالسيوم (فحمات) ، فحمات Calcium (carbonate de)

الكيلس ، انظر طباشير مهياً carbonate de chaux

وأرجع كربونات الكسيوم وكربونات الكيلس .

٢٠١٤ حرّة ، سُمر Calorie 2014

وأفر مجمع اللغة السّومر وأرجع تعريب اللفظة فأقول كالوري أو كالوريا .

٢١٢٩ صفة غالبة ، طبع غالب Caractère dominant 2129

ودرجة على استعمال صفة سائدة .

٢١٣٠ صفة غالبة أو حاكمة في مرض Caractère prédominant d'une maladie 2130

وأرجع هنا الصفة الراجعة في مَرَض .

٢١٣١ صفة مكوّنة ، طبع مكوّن Caractère récessif 2131

وأفر مجمع اللغة صفة قهريه ودرجة على ترجمة (récessif) بمنقهر فأقول صفة منقهرة .

٢١٣٢ صفة شقية ، طبع شقي Caractère sexuel 2132

٢١٣٢ صفة شقية بدئية Caractère sexuel primaire 2132

٢١٣٢ صفة شقية ثانوية Caractère sexuel secondaire 2132

وأفر مجمع اللغة صفة جنسية وهي اللفظة الشائعة بين الناس

٢١٣٣ فحمات التوتياء الطبيعية (مشوبة) Carbonate de zinc naturel (impur) 2133

وأرجع كربونات الزنك الطبيعية (مشوبة) .

- ٢١٣٥ فحم Carbone 2135
وأرجع كربون تعريباً تاركاً فحم لـ (Charbon) .
- ٢١٥٣ 'سدفة' Cardia 2153
والمعروف عن اللفظة الفرنجية انها تعني قِوَاد المعدة أو القِوَاد ، وهذا ما أقره
مجمع اللغة وكتب التشریح قديماً وحديثاً نستعمل كلمة قِوَاد وهي الفوهة الكائنة
بين المريء والمعدة ، ولم أجد في كتب اللغة التي بين يدي ما يشير الى أن
السدفة تعني قِوَاد المعدة .
- ٢١٥٢ 'مرض قلبي' ، 'قُلاب' Cardiopathie 2157
وأرجع اعتلال قلبي^(١) تاركاً القُلاب لـ (Maladie cardiaque) .
- ٢١٥٨ قُلاب درقي Cardio - thyroïse 2158
وأرجع انسداد درقي قُلابي ، لأن خال القلب يتأق عن الانسداد الدرقي
لا من الغدة الدرقية مجد ذاتها .
- ٢١٦١ فاقة Carence 2161
وأرجع عَوَز .
- ٢١٦١ فاقة غذائية Carence alimentaire 2161
عَوَز غذائي .
- ٢١٦١ (٢) بفاقة الهويلينات (داء) Carence en protéines (2) 2261
(maladie par)
أقول داء عوز البروتينات .

(للبحث صلة) الدكتور حسني صبح

(١) الصفحة ٤٧٨ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة
في اللفظة ١١٣١ .

کتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ٨ -

الفصل العاشر

القول في قوة التخيل

والقوة التخيلية هي التي تدرك بها معاني المحسوسات ^(١) . وقد اضطرب بالناظرين نظرم فيها . فمنهم من رآها حساً ^(٢) ، ومنهم من رآها ظناً ^(٣) ، ومنهم من حكم عليها بأنها مركبة من رأي وحس ^(٤) ، ويؤمن أن هذه القوة ليست واحدة من القوى ولا مركبة منها ^(٥) . لأن ^(٦) ما يصدق على واحدة منها بالكل

(١) راجع أرسطو : Arist. : De An. III. 3. 427 a 17; II. 12. 424 a 13 : ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، احوالي ص ٦٢ من ١٧ ؛ ١٥٠٦٥ ؛ حيدرآباد : ٥٧ و ٦٢ .

(٢) المخطوطة : نفساً .

(٣) عرف ابن سينا الطين ، قال : الشفا ، ورقة ١٩٢ الف ٣ : والظن هو الاعتماد المميل إليه مع تجوز الطرف الثاني .

(٤) راجع أرسطو : Arist. : De An. III. 3. 427 a 21 : وابن سينا عرف الرأي بقوله (شذا ، ورقة ١٩٢ الف ٣) : فالرأي هو الاعتماد المجزوم به .

(٥) أرسطو : Arist. : De An. III. 3. 427 b 17; 428 a 25 : ابن رشد تلخيص ، احوالي : ٥٩ ، حيدرآباد ، ٥٣ ، والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٩ الف ١١ :

پس باید کرد مردمانی را که ویم راقوتی پنداشتند از رای وحس محمود مرکب ، وگفتند چنانست از آنکه اگر مرکب بودی از حس و رای محمود بایستی که حس و رای محمود کار کردندی در یک چیز در سپید و سیاه و مانه چنین می بینیم

(٦) المخطوطة : لا ما يصدق .

بكذب على الجزء من الآخر ، وبأنتلف في الشكل الثاني من الضرب الرابع منه وينتج الثالث الجزئي ^(١) .

أما الظن مقامه أن يصدق عند من يظنه ، ومن التخيل عند من هو له لا يمكن أن يصدق ، مثل أن يتخيل أن هذا الفرس ذو قرنين وهذا ما لا يظن ولا يمكن وجوده عنده ^(٢) .

وأما الحس فإن كل حس فمحسوسه موجود ^(٣) عند ما يحسه . وليس كل متخيل كذلك ^(٤) ، بل قد يتخيل ما قد تلف ، وما لا يمكن أن يحسه . ولا مركب من هذين . وذلك بين بما قلناه مما هذه القوة .

فنقول : أما إنها ^(٥) قوة تدرك الأمور التي تقدم الإحساس بها - وهبها ^(٦) غاية عنا إما بفسادها أو بكونها غير معرضة للمدرك - فذلك بين بنفسه .

(١) ولإنتاج الشكل الثاني من النياس يجب أن تختلف المدمتان في الكيف (أي في الالبات والنفي) وأن تكون المدممة الكبرى كلية ، والأقسام المنتجة من أربعة . والقسم الرابع يشمل للصغرى جزئية سالبة ، والكبرى كلية موجبة ، وينتج مثل القسم الثالث ، سالبة جزئية ، فهو بعض الانسان ليس بابيض ، وكل الكابيزي ابيض ، بعض الانسان ليس بالكابيزي . او ، بعض الخيالات ليست بثابتة ، وكل الآراء ثابتة ، بعض الخيالات ليست بآراء .

(٢) راجع أرسطو : Arist. De : An. III. 3 427 b 17 : ابن رشد : تلخيص ، امواني ، ٦٠ ، حيدر اباد .

(٣) أرسطو : Arist. De An. II. 5. 417 b 20 - 24

(٤) ايضاً : De An. III. 3 428 a 6 : ابن رشد ، امواني ١٠٠٥٩ . حيدر اباد .

(٥) النطوطة : أن .

(٦) النطوطة : وجه .

وهذه القوة ليست للإنسان فقط بل وفي أكثر الحيوان غير الناطق^(١) ، وليس للحيوان غير الناطق قوة أشرف منها . وسنبين ذلك فيما بعد .
وهذه القوة تعرض لما أن تصدق وتكذب بل في كثير من الأمور كاذبة^(٢) ، وهذه القوة بالطبع إذا كانت صادقة فإنها ضرورة تدرك الأمر وهو بالحال الذي أدركه الحس . ويثبت أن الأمور التي أدركتها هذه القوة ليست المحسوسات^(٣) (ورقة ١٦٢ الف) فإنها^(٤) تدرك محسوسات قد فسدت ، وأيضاً فلا يمكن أن تدرك بالذات المحسوس إلا بعد أن يتقدم إدراك الحس له إلا بعرض . وقد تلخص كيف ذلك في الثانية من كتاب الحس^(٥) .
وقد قيل^(٦) من قبل أن الحس المشترك قد يبقى فيه أثر المحسوس بعد فيبته

(١) قارن ابن سينا : الشفا ، ورقة ١٦٠ الف ١٢ : افعال النفس ثلاثة : افعال يشترك فيها الحيوان والنبات كالغذية والتربية والتوليد ، وفعال يشترك فيها الحيوانات كلها ولا حظ فيها للنبات مثل الاحساس والتخيل والحركة الارادية ...
(٢) راجع أرسطو : De An. III 3. 428 a 11 : ابن رشد : تلخيص ص ٦٠ ، حيدر اباد . . .

(٣) قارن تدبير المتوحد ، تحقيق أمين بلاسيوز ، ص ٧٢ : واما التي توجد عن الفعل الفاعل فكما صادقة بالذات لا بالعرض ، وكذلك ما يوجد عن الفكر الصادق ، وهذه الصور ليست صور الأجسام بينما فتكون خاصة ، ولا هي أيضاً مجردة عن الهيولى فتكون معقولات عامة ، وليس توجد لها النسبة الخاصة ولا توجد لها حالات المعقولات انما ، بل توجد بين الصور الخاصة والمعقولات .
(٤) المخطوطة : فانها .

(٥) قارن أرسطو : Arist. : De Memoria et Rem. I. 449 b 31; 450 a 10 sq. : وهذه الرسالة قد ظهرت في جوامع ابن رشد العربية وكذلك في السن العربي وفي مخطوطات اقتراجم العربية التي وجدت عنها كأنها كتاب ثان من كتاب الحس والمحسوس لأرسطو ، الفهر : Averroes Cordubensis Compendia Librorum Aristotelis qui Parva Naturalia Vocuntur edd. Shields — Blumberg (The Medieval Academy of America, Cambridge MSS. 1949). P. 47.

(٦) المخطوطة : كان .

عنه^(١) . ولكن تبين أن ذلك الأثر الذي قيل هنا هو الإحساس فإن
الحس المشترك مع قوته على قبول صورة المحسوس قوة على التمسك^(٢) بها ؛
وبهذه القوة إذا صارت فعلا يعرض لكثير من الناس أن يرى شخصا من غير
أن يكون ذلك الشخص حاضرا^(٣) . وهذا يبين في المبرسمين الذين يعرض لهم
في البقطة^(٤) ، فقد يعرض لبعض الأمتزجة أن يكون ذلك صادقا^(٥) ،
كما يعرض لذوي الحس المحمود . وذلك أن الحس^(٦) المشترك إذا قوي وضعف

(١) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ١٣٠٦٤ ، حيدر آباد ٥٩ .

(٢) راجع أرسطو : 460 b 1 : 459 b 8-9 : De Somniis. 2. 459 b 8-9 : ابن رشد :
الاهواني ص ٦٣ .

(٣) أيضا : De Memoria I. 450 b 18 : De Somniis, 3. 461 b 1 .

(٤) أيضا : 30 - 29 : 460 b 29 : De Somniis. 2. 458 b 26 - 29 ويقول الفارابي
وابن سينا : « المررون والمررون » في موضع « المبرسمين » واللفظ
الآخر شائع في كتب المتأخرين (انظر الهدية السنية للفضل الحق
الحيرابادي ، ص ١٧١ : ولعل الفطرة السليمة يحكم بأنه لا يفرق الانسان بين
مشاهدة صور يدركها بحواسه الظاهرة وبين مشاهدة صور يتأملها في الرويا
أو عند الابتلاء بالبرسام ، وص ١٧٢ : وكذا الحال في الرويا وبالجملة فقال
تلك الصور المتأملية للمبرسم أو النائم كحال الصور المتأملية للمصيح اليقظان
في كونها مدركة جسمية ، وفي ص ١٧٧ : وفيه ان المتأملية قد تكون
من دون الحضور عند الحواس كما في مشاهدة المبرسم والنائم .) ، والبرسام
للهاب في الحجاب الذي بين الكبد والقلب ، وانظر المدينة الفاضلة تحقيق ديتريشي ،
ص ٥٣ ، والنفا (ورقة ١٨٠ - ١٩٠ : والصورة اذا كانت في الحس المشترك
كانت محسوسة بالحسية فيها حتى اذا اضلع فيها صورة كاذبة في الوجود احس
كما يعرض للمررون .

(٥) لعل ابن باجة اشار الى كيفية « الهذيان » (Hallucination) ، انظر
ابن سينا ، الشفا ، ورقة ١٨٣ ب : فإن غفلت الخية من الجهتين جميعا
ضف فلها ، وإن زال عنها التخل من الجهتين كتبها كما يكون في حال النوم ،
أو من جهة واحدة كما يكون عند الأسراض وكما عند الحروف
ووقوع امر جدانية فتلوح الصور التي في الصورة في الحاس المشترك ،
فترى كأنها موجودة خارجا .

(٦) التطوطة : حس .

مزاج الحاسة انتقلت الحاسة عن الحس المشترك ، وقبلت الأثر ثم تحرك عنها
أفواه الفام فقبل الأثر وصار كالشبع^(١) ، ثم عاد الأثر فحرك الحاسة ،
وحركت الحاسة الحس المشترك ، وقد تنخص ذلك في الثانية^(٢) من كتاب
الحس^(٣) وتبرهن السبب فيه .

وهذه الإحساسات هي معاني المحسوسات ، ومن شأن المعاني كما تبين في
الحس أن تحرك الميول التي هي قابلة بالطبع . فهي إذا كانت احساسات
وفارقت^(٤) < كانت > أخرى بذلك . وبين أن الميول^(٥) أخرى بجانب
للحس المشترك موجودة ، فتحركها الإحساسات فتدرك معاني المحسوسات .
وليس يمكن أن تصير الإحساسات بعينها فيها ، فإن ما لا ينقسم لا يتحرك .
وأيضاً فلا يمكن ذو الميول الميول إلا على ذلك النحو بأن يحرك قوة أخرى
هي ميول له . وهذه الأنواع من الميول ليست الميول الأولى بل هي متباينة لها ،
كما تبين ذلك قبل . بل يقال على كل واحد منها ميول باشتراك . فهذه
هي القوة المختلطة .

والخيال يقال بتقديم منه^(٦) وتأخير ، وهو يقال بالجملة على محاكي الشيء .
فإذا قيل بتقديم قبل على ما يحاكي شخصاً شخصاً من أشخاص المشار إليه . وقد
يقال على ما يحاكي النوع ، وقد يقال على شخص النوع من جهة ما يحاكي ذلك

(١) راجع أرسطو : ١١ - ١٠ - ١٠٦٢ a 10 : De Somn. 3. وابن سينا ، الشفاء ،
ورقة ١٨٣ ب : ولهذا ما يرى الإنسان المجنون والخيال والضعيف والنائم
أشباحاً قابعة كما تراها في حال السلامة بالخيال ويسمع أصواتاً كذلك .

(٢) المخطوطة : الثامنة .

(٣) قارن أرسطو : 25 - 25 - 460 b 5 : De Somn. 2.

(٤) أيضاً : 27 - 25 - 459 a 25 : Arist. 2.

(٥) المخطوطة : ميول .

(٦) المخطوطة : منها .

النوع^(١) . ولذلك يسمي فلاطن المحسوسات خيالاً . وقد يقال على غير هذه الانحاء . ويثبت أن الاحساسات خيالات انجسيات ، فالقوة^(٢) التي تدرك بها هذه الخيالات هي القوة التي بها تتخيل . وهذه الخيالات متى لم تفعل في هذه القوة ولا حركتها لم يوجد الحيوان متحركاً بها ، وإن الحيوان يتحرك حركات كثيرة من جهات كثيرة . فإن الحيوان يستن . ويحف من جهة أنه من الاسطوانات من طريق أنه ذو كيف^(٣) . (ورقة ١٦٢ ب) فبالقوة ينتقل من جهة أنه ذو أين فهو يستجبل بالقوة الانفعالية . وينفعل^(٤) بالقوة المنفعلة ، ويبصر بالقوة الباصرة . فبعض هذه في الجسد كله مثل القوة الانفعالية ، وبعضها في عضو خاص مثل القوة السامعة . وكذلك أيضاً يتحرك بالقوة المتخيلة .

ولما كان كل متحرك فله^(٥) محرك كانت هذه القوة محركها في الاحساسات الموجودة في الحس المشترك وتتحرك هي . فأما الذي عنه يتخيل شيء بعد شيء في وقت بعد وقت فهو^(٦) المحرك الأبعد ، وهل هو واحد أو أكثر من واحد فقد تلخص الأمر فيه في الثانية من كتاب الحس^(٧) . فقد تبين ما القوة الخيالية ، وما التخيل في الجملة .

(١) قارن زيلر (Zeller) : فلاطون (Plato) ، ترجمة البين وكدوين

(Alleyne and Goodwin) ص ٢٣٩ : والجمهورية : Republic X. 596 A

Ritter. II. 306; 303 A 3

(٢) الخطوطة : بالقوة .

(٣) قارن أرسطو : (qualitative Change) De Somnis. 2. 459 b 1—5 .

(٤) الخطوطة : سفل .

(٥) الخطوطة : فانه .

(٦) الخطوطة : وهو .

(٧) قارن أرسطو : (The residuary movements are like these) Arist. J. 461 b 16—24

والخيالات وهي كال هذه القوة هي في هذه القوة نظير للاحاساسات في الحس المشترك ، ويثبت أن صور الموجودات - اذا كانت خيالات - أشدّ تبرزاً (١) عن المادة من الإحساسات ، وإن القوة التخيّلة نسبتها إلى القوة الحاسة هذه النسبة إلا أنها غير متبرية جملةً عن الصور الهولانية من جهة ما هي هولانية . ولكنها بعيدة في الرتبة عنها . لأن هذه قد تفعل وإن لم تكن تلك حاضرة موجودة ، لكنها في وجودها مفتقرة إلى تلك ضرورة . فإن كان خيال يوجد عن غير تلك فذلك من غير جنس هذه ، وقد تلخص كيف الأمر فيها في مواضع .

والقوة التخيّلة لا تتحرك حتى تتحركها الإحساسات (٢) ، ومتى لم يكن إحساس لم تتحرك هذه القوة ، وإذا لم يوجد ذلك الإحساس لم تفعل فيه ، فلذلك بعرض لها - إن قيل فيما لا يتقسم - انتقال (٣) من شيء إلى شيء . فأما كيف ذلك فقد تلخص في الثانية من الحس . فلذلك متى شغل الحس المشترك ، أو أترلناه بطل ، لم تفعله القوة التخيّلة وكانت قوة فقط . على ما يظن أنه يوجد ذلك عندما يحس بالأشياء الهائلة في (٤) العشاء (٥) . فلذلك عدت القوة التخيّلة في جملة القوى الهولانية . ولذلك صار فعلها في النوم (٦) أظهر فإن النوم هو وجود الحس المشترك بالقوة فقط . وهو عند ذلك حافظ للوجودية الحاضرة ، فهو غير متحرك ، فهو محرك فقط والقوة التخيّلة متحركة عنه فقط .

(١) فارن أرسطو : 7 a 7 : Arist. : De An. III. 4.

(٢) أيضاً : 14 - 11 a 15 : Arist. : De Memoria. I.

(٣) أيضاً : 3 a 151 .

(٤) المخلوطة : وفي .

(٥) فارن أرسطو : 14 - 13 a 462 : De Somnis. 3.

(٦) أيضاً : 17 Note See : 16 - 10 b 456 : De Somnis et Vigilia. 3.

وأما في اليقظة عندما يحس بالمحسوسات المفترية^(١) فيشبه أن يكون عند ذلك متحركاً فقط ، فعند ذلك إما أن يبطل أو^(٢) تصير قوته فقط ولا يشعربها تحركه ، وقد تلخص هذا في مواضع كثيرة . فلذلك إذا بطلت الحواس بطلت هي . وإذا بطل الحس المشترك بطلت . فلذلك تفسد (ورقة ١٦٣ الف) بفساد الحس المشترك ، وتوجد موجوده وهي تابعة له على ما المتحرك^(٣) تابع للمحرك^(٤) في الحال التي بها 'يحرك' . لكنها في وجودها أشرف لأنها كالغاية له .

وعن هذه القوة يتحرك الحيوان حركات مختلفة ، وبها يتحرك الجزء النزوعي^(٥) ، وبها يوجد الحيوان كثيراً من الصنائع وبها يرى الحيوان أولاده كالنمل^(٦) والنحل^(٧) ، وهي أشرف قوة في الحيوان غير الناطق ، ولا يوجد في الحيوان < غير > الناطق قوة أكمل من هذه القوة . فان القوى المحركة للحيوان

(١) قارن أرسطو : 22 - 10 b 459 : De Somniis ، 4 - 31 a 429 : De An. III. 4

ابن رشد : الأوهالي ، ص ١٥٤ س ١٢ - ٢٢ .

(٢) المخطوطة : و .

(٣) المخطوطة : المحرك .

(٤) المخطوطة : المتحرك .

(٥) قارن أرسطو : 20 a 433 : De An. III. 10

(٦) المخطوطة : ويكون كالنمل .

(٧) قارن أرسطو : 5 ، 429 : De An. III. ١٥ : ابن سينا : الشفا ، ورقة ١٩١ الف ٣ :

والحيوانات الأخرى وخصوصاً لطير صناعات أيضاً فانها تصنع بيوتاً ومساكن لا سيما النمل لكن ذلك ليس مما يصدر عن احتياط وقياس بل عن إلهام وتسخير ولذلك ليس مما يختلف ويختلف واكثرها لصالح انواعها وضرورية النوعية وليست لضرورة الشخصية .

وايضاً ورقة ١٩١ ب ٥ : وربما وقع هذا المارض في الحجة ومن الإلهام الإلهامي كعب كل حيوان ولده من غير اعتقاد إثباته بل على نوع تخيل بعض الإنسان لشيء تابع او لزيد ولقرته عت : وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ،

(٧) ٢

الأوهالي ، ص ٧١ .

بالطبع التي هي فيه هي القوة الفاذية والحساسة وعن هذه كلها يوجد الحيوان الأفعال التي يقال لها أنها من ذاته ، لأن الحرك والمتحرك معا فيه ، وقد تلخص كيف ذلك في ثامنة السماع ^(١) .

فيستأن القوة التخييلة كمال الجسم طبيعي آلي ، فهي إذا ^(٢) نفس . وبيننا فلما أنه لا يمكن أن توجد قوة أخرى غير هاتين أعني الحس المشترك والقوة الخيالية . وذلك أن الموجودات هي إما هيولانية وإما منتزعة . والهيولانية هي في [جسم] مشار إليه . والانتزاع حركة ، وكل حركة تغير أو تابع لتغير ^(٣) . والانتزاع تابع لتغير ، والتابع إما أولاً وإما ثانياً . فالأول هو الإحساس ، كما تبين قبل ، والثاني هو هذا . وإن كان هناك ثالث لزم ضرورة أن تكون في الموضوع حالاً ينفصل بها الثاني من الثالث إذا كانا معاً من جنس واحد وإلا فماذا يكون الثاني غير الثالث .

وهناك تحريك الموجود في الهيولى ، وهنا التحريك وهو ليس في هيولى أنواع ، والثواني معادة للأنواع ما لا في هيولى ، لكن ما لا في هيولى يقال على أنحاء : إما أن لا يمكن أن يكون في هيولى أن يبرهن وجود شيء بهذه الصفة ، أو ما يمكن أن يكون له هيولى لكنه مأخوذ بالحال التي هو مبين للهيولى وهو بها ما هو بأن يكون مأخوذاً بالوجود الذي يخصه . وهذا هو النطق على ما سنبين . أو ما هو في هيولى ، غير أنه مأخوذ من جهة ما هو . وهذا لجواز إما أن يكون يمكن فيه المفارقة ، وهذا هو الحس ، أو ما قد فارق ، غير أنه مأخوذ بالحال التي هو بها في هيولى . فهذه هي القوة التخييلة الخيالية . ولذلك كانت

(١) فارن ارسطو : Phys. VIII. 256 a 02 .

(٢) الخطوة : ذا .

(٣) فارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهمالي ، ص ٧٤ . وقد استعمل « قريب » و « بعيد » في فروع « أول » و « ثاني » .

القوة الخيالية تدرك الاشخاص^(١) فقط ، فلأن الصور الهيولانية إنما حركت هذه القوى بالقوة التي فيها ، وهي التي تقدم تلخيصها قبل هذا^(٢) . فصارت الاحساسات موجودة وكان لها قوة تحرك بها ، فحركت القوة الخيالية فصارت الخيالات موجودة . وهذه كلها عن غير الصور الهيولانية وهي هيولانية^(٣) . ولم يمكن (ورقة ١٦٣ ب) فيها أن تحرك القوة المدركة الأمر الكلي^(٤) حتى تحرك هذه الهيولانية المشار إليها ما يحركه جميع المشار إليه فتكون تحركها غير متناهية ، لأن التحريك عن وجود ، والوجود يقترب به التناهي . والمتحرك عن الهيولي وعن التناهي هو هيولي من جهة ما هي هيولي . وإنما يحرك الموجود المفارق تحريكاً غير متناه من جهة أنه لا يتحرك . وليس هناك ضد فليس هناك مفارقة . وإن كانت الهيولي قابلة أبداً فهو محرك أبداً لأنه لو لم يحرك لكان متحركاً ، وكل متحرك فهو منقسم وكل منقسم فهو هيولاني . ولذلك تدرك القوة المتخيلة الصور الهيولانية من أحوالها التي تخصها في الوقت الذي تدركها فيه ولا تدرك منها ما لا يخصها في وقت الإدراك . ولا يمكن أن تدركها بجميع أحوالها التي تلحق الصورة بحركة عن الأعراض المفارقة لها . ولذلك تدرك جميع لواحقها الذاتية وغير الذاتية كشيء واحد .

لكن قد يسأل سائل فيقول : كيف يتخيل الشيء الواحد بأحوال مختلفة

(١) إدراك الشخص هو إدراك المتي في هيولي ، انظر ابن رشد : تلخيص كتاب

النفس ، ص ٦٧ ، سيدرabad ، ص ٦٢ .

(٢) راجع النفس نفسه : آخر الورقة ١٥٤ الف .

(٣) قارن أرسطو : ١٩ - ١٤ - ١٣ De An. III. 7. 431 a 14 .

(٤) إدراك الكلي هو إدراك المتي للنام مجرداً من الهيولي ، والحس والتخيل إنما

يدركان المادي في هيولي . انظر ابن رشد : ٦٧ ، سيدرabad ص ٦٣ .

بعضها أدركت وبعضها لم تدرك فيه بل بعضها ممكنة فيه وبعضها غير ممكن .
 إلا أن ذلك في الإنسان فقط . فإنه الذي يركب ويفصل ^(١) . وهذه الحركة
 هي من قبل أسباب آخر وقد عرفت في الثانية من كتاب أرسطو في الحس ^(٢) .
 ولو كانت الخيالية تدرك المعنى وتدرك ماله أمكن أن يدرك فلا يمكن ^(٣)
 ذلك في العقل النظري . وأما في الظن فهو شيء ^(٤) ممكن ، إلا أن الظن
 وقوته منبئين . إذا يتبين ما القوة الناطقة . فأما في العلم فهو فعل القوة الناطقة ،
 فلا يمكن ذلك فيه البتة ومنبئين لم يكن ذلك بعد هذا .

فالقوة الخيالية كالبحر بين الموجودات التي من شأنها أن تفارق الهوى وبين
 الهولانية قد أخذت من كل بقسط على ما من شأن الطبيعة أن تفعل دائماً ،
 فإنها لا تنتقل من جنس إلى جنس دون متوسط وقد خص ذلك في مواضع
 كثيرة . وهذا آخر ما يحركه المحسوس المشار إليه .

ولما كان كل متحرك فهو بحاجته لمحرك على ما تلخص في غير هذا الموضع ،
 وكان الخيال شخصاً ولم يكن كلياً . فإن الكلي هو الطرف المقابل للشخص .
 وليست هاتان القوتان أوساطاً على ما هي الأوساط في الحرارة والبرودة حتى
 توجدان ^(٥) في الحس . والخيال جزء من الكلية كما يوجد ذلك فيما بين الحرارة
 والبرودة وإن الوسط فيه حر وبرد . فإنه ليس في الإحساس ولا في الخيال

(١) قارن أرسطو : De An. III. a. 430 b 5 : وابن سينا ، الشفا ، ورقة ١٨٣ ألف :
 وإن الحس المشترك يؤدي إلى القوة المصورة على سبيل استخزان ما يودعي
 إليها الحواس وتخزينه وقد تخزن القوة المصورة أيضاً أشياء ليست من المأخوذات
 عن الحس . فإن القوة المفكرة قد تتصرف بالتركيب والتحليل ،
 وابن رشد : ص ٣٠٦٨ ، حيدرآباد ص ٧٠٦٣ .

(٢) قارن أرسطو : De Somnis. 2. 459 a 23 sq.

(٣) المخطوطة : يدرك ما لا على .

(٤) المخطوطة : لا .

(٥) المخطوطة : موحد .

شيء من الكلّي ، بل توجد لها ^(١) أحوال يكون بها بعضها أقرب إليه من بعض . وتلك الأحوال في الخيالات أكثر وأحرى بها ^(٢) ، وأظهر منها ^(٣) في الإحساسات . فإن الشخص ليس بمضاد للكلّي (ورقة ١٦٤ الف) بل هو غيره بوجه ما ، وقد خص أمره ^(٤) أرسطو فيما بعد الطبيعة ^(٥) .

وأما وجود الكلّي فهو ضرورة عن أسباب آخر ، ولا يخلو < من > أن يكون الكلّي كائناً أو غير كائن . فإن كان كائناً فهناك هيولى أو قوة تجري مجرى الهيولى ، وإن كان غير كائن حتى يكون التعلم تذكراً فقد يلزم إما أن يكون للصور على ما يراه فلاطن وهي التي نعتها سقراط في كتاب فاذن ^(٦) ، فيكون للعقل حساً أو مجانساً له ، وإما للعقل قبل أن يعقل فيكون التعلم تذكراً .

وإذا نظر في الكلّي ، وجدت له أحوال يلزم عنها أن يكون أزلياً ، وأحوال يلزم عنها ضرورة أن يكون متكوناً . وبالجملة فإن اللواحق الموجودة له توجد فيه على حال مقابلة لوجودها في الصور الهيولانية . وكيف كان وجودها في الصور الهيولانية ، وكيف كانت ، فإن وجودها مبائن للوجود الهيولاني مبينة ظاهرة جداً . وأحراها أن نكون موجودة بنحو آخر من الوجود حتى يقال عليها وعلى الهيولانية الموجودة اشتراك ، وأخلق أن يكون الموجود يقال عليها بتقديم ، وإن كانت أخرى بالوجود .

(يتبع) محمد صغير حسن المعصومي

(١) الخطاطة : لها .

(٢) قارن أرسطو : 10 - 3 - 432 a 3 . De An. iii.

(٣) الخطاطة : عنها ، وبالهامش : منها .

(٤) الخطاطة : امرها .

(٥) قارن أرسطو : Met. Z. VII. 1035 b 29 .

(٦) Arist. Met. A. i. 991 b 3 .

قبور العظماء في دمشق

مقدمة

درجت جميع أمم الأرض منذ الأزمنة القديمة على تمجيد عظمائها وأبطالها وتخليد ذكراهم بعد موتهم ، حتى بلغ الأمر عند بعض الأمم درجة تقديسهم وعبادتهم .
واليوم تحرص جميع البلدان الراقية على إقامة مقابر خاصة بالعظماء الذين أخلصوا لبلادهم وضحوا في سبيلها بأرواحهم أو منحروا سيوفهم وأفلامهم في سبيل خدمة أمتهم والرفع من شأنها .

ان تخليد ذكرى هؤلاء العظماء يقيم الدليل أمام المواطنين على أن الأمة لا تنسى أبناءها المخلصين العاملين ، وتحفز المواطنين كي يقتدوا بهم ويسيروا على نهجهم . ولا تخلو أمة من أمثال هؤلاء العظماء الذين يجود بهم الزمان من حين لآخر .

وقد عرفت دمشق كثيراً من الشخصيات التاريخية وضم ثراها رفاة عظماء وشهداء أثبت بعضهم المدافن اللائقة التي تخلد ذكراهم وأهمل البعض الآخر فاندثرت قبورهم . وشاب بعض هذه الأضرحة مزاعم خاطئة ونسبت لأشخاص دون أساس صحيح ، وقد رأيت من المفيد في هذا الظرف الذي تهتم فيه الدولة بإقامة نصب التذكارية والأضرحة لعظماء البلاد أن ألفت الأنظار الى مجموعة من العظماء المدفونين حقاً في دمشق خلال عصور التاريخ . مصنفاً إياهم الى الطبقات التالية :

١ - طبقة الملوك والسلاطين .

٢ - طبقة الأمراء والولاة .

٣ - طبقة الصحابة .

٤ - طبقة آل البيت .

٥ - طبقة العلماء .

ذلك ان في التاريخ عهداً مضيقاً تحفل بالإنجاد ومشاهير الرجال وأخرى مظلمة يختفي فيها المظالم ، وما أكثر المهور المظلمة التي عاشتها دمشق وأقسامها ، حين كانت فريسة الفوضى والفتن أو طعمة للغزاة أو نهياً للحكام الظالمين ، في عهد الفاطميين وأغلب عهد المماليك ثم في أيام الحكم العثماني والاستعمار الغربي .

وخلال تلك العصور كلها فترات ثلاث نالت فيها نجم دمشق وغدت مراكز إشعاع لسائر العالم العربي والإسلامي بما نالت من نهضة وعزة وحياة حرة كريمة على يد رجالها .

وتكاد هذه الفترات الثلاث تتوزع توزيعاً عادلاً بين القرون الثلاثة عشر من تاريخها العربي .

كانت الفترة الأولى في فجر هذا التاريخ أيام الدولة الأموية . وكانت الثانية في أواسطه ، أيام نور الدين وصالح الدين . والفترة الأخيرة هي في هذا العصر الذي نعيشه فترة الثورة على الأجنبي الدخيل والكفاح من أجل الاستقلال والحريّة وإقامة أسس الوحدة العربية .

أ - طبقة الملوك والسلاطين

١ - معاوية بن أبي سفيان :

مؤسس الدولة العريية في الشام وأحد صحابة الرسول (ﷺ) وكتبه الوحي ، اشترك في الفتوحات مع أخيه يزيد بن أبي سفيان وأبلى بلاءً حسناً ، ينسب إليه فتح قيسارية أكبر مدن فلسطين عام ١٨ أو ١٩ وولاه عمر الشام بعد وفاة أخيه يزيد عام ١٨ وظل في ولايته لما حتى أصبح خليفة المسلمين بعد معركة صفين عام ٤٨ لهجرة حتى توفاه الله في دمشق سنة ٦١ هـ وكان قد بلغ من العمر ستاً وثمانين سنة .

أما قبره فقد اختلف الناس فيه فبعضهم يقول بأنه ضاع وزال أثره إثر الانقلاب العباسي وانتقام بني العباس من الأمويين أحياء وأمواتاً . وينسب العامة اليوم لمعادية ثلاثة قبور في دمشق ، إلا أن الثابت في المصادر العلمية والروايات التاريخية أن معاوية دفن في مقبرة الباب الصغير ^(١) .

ويشاهد اليوم قبره ضمن غرفة صغيرة من الطين حديثة البناء تقع في ركن المقبرة الجنوبي ، وتتصق بها قبور كثيرة بينها عدد قديم لمشاهير الرجال ندل عليها شواهد كتبت بخطوط كوفية .

وإذا صح ما ترويه المصادر عن نبش قبور بني أمية ، فليس ما يمنع أن يحتفظ الناس بمكان قبر معاوية اكراماً لمزله ، حتى آتى وقت خف فيه حقد العباسيين وقل نفوذهم في دمشق فأصبح من المتيسر إعادة قبره الى ما كان عليه وأقبلوا يخصوصونه بالزيارة والتبرك . ثم قدم أحمد بن طولون دمشق عام ٢٧٠ هـ فحصر

(١) راجع التحقيق الذي نشره الأستاذ الأمير جعفر الحسني في مجلة الجمع المجلد ١٩ (١٩٤٤) ص ٤٣٤ .

على قبره قبة عالية ٤ وزاره بعد ذلك المسعودي عام ٣٢٣ فقال « ان عليه بيتاً مبنياً يفتح كل يوم اثنين وخميس » . وهذا يدل دلالة أكيدة على احتفاظ الناس بقبر معاوية وعلو منزله في قلوبهم رغم ما قام به العباسيون . ولعل هذا البيت الذي بناه ابن طولون ووصفه لنا المسعودي قد تهدم خلال أحداث التاريخ وتقلبات الدول ٤ ولكن في كل عصر كان قوم يحرصون على الابقاء عليه والإشارة اليه حتى بقي الى يومنا هذا على هيئته المتواضعة البسيطة . وقد ظهرت محاولات حديثة من قبل الفيورين لبناء ضريح عليه يلبق بمكانة صاحبه وعظمته وفضله في إرساء قواعد الدولة العربية في بلاد الشام خاصة وفي العالم الإسلامي عامة .

٢ - الخلفاء الأمويون :

تولى الخلافة من البيت الأموي أربعة عشر أميراً مات بعضهم في دمشق ومات البعض الآخر في أماكن متفرقة فمصر بن عبد العزيز دفن في دير سمان وهشام في الرصافة ووليد بن عبد الملك في مقبرة الباب الصغير وكذلك قبر ابنه الوليد ويزيد بن معاوية . غير انا اذا قفتنا اليوم في هذه المقبرة لا نجد من الأمويين غير قبر معاوية الذي نكتنا عنه وقبر عبد الملك الواقع على عدة أمتار الى الشمال الغربي من قبر معاوية في غرفة مهدمة من الطين تضم قبرين نسب أحدهما لعمر بن عبد العزيز ونسب الآخر الى عبد الملك . ونحن نفي نسبة الأول الى عمر بعد أن أكدت الروايات دفنه في دير سمان قرب حلب . ونرجح أن يكون لأحد خلفاء بني أمية ، ولعله الوليد الذي تذكر الروايات دفنه في هذه المقبرة والأمر يتطلب تحقيقاً أكثر دقة . أما القبر الثاني فيرجح أن يكون لعبد الملك بدليل إشارة المصادر التاريخية الى وجوده في هذه المقبرة ووجود كتابة كوفية على الثابوت الحجري يرجع الى عدة قرون ، تؤيد ذلك .

وأي حرج في اعتباره قبره حقيقة والناية به تخليداً لذكراه بالرغم من احتمال وجود خطأ في تحديد مكان دفنه على وجه الدقة ، لأن تخليد ذكرى العظماء ببناء المقابر اللاحقة بهم لن يكون من أجل ما تبقى من عظامهم ورفاتهم البالية بل من أجل أمجادهم وأعمالهم العظيمة .

٣ - محمود بن زنكي :

لم تعد دمشق مقراً للخلفاء والسلاطين بعد زوال الدولة الأموية حتى دخلها نور الدين في القرن السادس الهجري ، فهو أول من تسلط فيها بعد تلك الحقبة الطويلة ولقب بالسلطان الملك العادل نور الدين ، محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر .

وكان تابعاً خليفة بغداد العباسي من الناحية الاسمية فقط . وكان حاكماً عادلاً مخلصاً لأمنته وبلاده وقائداً بطلاً نذر نفسه للجهاد والدفاع عن البلاد من أخطار الصليبيين وعدوانهم ، ولذلك أحبه الناس وأشاد المؤرخون الذين عاصروه بأخلاقه ودينه وعدله وتواضعه وجهاده وحببه للعلم والعلماء وبناء المدارس والحصون .

ولد نور الدين محمود عام ٥١١ هـ بمدينة حلب حيث كان أبوه والياً عليها من قبل صلاحقة بغداد ثم خلف أباه عليها سنة ٥٤١ هـ ثم ضم دمشق وسائر بلاد الشام إلى مملكته عام ٥٤٩ هـ وتوفي في قلعة دمشق سنة ٥٦٩ هـ فدفن في تربة كائنة في ركن من أركان المدرسة النورية التي بناها في سوق الخياطين . ويبدو قبره لكل من يمر من هذا السوق من خلال قافلتين في تربة جميلة عالية القبة بسيطة المظهر ، ومن المستغرب أن ينسى الناس هذا الرجل العظيم ولا يحتفون به كما يحتفون بصلاح الدين ، مع أن نور الدين أستاذة ومؤسس دولته وواضع حجر الأساس في تحرير البلاد وتوحيدها .

٤ - يوسف بن أيوب :

هو صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادي الملقب بالسلطان الملك الناصر ، ولد بـ تكريت عام ٥٣٢ هـ ودخل في خدمة نور الدين محمود بن زنكي مع والده فبعثه مع عمه القائد أسد الدين شيركوه لتحرير مصر عام ٥٦٤ هـ . فصار وزيراً للخليفة الفاطمي العاضد ثم انترد بحكم مصر وقضى على الخلافة الفاطمية عام ٥٦٦ هـ ثم ضم الشام الى حكمه بعد وفاة نور الدين وبذلك وحد مصر والشام وأقام دولة تمتد الى ما وراء الجزيرة شمالاً وإلى البحر الهندي جنوباً وتونس غرباً والعراق شرقاً . وقضى حياته في محاربة الفرنج وتحرير البلاد من أيديهم الى أن توفي في قلعة دمشق عام ٥٨٩ هـ فدفن بها ثلاث سنين ثم نقل الى حيث هو اليوم في تربة بناها له أولاده بعد موته وبنوا الى جوارها مدرسة سميت بالمدرسة العزيزية وقد تهدمت وبقيت التربة ذات القبة العالية وأحيطت في كل العصور بالعناية والرعاية فزينت جدرانها بألواح القاشاني عام ١٠٣٧ هـ .

وضع لقبره ضريح عند وفاته من خشب الجوز مزين بالنقوش الهندسية المحفورة ونحيط به آية الكرسي بخط كوفي مزهر جميل ، كما صنع له تابوت جديد من الرخام عام ١٨٧٨ م في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، وقد فرشت دائرة الأوقاف أرضه بالسجاد وعينت له قبة خاصة به .

٥ - محمد أبو بكر بن أيوب :

هو الملك العادل سيف الدين محمد أبو بكر بن أيوب ، من أكبر شخصيات الدولة الأيوبية بعد أخيه صلاح الدين . اشترك معه في محاربة الفرنج وإدارة البلاد . وكان المستشار والمضد الأمين لأخيه ، ثم تولى السلطنة على دولة العرب في مصر والشام واليمن سنة ٥٩٦ هـ بمارته أولاده عندما دب الخلاف بين أولاد

صلاح الدين ، ولم يبق بأيديهم سوى حلب . ثم توفي سنة ٦١٥ في قلعة دمشق فدفن فيها ريثما تم بناء تربيته في المدرسة العادلية مقر المجمع العلمي اليوم . ودفن معه بعد ذلك ابن حفيده المقيث عمر سنة ٦٤٢ وكان نائباً لأبيه الصالح أيوب على دمشق حين استولى عليها عمه الصالح اسماعيل فأمر ببناء القلعة ومات فيها .

٦ - الملوك الأيوبيون الآخر :

لم يمت في دمشق من أولاد صلاح الدين سوى الملك المنصور حسن الذي توفي في حياة أبيه سنة ٥٧٥ وقبره معروف في التربة النجمية الكائنة في سوق صاروجة شرقي المدرسة الثمانية . وفي دمشق من أولاد أخيه العادل ثلاثة ملوك ، المعظم والأشرف والكامل .

أما المعظم فهو عيسى بن العادل ولد في القاهرة سنة ٥٧٦ وتولى دمشق لأبيه وحارب الفرنج ثم خلف أباه في السلطنة ومات في قلعة دمشق سنة ٦٢٤ ودفن بها ثم نقل إلى مدرسة له تعرف بالمعظمية في الصاحية ، وقد تهدمت ودرست . وأما الكامل فهو محمد بن الملك العادل تولى مصر في عهد أبيه ثم تسلط بها ودخل دمشق وضمها إلى ملكه ومات بها سنة ٦٣٥ ودفن في القلعة ثم نقل إلى تربة أعدت له خلف جدار الجامع الأموي الشمالي شرقي خاتقاء السباسبية تعرف بالتربة الكاملية ولها باب من الجامع يؤدي إليها .

وأما الأشرف موسى بن الملك العادل فقد تسلط في دمشق أيضاً سنة ٦٢٥ ومات في قلعتها سنة ٦٣٥ ودفن بتربة تعرف بالأشرفية كائنة شمالي الجامع الأموي بين المدرسة الجفمية والمدرسة العزيزية وقد تهدمت وأصبح في مكانها اليوم ملجأ ضد الغارات الجوية ولا يزال القبر ظاهراً .

٧ - السلطان بيبرس :

هو السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري أشهر سلاطين دولة المماليك وأول من وطد حكمهم في الشام بعد زوال دولة بني أيوب بدخول جيش هولاكو دمشق ، كان له فضل في النصر على التتار في معركة عين جالوت التي أدت الى طردهم من الشام وتوحيدها مع مصر من جديد . تولى السلطنة عام ٦٥٨ بعد مقتل سلفه السلطان قطز . قضى أكثر أيامه في محاربة الفرنج وتخليص ما تبقى من البلاد من أيديهم فحلت أيامه بالانتصارات عليهم وخلد اسمه على أكثر من حصن وقلعة ومدينة . وقام بأعمال عمرانية كثيرة وتوفي سنة ٦٧٦ في القصر الأبلق الذي كان يقطنه في دمشق حيث تقع التكية السلجانية اليوم ودفن في المدرسة الظاهرية وترجه من أجمل الترب ذات قبة عالية مزينة بأصناف الزخرفة كالفسيفساء الزجاجية الملونة الشبيهة بفسيفساء الجامع الأموي والرخام الملون والكتابات المذهبة وزخارف محفورة على الحجر ، وفيها محراب رائع ، وتعد أجمل تربة في دمشق وأغناها بالزخارف .

٨ - السلطان العادل كتبغا :

لم تعرف دمشق بعد السلطان الظاهر سلطاناً أقام أو مات فيها فقد استقر المماليك في القاهرة ولم يقيموا في دمشق إلا أياماً أو يزوروها إلا لماماً ، وكذلك سلاطين آل عثمان . سوى أن في المهاجرين مدرسة وتربة منسوبة الى أحد سلاطين المماليك ، هو الملك العادل زين الدين كتبغا تطلق سيف القاهرة سنين ثم خلع عام ٦٩٦ فالتجأ الى صرخد (صلخد) ثم أعطي حماة فمات بها وقيل ليدفن بترجه بسفح قاسيون الكائنة في الحديقة التي تضم ضريح الشهيد المالكى .

ب — طبقة الأسرار والولادة

كثيرون هم القواد والولاء الذين ماتوا في دمشق ودفنوا في ثراها منذ بداية العهد العربي الى اليوم . وكان لا أكثرهم بطولات وأعمال جارية يستحقون معها أن تحفظ الأجيال ذكراهم ، إلا أننا مع ذلك لا نعرف قبرا واحدا لمن عاش منهم قبل العصر الأيوبي ، ولعل السبب في ذلك عدم اعادة الاوائل أهمية للقبور والمدافن كما حدث في العصور المتأخرة . وقد رأينا كيف تعرفنا بصعوبة زائدة على قبور قليل جداً من خلفاء بني أمية أنفسهم .

لذا لن يكون أمامنا من وفيات هذه الطبقة من نتحدث عنه قبل زمن الأيوبيين الملى . يرجال الدولة من قواد أبطال وولاء وأمرأ . ولا غرابة في ذلك لأن زمنهم بعد الفترة المضيتة الثانية في تاريخ دمشق بعد الفترة الأموية كما ذكرنا في المقدمة .

١ — شاهنشاه بن أيوب : أخو صلاح الدين حارب مع نور الدين محمود بن زنكي واستشهد في إحدى المعارك ضد الفرنج عام ٥٤٣ هـ ودفن في تربة أيوية تعرف اليوم بالتربة النجمية الكائنة في سوق صاروجة الى القرب من المدرسة الشامية .

٢ — توران شاه بن أيوب : أخو صلاح الدين وأكبر قواده فتح اليمن وولي دمشق لصلاح الدين عام ٥٧١ هـ . توفي في الاسكندرية واليا عليها سنة ٥٧٦ هـ فنقل جثمانه ليدفن في تربة أخيه الكائنة في المدرسة الشامية سنة ٥٧٨ هـ .

٣ — فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب : ابن أخي صلاح الدين صار واليا على دمشق سنة ٥٧٦ هـ وكان من كبار القواد والمجاهدين حارب الفرنج وأبلى بلاء حسنا في موقعة مرج عيون وكان الى شجاعته عالم كثير الادب مطبوع النظم

والنثر وله أشعار كثيرة . لقب بـعز الدين مات سنة ٥٧٨ هـ والياً على دمشق فدفن في تربة تعرف بالفرخشاهية كائنة شمالي حديقة المنشية .

٤ — الملك الأحمـد بهرام شاه بن فروخ شاه : ولاء صلاح الدين بطلبك بعد موت أبيه وكان شاعراً . اغتيل في دمشق ودفن في المدرسة الأحمـدية المجاورة لتربة أبيه الفرخشاهية المتقدمة الذكر .

٥ — الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه : زوج ست الشام أخت صلاح الدين توفي سنة ٥٨١ هـ والياً على حمص لصلاح الدين فدقنته زوجته في تربتها الكائنة في المدرسة الشامية في دمشق .

٦ — الأمير عز الدين إيبك : كان والياً على صرخد مدة طويلة توفي في الاسكندرية وقتل جثمانه ليدفن في مدرسته المعروفة بالعزية قرب مدرسة التجهيز الأولى .

٧ — الأمير حسام الدين محمد بن عمر (ابن ست الشام) : توفي سنة ٥٨٧ هـ ودفن في تربة أمه الشامية البرانية المتقدمة الذكر . وهي تربة واسعة مزينة بزخارف ذات طابع أبوي تضم عدة قبور للأسماء الأيوبيين وبينهم قبر ست الشام صاحبة التربة والمدرسة .

٨ — الأمير فخر الدين مركس أو جهاركس : أحد قواد الجيش الأيوبي كان نائباً على بانياس وتوفي سنة ٦٠٨ هـ ودفن في تربه في المدرسة الجهاركية الكائنة في العفيف .

٩ — الأمير فخر الدين إبراهيم بن الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك ابن المقدم توفي سنة ٥٩٧ هـ وكان والياً على قلعة بارين وعدة حصون توفي بدمشق ودفن بالمدرسة المقلمية خارج باب النراديس في طريق مقبرة الدحداح ويطلق العامة على ضريحه خطأً ضريح طلحة .

- ١٠ - الأمير غورلو : تولى نيابة السلطنة في دمشق عام ٦٩٥ هـ في عهد سلطان المماليك العادل كتبغا وتوفي سنة ٧١٩ ودفن في دمشق في تربة لا تزال باقية الى اليوم الى جانب جامع الحنابلة .
- ١١ - الأمير تنكز : تولى نيابة السلطنة في دمشق من عام ٧١٣ الى ٧٤٠ حيث اعتقل وأخذ الى الاسكندرية فقتل ثم نقل الى تربته التي شيدها الى جوار جامع المشهور في دمشق .
- ١٢ - سيف الدين جقمق : تولى نيابة دمشق سنة ٨٢٢ وقتل في القلعة عام ٨٢٤ ودفن بتربته في المدرسة الجقمقية الى جوار باب الجامع الأموي الشمالي وهي من أجمل مدارس العصر المملوكي بهندستها وزخرفتها .
- ١٣ - درويش باشا : ولي دمشق في عهد السلطنة العثمانية عام ٩٢٩ هـ وكانت سيرته حسنة وقام بأعمال عمرانية كثيرة منها جامع الدرويشية الذي بناه سنة ٩٨٢ . توفي عام ٩٨٥ ودفن بتربته التي عمرها الى جوار جامع .
- ١٤ - مراد باشا : تولى دمشق سنة ٩٧٦ فعمر الجامع المعروف حالياً باسم جامع النقشبندي في السويقة وتوفي في دمشق ودفن بتربته الى جوار الجامع المذكور .

م - طبقة الصحابة

يتناقل العامة ذكر عدد كبير من الصحابة ماتوا في دمشق أو استشهدوا عند الفتح ويشيرون الى قبور ومزارات نسب أكثرها خطأ اليهم . وكذلك تفعل بعض كتب التاريخ الضعيفة ، وهذا ما يجعل البحث عويصاً يحتاج الى كثير من المطالعة والدرس للوصول الى حقيقة مقبولة ، ولم يتأكد لدينا بعد الاستقصاء والتحقيق أكثر من قبرين لاثنتين من الصحابة فقط ثبت موتهما في دمشق وتضافرت أكثر الروايات على تعيين مكان قبريهما وهما :

١ - بلال الحبشي : وهو بلال بن رباح من موالى قريش وأوائل الدين اعتنقوا الإسلام فعذبوا في سبيل الرسالة الجديدة . وهو أول من أذن في الإسلام ثم خرج الى الشام مجاهداً بعد وفاة الرسول (ﷺ) فتوفي في دمشق ودفن في مقبرة الباب الصغير حوالي ١٧ أو ٢٠ للهجرة ، وما يزال قبره معروفاً الى اليوم تحت قبة عالية عمرت في العهد العثماني ، وله خريج من الخشب حديث الصنعة ركب فوق قبره الترابي القديم . وتذكر كثير من الروايات خطأ وجود قبره في مدن أخرى .

٢ - أبو الدرداء : عويمر بن عامر الخزرجي الأنصاري ، كان من أفاضل الصحابة ، ولده عمر بن الخطاب القضاء على دمشق في عهد ولاية معاوية فكان أول قاض فيها ، توفي في خلافة عثمان حوالي سنة ٣٢ للهجرة ودفن في مقبرة الباب الصغير وظل قبره معروفاً يذكره الرحالة الى جانب قبر زوجته أم الدرداء . وقد عثرت دائرة الآثار عام ١٩٣٨ على شاهدين احدهما تخص قبره والأخرى قبر زوجته مكتوبين بخط كوفي يرجع الى القرن الرابع أو الخامس عشر عليها سردوسين على بعد عشرين متراً الى الجنوب الغربي من قبر معاوية ، وهما محفوظتان في المتحف الوطني . ولا يبي الدرداء مشاهد ومزارات في أماكن أخرى منها مقامه الكائن في قلعة دمشق الذي ذكره المؤرخ ابن طولون في الشحنة للضيئة في القرن العاشر الهجري .

وهناك قبور أخرى لعدد من الصحابة نشك في صحة نسبتها الى أصحابها ، ولعل السبب في إشاعة ذلك وادعائه التبرك بأكثر عدد من الصحابة وجعل دمشق تتقدم على غيرها في هذا المضمار . ومن هؤلاء نذكر :

١ - صهيب الرومي : له قبر في الميدان يطلق عليه الناس اسم سيدي صهيب ، ويريدون به الصحابي صهيب الرومي . وقد أجمعت أكثر الروايات على وفاته في المدينة سنة ٣٩ هـ . م (٨)

٢ - أبي بن كعب : مات في المدينة أيضاً وله قبر عند باب شرقي خارج السور .

وقد بني عليه جامع يرجع الى عام ١٠٣٠ هـ .

٣ - شرحيل بن حسنة : أحد أمراء جيش الفتح الذين قدموا الى الشام

مع أبي عبيدة ، مات في طاعون عمواس مع أبي عبيدة بن الجراح عام ١٨
وعمواس قرية بين الرملة والقدس في فلسطين حيث دفن أبو عبيدة ، ولا
تشير رواية ما الى مكان قبره وأول من ذكر أن قبره في دمشق صاحب كتاب
تجفة الأنام أمين البصري من القرن العاشر الهجري ، وضريحه وضريح خولة
بنت الأزور التي هي أيضاً لم يتأكد وصولها الى دمشق موجودان ضمن تربة واحدة
يحويها مسجد بني عام ٩٠٩ هـ خارج باب توما .

٤ - ضرار بن الأزور : أحد الأبطال الكبار في صدر الإسلام اشتهر

بجهاده في حروب الردة تحت قيادة خالد بن الوليد وقتل في هذه الحروب في البامة
كما يذكر بعض المؤرخين أو في أجنادين أو في الكوفة كما يذكر البعض الآخر .
إلا أن العمري صاحب ممالك الأبطال المتوفى سنة ٧٤٩ يذكر بأنه قتل أثناء
فتح دمشق ، خلافاً لما ذكره الواقدي ، ودفن في القبر المنسوب اليه .

٥ - الصحابية السبعة في جامع الأقباب : في هذا الجامع غرفة كتب عليها

بخط حديث هذا مدفن سبعة من أصحاب رسول الله حجر بن عدي الكندي
ورفاقه ، والثابت أن حجراً وأصحابه قتلوا بأمر معاوية وهم قادمون من الكوفة
عند قرية عذراء سنة ٥١ هـ وذكرت أكثر الروايات بأن قبورهم هناك في عذراء .

٦ - صحابية جامع الشهداء : في الصالحية مسجد صغير يعرف بالشهداء فيه

قبر ثلاثة من الصحابة هم حرمة بن وائل وجابر بن مسعود ومساعد ، ولا فتقد
بوجود أساس لصحة هذا الادعاء .

د - طبقة آل البيت

إن أكثر قبور آل بيت الرسول (ﷺ) رغم شهرتها وفخامتها لا تمت اليهم بصلة ، وهي قديمة في دمشق بذكرها الرحالة ويؤمها الزوار من كل مكان وخاصة الشيعة وأضرابهم . ولعل إقامة هذه الزارات يرجع الى عهد الحكم الفاطمي حيث اشادت الدعوة لآل البيت والحماس لهم ولا غرابة لأن يتقبل الناس شيعة وغير شيعة مثل هذه البدع نظراً لمكانة الرسول العظيمة وكل ما يمت اليه بصلة ، وأصحاب هذه القبور هم :

١ - سكينة بنت الحسين : توفيت في المدينة كما تذكر أكثر الروايات ولكن لها قبراً فخماً في مقبرة الباب الصغير عليه قبة نخمة مفروشة بالسجاد مزينة بمختلف الهدايا والزخارف والفرج قديم مصنوع من الخشب المحلى بالزخارف المنقورة المخزومة والكتابات الكوفية ، ويرجع أنه صنع في العصر الفاطمي .

٢ - فاطمة بنت الحسين : لها قبر في مقبرة الباب الصغير أيضاً وعليه قبة وضريح من الحجر عليه اطار من الكتابات الكوفية للزهرة بخط غريض جاء فيها : « هذا قبر فاطمة ابنة أحمد بن الحسين بن السبطي توفيت رضي الله عنها في رجب سنة ٤٣٩ هـ ، ومعنى ذلك بأن صاحبة القبر ليست بنت الحسين كما يظن عامة الناس وإنما هي واحدة تدعى فاطمة ماتت في القرن الخامس ربما كانت من آل البيت اذا صححت نسبتها الى بيت علي بن أبي طالب ، ومما يمكن فان قبرها محاط بالاحترام والتقدير من قبل طائفة الشيعة مما يظن معه بأنه حقاً قبر فاطمة بنت الحسين بن علي .

٣ - زينب الصغرى بنت علي : وتلقب بأم كلثوم لها قبران في دمشق الأول في قرية راوية المعروفة حالياً بالسراة الواقعة الى الجنوب الشرقي من دمشق على بعد عدة كيلومترات .

وهو مزار شهير محقق به يؤمه الزوار من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ويقدمون عنده النذور وحوله الأبنية لتزول الغرباء وعليه قبة ضخمة محلاة بالمرابا ضمن مسجد واسع ، وقد أهدته الحكومة الإيرانية حديثاً خريجاً ثميناً من الفضة .
والقبر الآخر في مقبرة الباب الصغير في قبة خاصة به تفضيه الى مقام الست سكيته .
ورغم كل ذلك فمن لا نعتقد بصحة نسبة هذين القبرين الى زينب بنت علي ابن أبي طالب لأن هذه ماتت في المدينة كما يقول المؤرخ عز الدين بن شداد .
ويذكر صاحب كتاب أعلام النساء بأن قبرها بمصر عند قناطر السباع .

٤ - مشهد الحسين : كلنا يعلم بأن الحسين بن علي قتل وهو في طريقه الى الكوفة في معركة كربلاء سنة ٦١ وتقل رأسه الى دمشق ليراه الخليفة يزيد ابن معاوية . ويوجد للحسين مزارات كثيرة يطلق عليها اسم مشهد تشير الى قبره ، ولعل الأصح أن تعتبر نصباً تذكارية ، لأنه لا يعقل أن يدفن رأس الحسين أو جثته في عدة بلدان . له مشهد شهير في كربلاء حيث قتل يرجع أن يكون القبر الذي وارى جثته ، كما أن له مشهداً في جامع بني أمية في دمشق ، في مكان يطلق عليه اسم مشهد الحسين حالياً وقد أطلق عليه في القديم مشهد علي وكذلك مشهد زين العابدين (ابن الحسين) ، وله مشهد آخر في القاهرة . وتؤكد المصادر بأن رأس الحسين قتل الى دمشق ولكنها لا تشير الى مكان دفنه ، ثم تذكر بعض الروايات التاريخية حادثة قتل رأسه من دمشق الى المدينة في عهد يزيد وبعضها يذكر أنه قتل في العهد العباسي ، ويذكر البعض الآخر قصة نقله الى القاهرة في العهد الفاطمي .

• - الست رقية : في داخل باب الفاراديس مسجد صغير فيه قبة يرجع عهد بنائها الى العصر الأيوبي تضم خريجاً عليه قفص معدني جميل أهدى اليها من قبل الحكومة الباكستانية منذ سنوات ويظن الناس بأن هذا القبر لرقية بنت

الرسول . ولكن هذه ماتت في المدينة وقبرها هناك ، فنسبة هذا القبر لها خطأ ولعله لواحدة من ثلاثة علي يهتم بها الشيعة .

٦ — أم حبيبة : هي زوجة الرسول وأخت معاوية بن أبي سفيان لها قبر في مقبرة الباب الصغير عليه قبة صغيرة بنيت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني . ولعل ما يجهلنا تقبل نسبة هذا القبر إليها ، ما ترويه المصادر من زيارة زوجة الرسول لأخيها معاوية في الشام ، وما ينقله ابن عساكر عن ابن الأثير خبر مشاهدة هذا الأخير قبرها فيما شاهد من قبور الصحابة والخلفاء في مقبرة الباب الصغير وذلك في القرن الخامس الهجري .

٥ — طبقة العلماء

كثيرون هم العلماء الذين اشتهروا في دمشق خلال العصور كقضاة أو محدثين أو مؤرخين أو أطباء أو صوفية الخ وهم فوق الحصر والتعداد وأخبارهم عملاً كتب التراجم إلا أن قبورهم ضائعة لا يعرف عنها سوى أنها في مقبرة الباب الصغير أو في سفع قاصيون أو الروضة أو مقابر الصوفية في الشرف القبلي (يعني منطقة الجامعة والمستشفى) أو مقبرة الدحداح بخارج باب الفرادين أو مقبرة الشيخ رسلان ، وقد اخترت من هؤلاء العلماء من تعرفت على قبره على وجه الدقة .

١ — ابن نجيمة : هو تقي الدين أحمد بن نجيمة الحرافي ثم الدمشقي . لقب بشيخ الإسلام الفقيه العالم المجاهد ولد بجران سنة ٦٦١ هـ . وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير وتوفي بها سجيناً بقلعتها من قبل السلطان المملوكي في أيام ولاية تنكز نائب الشام سنة ٧٢٨ هـ . وقد احتفل أهل دمشق بجهنازه احتفالاً لا يحصى به إلا العطاء القلائل . لقد خرج أهل دمشق نساءً ورجالاً ومعهم أهل القرى والأطراف لتشييعه . علي طبعه في الجامع الأموي

وأخرجت جنازته من باب البريد فلم يتمكن الناس من الخروج وراءها فتوزعوا على أبواب الجامع وضاعت بهم الطرقات فخرجوا من أبواب البلد جميعها ليتمكنوا من تشييع الجنازة إلى مقرها الأخير في مقبرة الصوفية ، وقبره هناك معروف ومصان في حديقة تقع خلف دار التوليد .

٢ — ابن عساكر : هو علي بن الحسن بن القاسم الدمشقي محدث الشام ومؤرخها المشهور بمؤلفه التاريخي الضخم الذي وضعه قديماً في ثمانين مجلداً ، ولد عام ٤٩٩ ورحل كثيراً في طلب العلم ثم توفي في دمشق عام ٥٧١ ودفن بمقبرة الباب الصغير شرقي قبر معاوية . وقبره ضائع يحتاج إلى شيء من التحريات للعثور عليه .

٣ — ابن كثير : هو عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير الملقب بالحافظ الكبير من أبناء بصرى الشام ، قدم دمشق وعمره سبع سنوات فتعلم وتبحر في الحديث والفقه ، وله كتب كثيرة أشهرها كتاب في التاريخ سماه البداية والنهاية وضعه في أربعة عشر مجلداً ، ويعتبر من المصادر الهامة . ولد سنة ٧٠٠ وتوفي سنة ٧٤٧ ودفن إلى جانب أستاذه ابن تيمية وقبره هناك معروف .

٤ — محيي الدين بن عربي : هو أبو بكر علي الحاتمي الطائي الأندلسي المشهور بابن عربي ، ولد بمرسية في الأندلس سنة ٥٦٠ وساح في البلاد ومات في دمشق سنة ٦٣٨ ، وضع عدة مؤلفات في التصوف جعلته من أئمة المتصوفين والفلاسفة الإلهيين ، واختلف الناس فيه فبعضهم من أنكر عليه فلسفته وصفها ومنهم من رفعه إلى مرتبة الأولياء . وقبره مشهور في الصالحية له مزار وقبة أمر ببنائها وبناء جامع إلى جانبها السلطان سليم الأول سنة ٩٢٣ هـ ، وتضم تربته قبور عدة أشخاص منهم الأمير عبد القادر الجزائري .

عبد القادر الرحباني

التعريف والنقد

الإمام محمد بن عبد الوهاب

مولده سنة ١١١٥ هـ وفاته سنة ١٢٠٦ هـ

تأليف الأستاذ أحمد عبد القفور عطار

لا شك أن الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله تعالى) هو مجدد أمر الدين في القرن الثاني عشر ، في أرض نجد وما جاورها من الأقطار العربية ، فقد نشأ المترجم ، ورأى الناس منغمسين في الجهالة والضلالة معا ، ووجد أكثر من يقول : لا إله إلا الله ، منهكم من في دعوة سواه ، ممن لا يضر ولا ينفع ، لقضاء الحاجات ، وتفرج الكربات ، وهم ينكرون على من دعا إلى عبادة الله وحده ، ويزعمون أن ذلك بدعة وضلالة ، ويعادون من عمل بالتوحيد وأحبه ، وأنكر الشرك وأبغضه ، وبعضهم لا يعد التوحيد خيلاً ، ولا يلتفت إليه لجهله به ، وعدم محبته له . ونحن نعلم بالضرورة أن النبي صلوات الله وسلامه عليه ، لم يشرع لأحد أن يدعو أحداً من الأموات بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، وأن ذلك مما نهى عنه الله ورسوله قال تعالى : « فلا تدعوا مع الله أحداً » ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه . كما جرى للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في ابتداء دعوته فإنه كان رحمه الله إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب رضي الله عنه قال : الله خير من زيد ، تمريناً بك بلين الكلام ، ونظراً إلى المصلحة وعدم الفتنة .

أمامنا الآن هذا الكتاب ، المسمى (محمد بن عبد الوهاب) البالغ (١٣٦ صفحة) المطبوع هذه الطبعة الثانية على نفقة المحسن السيد حسن شربتلي ، (سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م) المشتمل على مقدمتي الطبعتين للمؤلف وثلاثة الأستاذ محمد جميل شقदार تبين منزلة هذا الكتاب من الناحية الفنية على غيره .

وأما مباحثه فأولها : (الحياة في نجد) (ص ١٧ - ٣٢) بين الأستاذ العطار فيه كيف كان الناس يتخبطون في دياجير الجهل والكفر والظلام ، وكيف يقتل الأمراء والحكام - مَنْ ' يذكّرهم يوم الله ، ويخيفهم عقابه الأليم ، فاعتالوا كثيراً من العلماء الأجلاء رحمهم الله ، وفي هذه الصفحات الثلاث (٢٠ - ٢٣)

وصف حوادث القتل ، عن تاريخ نجد للشيخ عثمان بن بشر ، وهي مما :

يضمّ السميع ويعي البصير ويُسأل من مثله العافية

ثم يقل المؤلف ما ذكره المؤرخ ابن غنام في تاريخه عن فساد الحياة الدينية في القرن الثاني عشر في نجد والأحساء وغيرهما من البلاد العربية ، وعبادة الصالحين والأولياء ، والتبرك بالأشجار والأحجار ، وضرب لذلك الأمثال .

والمبحث الثاني في ولادة محمد ونشأته (٣٣ - ٣٧) وكان أكل نائس في

قومه . والثالث : حجه البيت وزيارته المدينة . وقد أخذ العلم في المدينة عن

أعلامها . والرابع : من المدينة إلى نجد ، ولم يطل به المقام في نجد حتى تجوز

للسباحة في جزيرة العرب ، ولما دخل البصرة ، ودعا إلى الله على بصيرة ،

لقي من أهلها الأذى والعدوان ، ومكث في الزبير أياماً ، ثم عاد إلى نجد ويضمّ

(حريملاً) داعياً ، آمراً ناهياً في كنف أبيه ، ولكنه فجّع بموته رحمه الله

(سنة ١١٥٣) فوجد عليه أشدّ الوجد ، واستقلّ بأعباء الدعوة في نجد ،

صامراً محتجباً ، ولقد تأمر الصيّد ، الأنجاس المناكيد ، على حياته ، ولكن

الله سلّم ، ثم انتقل إلى بلدة العيينة ، وكان أميرها عثمان بن حمد معمر ،

فأكرمه ، وزوّجه من ابنته جوهرة وكانت امرأة عاقلة فاضلة ، فأعانت الشيخ

في أمر الدعوة ، ثم ناصبه العداء ، الأشرار والسفهاء ، فدخل بلدة الدرعية ، ونزل عند عبد الله بن سويلم ، فنقل خبره إلى أمير الدرعية محمد بن سعود . فجاء الأمير بنفسه ومعه بعض رجاله إلى دار ابن سويلم ، ورحب بالشيخ ، وأتزله عنده ، وتلمذ له هو وأشقائه وكبار الدرعية ، وعمّ العلم جميع الطبقات ، وتتابعت الوفود إلى الدرعية ، يستقون من معين العلم الصافي الذي لم تكدره البدع والأوهام .

ولما رأى ابن معمر أن شأن صهره الذي أخرجه من بلده طريداً قد عظم ، قصد الدرعية ودعا الشيخ مؤكداً أنه سينصره نصراً عزيزاً ، فأجابه الشيخ بقوله : إن الفرصة قد ضاعت .

وعاد عثمان بن معمر إلى الدرعية مرة ثانية لاسترضاء الشيخ ولكنه لم يفلح ، أما أهل المدينة فقد بايعوا الشيخ كأهل الدرعية مبايعة صادقة كان منها : « كما نبايع على عدا كل من عادى الشيخ وموالاة من والاه ولو أنه أميرنا عثمان » لكن عثمان لم تكن مبايعته عن صفاء نية وصدق عقيدة . قال ابن بشر : في سنة ١١٦٣ هـ قتل عثمان بن معمر في مسجد المدينة بعد صلاة الجمعة ، انتدب لقتله أناس من جماعته ، ذكروا أنهم تحققوا منه نقض العهد وموالاة الأعداء ومالاتهم اهـ ، ثم أقام الشيخ شقيق القليل شاري أميراً مكانه وأمر أهلها بالطاعة له ما لم يدع إلى منكر . واكتظت الدرعية بطلاب العلم ورواد الحق . نقلت أخبار الإمام محمد إلى الكبراء ، فخاف الأشرار الأقوياء أن يمتد سلطان المصلح الجديد إلى ممتلكاتهم ورعاياهم ، وكان من ألد أعدائه دهم ابن دواس أمير الرياض ، وسليمان أمير الأحساء ، وبنو خالد ، وابن مفلح أمير القطيف ، وابن ثويني أمير البصرة ، وكان أشد الأشرار عداء لدعوة الحق والإصلاح دهم ، فدارت حروب طاحنة بينه وبين الأمير محمد بن سعود ، واتصر ابن سعود عليه ، فخادع دهم ، وكان الأمير والشيخ بانضمامه مع

جيشه إليها ، وفي ربيع سنة ١١٧٨ هـ خرج ابن سعود ومعه دهم بأهل الرياض
 لحرب العجمان الذين استنجدوا بصاحب نجران وغيره من القبائل فأنجدوهم ،
 وخان دهم ، فكان على الأمير ابن سعود مع العجمان ، وبسبب هذه الخيانة
 هزم ابن سعود وقتل رجاله . وأعاد الله له الكرة بعد ذلك ، وخرج دهم
 خارجاً على وجهه ، من بعد أن قامت الحرب بينه وبين الأمير سعود نحو سبع
 وعشرين سنة . وابتلى الأمير والشيخ بعد دهم بعربع أمير الأحساء ولم يكن
 أقلّ ضرراً من غيره ، ثم صرفه الله كما صرف ابنه بطين من بعده ،
 قال المؤلف (ص ٨٩) : ومن أراد أن يشبع رغبته من الاطلاع على الوقائع
 كلها ، فليرجع إلى تاريخي ابن بشر وابن غنام .

ولما شعر الشيخ بدنو أجله ، اعتزل السياسة والحكم تاركاً أمر إدارة المملكة
 إلى الأمير عبد العزيز بنجل الأمير محمد آل سعود ، وتفرغ للتدريس والتصنيف ،
 وذكر له الأستاذ المطار ثمانية عشر مؤلفاً ، قال (ص ٩٧) : وللشيخ رسائل
 أخرى وفتاوى كثيرة ، لو جمعت لكانت أجزاء عدة لكتاب ضخم .

(المشابهة بين عهدين)

تحت هذا العنوان عقد المؤلف فصلاً في المشابهة بين عصر الضلالة قبيل النبوة ،
 وعصر الجلالة قبيل قيام الإمام ابن عبد الوهاب بنشر الدعوة . فرفعت راية
 التوحيد في العهد الأول ، وراية التجديد في العهد الثاني ، وكانت الهجرة والنصرة
 للموحدين في العهدين ، فنصر الله عبده وأخيراً جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

(الدعوة الوهابية)

ذكر المؤلف في هذا البحث الدعوة الوهابية وخلاصتها : الدعوة إلى الدين
 الخالص ، والكلم الطيب ، والعمل الصالح . وقد أورد المؤلف طائفة من كلام
 مشاهير العلماء والكتاب في المذهب الوهابي ، وأنه للمذهب الحنبلي بمنه ، وجعلوا

محمد بن عبد الوهاب ثالث الرجلين في الإصلاح والتجديد : ابن تيمية وابن القيم الدمشقيين .

وفي جوهر الدعوة الوهابية (ص ١٩) ومبحث القبور والتمجور (ص ١٢٥) إلى آخر الكتاب ، أمم المسائل التي دعت إليها الوهابية ، والتي حذرت منها أو نهت عنها ، فالأولى تضمنت صرف جميع أنواع العبادة لله وحده ، ومنع التوصل بغير العمل والدعاء ، والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه المخلوق ، وطلب الشفاعة من مالئها ، والفلو في أهل القبور ، وتحريم المسكرات ، ومنع الدخان ، وذكر أدلتها من السنة والقرآن ، وقيل عن بعض من تكلم فيها من الأئمة الأعلام .

ولا يخلو الكتاب من أغلاط قليلة ومطبعة تشير إلى صفحتها :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٧٨	خير	خير
٧٩	سبعاً وعشرين	سبع وعشرون
٨٠	عن بعضها	بعضها عن بعض
٩١	في عصر	في عصره
١٠٥	حمر النعم	من حمر النعم
١٠٥	هنا	هذا
١٠٨	وابن القيم الجوزية	وابن قيم الجوزية
١١٦	عمر بن النصر	عمر أبي النصر
١١٦	جزيرة العرت	العرب
١١٩	ولا تخشوم	(فلا تخشوم) .
١٢٩	ويخرجاه	ولم يخرجاه

ولعل المؤلف قد سماها عن وضع فهرس للكتاب ، والله الموفق وإليه المآب .

الشيوعية والإسلام

تأليف عباس محمود العقاد — أحمد عبد القفور عطار

كتاب يقع في مائة وستين صفحة . أوله (إلى ص ١٠٨) للأستاذ العطار .
والقسم الثاني عنوانه « الإسلام والشيوعية » وهو فصل كبير من مؤلف ضخم ،
للأستاذ الشهير العقاد ، سماه « الشيوعية والإنسانية » ، وقد أحسن الأستاذ
العطار بضم هذا الفصل إلى كتابه ، إذ دافع فيه الأستاذ العقاد عن الإسلام
في قضايا الرِّق وتعدد الزوجات ، وحدود العقاب ، وشروط المعاملات الاقتصادية
وغيرها دفاعاً مقنعاً لا يحتمل الجدل الباطل ، وبين فيه جنابة المذهب المادي
على المرأة والأسرة ، ثم على المجتمع في حاضره ومستقبله ، قال (ص ١٤٢)
فلن يكون خلاصها من الاستغلال على يد النظام الذي يرسلها إلى الأسواق ،
والمصانع ومعارك السياسة والكفاح ، ولن تخلص من الاستغلال إلا إذا ملكت
بيتها أما وربة أسرة ، ومسيدة للعالم الصغير ، وذكر القيود والشروط لإقامة
الحدود والتعازير ، وأوضح حل الإسلام لمشكلة الفقر والحاجة بإيجاد العمل على
القادرين ، وإسعاد العجزة والعظام الفقيرة ، من طول السنين . وأما الأستاذ
العطار فقد حارب الشيوعية حرباً لا هوادة فيه ، ولما سأله بعض الإخوان عن
رأيه فيمن ينقلب شيوعياً من المسلمين ؟ أجاب بأن الشيوعية تنكر وجود الله
ورسالة الرسل عليهم السلام (قال ص ٨) وهذا وحده كاف لأن يهدبنا إلى
الحكم على منتقها ، (قلت) وهذا القدر معروف بالحكم ، وهو يغني عن كل
ما سبقه ولحقه من صب وشم ، لا سيما بعد أن عادت الشيوعية واعترفت بالأسرة ،
وبالملكية الفردية ، وقال (ص ١٠٦) لقد لحق التبديل والتغيير كل قواعد
المذهب وأأسسه ، فالأسرة قامت من جديد ، والملكية اعترفت بها ، واعترفوا
بالوطنية والقومية ، ورفّع النقد الأدبي رأسه ، فصارت الصحف الروسية تفسر
النقد ، ولكن ليس للأداة الحكومية وجهاز الحكم ، ومن يقدم مقادير البلاد ،

ومع ذلك فهو بشرى خير إن شاء الله ، وكذا تقرأ في الفصل الذي عقده الأستاذ العقاد ، رجوع الشيوعية عن عوامل المدم والفساد ، في الأسرة والمجتمع ، وإثبات الحرية الشخصية ، والملكية الفردية ، في المزارع ، وهزيمة المذهب القديم (ص ١٥٦ و ١٥٩) . وهذا يدل دلالة صريحة على أن الشيوعية كانت شيوعية أرض لا شيوعية عرض .

وكان لبى مجمعنا العلمي بدمشق دعوة المجمع الموسكوي سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م ، واجتمعت هنالك باخرواني المسلمين ، وصلت الجمعة في جوامع موسكو وطاشقند ، وزرنا 'قثم بن العباس (رضي الله عنهما) الذي استشهد في سمرقند ، وشاهدنا جامع لينين كراد الذي بنوه بعد الانقلاب الأخير في عاصمة الروس القديمة ، وكنا نسمع خطب الجمعة بلغة القرآن ، واجتمعنا في طشقند بالشيخ المعمر المفتي العام رحمه الله ، وتناولنا الطعام على مائدته مع القاضي الفاضل ، وأخبرونا أن أربعة عشر جامعاً في هذه العاصمة تقام فيها الصلاة ، وعدد نفوسها نحو مليون نسمة ، ورئيس جمهوريتها مسلم ، وأكثر أعضاء المجمع العلمي في طاشقند من المسلمين ، وأكثر من ثمانين بالمائة منهم أيضاً ، وهم يزعمون الشرقي وعمائمهم كما رأينا في مكة والمدينة وجدة والطائف من أرض الحجاز ، وفي بلاد الشام ، وشهدنا - في سمرقند - تجديد عمران المساجد القديمة ، ورأينا صورة داحية الإسلام في بلاد الروس الشيخ طنطاوي عياد المصري (رحمه الله) الذي توفي من نحو نصف قرن ، مرتفعة على الجدران مع صور مشاهيرهم وأكرم رجالهم ، وإنما ذكرت هذا عملاً بقوله تعالى « وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا : اْعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ » (أي لا يحملنكم بغض قوم لكم ، أو بغضكم لهم ، على ألا تعدلوا فيهم : اعدلوا هو أقرب للتقوى) وهذا أمر إلهي لا يستطيع المسلم أن يعدل عنه ، أو يماري فيه ، فآلهم ألهمنا رشدنا .

أسرار العربية

للامام أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري

بتحقيق الزميل الأستاذ محمد هبة البيطار من أعضاء المجمع العلمي العربي

مسدد صفحاه ٤٢٩ غير الفهارس ، وطبع بدمشق (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م)

إن من أظهر صنائع المجمع العلمي العربي الجديرة بوقف الألسنة على شكرها اهتمامه بنشر ذخائر سلفنا العربي الصالح التي تعين على بحث لغتنا وإحياء آثارنا العلمية والأدبية ، ومن أنفس تلك الذخائر الدالة على مبلغ عنايتنا سلفنا بالعربية وعلومها (كتاب أسرار العربية) للامام عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري الحكم الفصل بين المنهجين البصري والكوفي في النحو ، وغير التميز لمذهب البصري إن كان الحق يؤيد الكوفي ، وفي ذلك ما فيه من بث روح الانصاف في طلاب النحو ، والحث على التزام الحيدة العلمية في التأليف والتعليم ، ولا أبين لما ذكرت ولا أوصف لموضوع هذا الكتاب مما وصفه به في المقدمة مؤلفه إذ يقول :

« وبعد فقد ذكرت في هذا الكتاب الموسوم « بأسرار العربية » كثيراً من مذاهب الثوريين المتقدمين والمتأخرين من البصريين والكوفيين ، وصححت ما ذهبت إليه منها بما يحصل به شفاء الغليل ، وأدخيت فساد ما عداه بواضح التعليل ، ورجعت في ذلك كله الى الدليل ، وأعفيت من الإسهاب والتطويل ، وسهلت على المتعلم غابة التسهيل ، والله تعالى يتنعم به ، وهو حسي ونعم الوكيل . »

وقد صرف الأستاذ الناشر الفاضل نظره عن إبداء ملاحظاته والمبالغة في التعليق والتعليل تفادياً من الإملال والتطويل ، مكثفاً بإخراج نسخة صحيحة

من النسخ المخطوطة والمطبوعة التي بكل بعضها بعضاً ، كما عني بتفسير غامض اللغة وشرح الشواهد وعزوها الى أهلها مع ايراد تراجم لما في الكتاب من العلماء والشعراء ، كما كشف عن مكامن فوائده بفهارس مفصلة تعين على الرجوع الى المسائل التي يحتاج المطالع أو المراجع اليها ؛

وهناك لأسرار العربية ثلاثة أصول مخطوطة : أجلها مخطوطة مدينة السلام القديمة القوية التي اعتمد عليها المستشرق الألماني فريدريك ميبولد لكاملها فاعتمد عليها الناشر لذلك ، ولسقوط أبواب كاملة من النسختين المزيينتين ؛ وقد مضى على طبع أسرار العربية بليدن ثلاثة أرباع القرن ، ففقدت النسخ المطبوعة كلها ، وفي بلادنا العربية خاصة ، وأصبح بذلك هذا الكتاب المطبوع كالمخطوط ، ويبعد عن العيون كالمدفون ، مما دعا مجتمعا العلمى إلى إعادة طبعه لتعميم نفعه . هذا وقد أكل الناشر المحقق هذا الكتاب الجليل بترجمة ضافية للمؤلف في حياته العلمية والخلقية وبين ماله من مؤلفات ممتعة أحسن للقراء وصفها ، وبذلك أصبح هذا الكتاب المنشور داني القطوف للراغب وقريب المثال للطلاب ، لا تشوبه سوى هفوات مطبعية لا يخلو منها كتاب ، فاقه يميزي المؤلف والناشر عن العربية خير الجزاء ، فلقد يقصر عن حقها طويل الثناء .

التروحي

اقتصاديات العراق

محاضرات الدكتور عبد الرحمن الجليلي في ٢٥٥ صفحة

إن درس الحالة الاقتصادية ، في كل قطر من الأقطار العربية ، من قبل الإخصائيين ، فيه فوائد جمة ، للعرب أجمع ، إذ يعرف بعضهم بعضاً ، ويتفاهمون في الأمور الاقتصادية ، ويتقاربون في الأعمال ، وقد أحسن معهد الدراسات العربية العالية ، في جامعة الدول العربية ، سبغ الطلب الى بعض الاقتصاديين بالقائه محاضرات على طلبة المعهد ، وفي جمها في كتاب على حدة .

لقد كان الدكتور عبد الرحمن الجليلي من الذين حاضروا عن اقتصاديات العراق . وقد بحث الدكتور الجليلي في محاضراته هذه ، عن مساحة العراق ، والأراضي القابلة للزراعة هناك ، وحالة الأمطار ، ومقدار الإنتاج ، وعدد السكان والبدو ، وعدد عمال الزراعة ، الذين يبلغون ٦٠ — ٨٠ في المئة من مجموع السكان .

وبين حالة التعليم في المدارس وان عدد التلاميذ قرابة ربع مليون أي ١٢٪ من مجموع السكان ، وان عدد المدارس قد ارتفع الى ١١٠٠ مدرسة كما بين أن لكل ٢٠٠٠ شخص طبيباً واحداً ، وان الملاريا تقضي على ما يقرب من ٥٠ الف نسمة في كل عام .

وقدر متوسط دخل الفرد السنوي بحوالي ٣٠ ديناراً للفرد ، على اعتبار ان مجموع دخل العراق العام السنوي هو ١٥٠ مليون دينار ، وهو دخل ضعيف ولا شك مما يدل على أن الحكومة العراقية كانت قائمة عن تحسين اقتصاديات البلاد ، وعلى أنه لولا النفط ، الذي بلغ دخل الحكومة منه عام (١٩٥٣) ٥٢ مليون دينار ، ثم ارتفع الى قرابة مئة مليون دينار في عام ١٩٥٨ ، لكادت بقيت اقتصاديات العراق سيئة لزم من طويل .

ثم بحث عن صادرات العراق ، وعدد الجرارات والدراسات الحاصدات ،
ومعيشة الفلاح السيئة الذي هو عبارة عن أجير عند صاحب الأرض .
ثم بحث عن الماشية (كل أنواع الحيوانات) التي تبلغ قرابة عشرة ملايين
رأس ، وهي قليلة ولا ريب .

وبحث عن الصناعة وقال ان العراقيين لم يعتادوا توظيف أموالهم في الصناعة ،
ولام الحكومة عند بيان السبب بقوله : « عدم قيام الحكومة بتوفير التاجية
الفنية والإدارية لتشجيع الناس على الدخول في المجال الصناعي لأن مجرد الإعفاء
من الضرائب لا يغير الأشخاص الذين لا يعرفون كيف يستثمرون أموالهم
في الصناعة (ص ٦٣) .

ثم بين أن الحكومة العراقية قامت ببعض الصناعات ، كمناعة الآتشة ،
والاسمنت ، والسكر ، ولكنها لم تدر مصانعها بمهارة ، جعل الدكتور المحاضر
يقول : « ان التبذير في الأعمال الحكومية قضية مسلم بها وعدم وجود الدافع
الشخصي والمنفعة الذاتية ، يجعل كفاءة المصانع الحكومية أقل من كفاءة
المصانع الفردية » (ص ٧٣) .

وقد انتقد الإقليم الضيقة في البلاد العربية ، التي لم توجد صناعات ثقيلة ،
فقال : « وبكفي أن تشير الى أن صناعات عسكرية كبيرة ، وميكانيكية
يمكن أن تنشأ وتنتج في البلاد العربية لو كانت الوحدة بينها حقيقية وصحيحة »
(ص ٧٥) وهذا قول حق .

وقال إن إحداث المصرف الصناعي في العراق عام ١٩٥٠ برأسمال مليون دينار
ثم ارتفاع رأس المال الى ثلاثة ملايين عام ١٩٥٢ قد أفاد الصناعة في العراق .
وبحث عن التجارة في العراق وبين العجز التجاري المتواصل ، وان المستورد
في عام ١٩٥٣ كان بقيمة ٥١ مليون دينار ، بينما لم يكن المصدر إلا بقيمة
(٩) .

٢٠ مليون دينار ، أي ان العجز كان ٣١ مليون دينار وهذا دليل على اهمال الحكومة آتئذ .

ثم بحث النظام النقدي في العراق ، وان المصرف الوطني قد أسس عام ١٩٤٢ ، وبين أن مجموع الودائع التي في حوزة المصارف التجارية في عام ١٩٥٢ كان ٣١٥٣ مليون دينار وهو قليل ولا ريب .

وبحث عن النفط العراقي والشركات التي تستثمره وتاريخها ومقدار الانتاج وحصة العراق ، ومساهمة العراق في الشركات والمصافي هناك ، وخط الانابيب بين كركوك وبانياس وطوله ٥٦ ميلاً ، وسعته ١٤ مليون طن ، وتأثير النفط في الاقتصاد العراقي ، ونسبة الدخل من النفط الذي بلغ عام ١٩٥٣ ٥١ مليون دينار الى الدخل القومي الذي هو قرابة ١٥٠ مليون دينار ، وان حصة الحكومة من النفط هي ٥٠٪ فقط .

ويظهر أن الحكومة العراقية ، قد قصرت في استهلاك مقدار كبير من أسهم شركات النفط ، التي تحسب بموجبها حصة العراق ، لأن العراق يحرم من جراء تلك الأسعار ، ما يزيد على ١٠ - ١٥ مليون دينار في كل عام .

وتحدث عن مجلس الإعمار الذي أحدثته الحكومة العراقية عام ١٩٥٠ ، ووزارة الإعمار التي أوجدتها عام ١٩٥٣ وبين الصلاحية الواسعة للمجلس والوزارة ، وقد بلغت واردات المجلس في عام ١٩٥٤ مقدار ٣٨٨٨ مليون دينار والنفقات ٢٠ مليون دينار فقط ، وان المجلس أقرض مبلغ ١٤ مليون دينار الى المصالح والدوائر المستقلة ، وان المجلس أوجد برامج للزراعة والصناعة والمواصلات والمباني لمدة خمسة أعوام ، وكل ما خصص لذلك ، هو من موارد النفط .

وختم محاضراته يبحث سياسي اقتصادي ، وهو اشتراك سورية والأردن

ولبنان مع العراق في العمل ليصبحوا منطقة من العالم ، وان لبنان يلقى العنت من سورية (ص ٢٥٠ - ٢٥٥) .

وقد قال في ذلك : « ونجد كيان العرب السياسي والعسكري في هذه المنطقة من العالم ، وفي العلاقات الدولية ، قائمة على تجمعهم في كيان ينتظم أول الأمر ١٤ مليون من السكان ، لهم من الموارد الطبيعية والثروة المستقلة ، ما تساعدهم على سرعة بناء كياناتهم السياسية والعسكرية على أحسن وجه وأقواء » (ص ٢٥٤) .

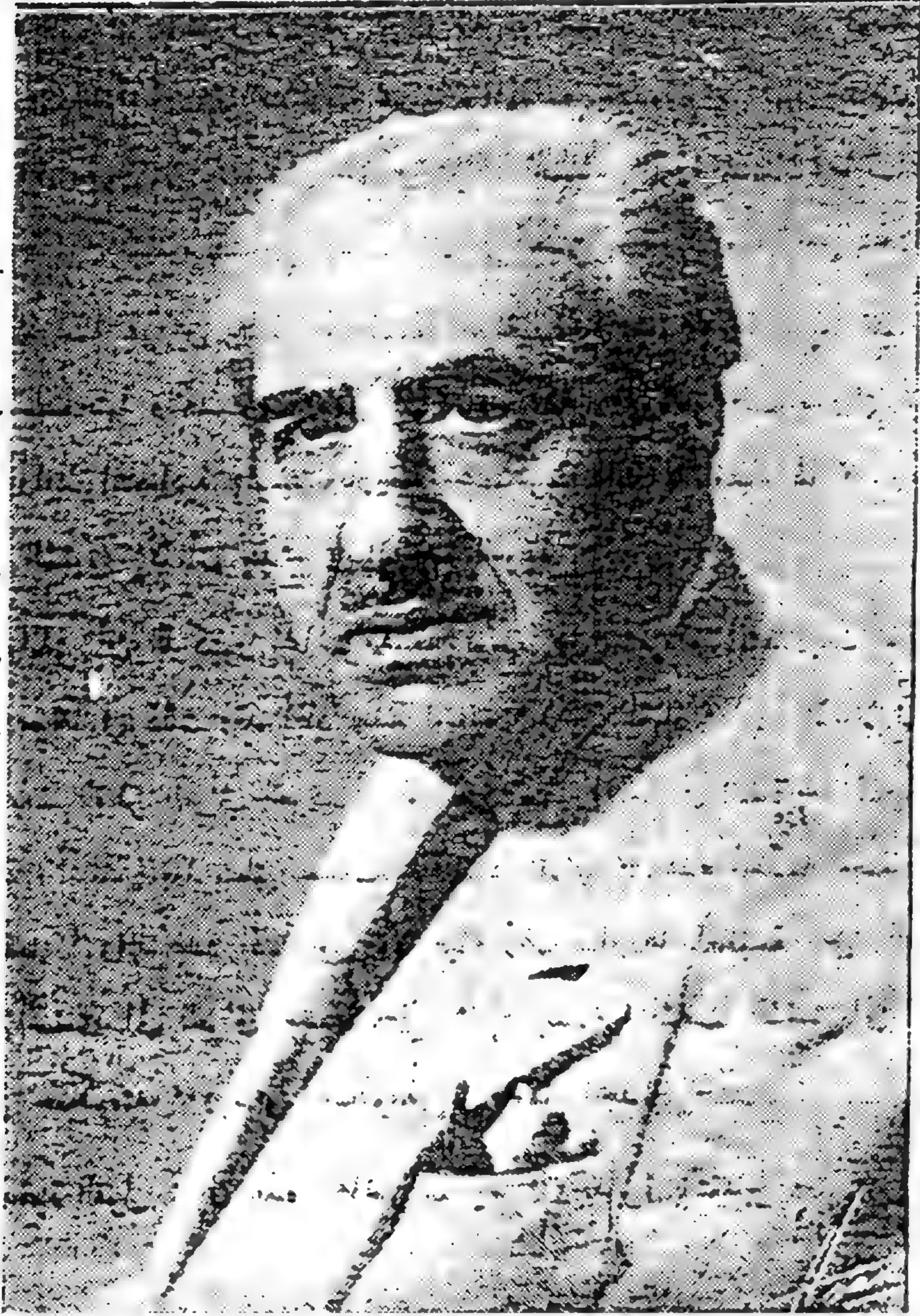
وقوله هذا هو من خطة الحكومة العراقية (عام ١٩٥٥) بينما قد رأت سورية مصلحتها واتحدت مع مصر التي تكن لها أجمل العواطف ، والتي تربطها بها « روابط اقتصادية وقومية وتاريخية وعسكرية هامة لا انقسام لها ، وما على العراق الشقيق إلا أن يندمج في الوحدة العربية » .

في الحلق أن الدكتور المحاضر ، قد توسع في استعراض اقتصاديات العراق ، وكان موثقاً في ذلك وقد أفاد طلبة المعهد ، وغير المعهد ، في الاطلاع على اقتصاديات القطر العراقي العربي ، ولو أنه توسع أيضاً في انتقاداته للحكومة العراقية (آتئذ) فيما يتعلق بضعف الاقتصاد القومي ، وعدم أخذها حصة كافية من النفط ، وقلة عدد المدارس والأطباء رغم مواردها العظيمة من النفط ، لكان أسدى الى العراق خدمة جلي ، إذ ينبه الشعب الشقيق الى تسبب وإهمال حكومته ، ويدعو الحكومة إلى العمل المجدي .

وصفة القول : ان هذه المحاضرات قيمة ، وجديرة بالتقدير .

منير الشريف

آراء وأبناء



الأستاذ الرئيس خليل مردم بك

(١٨٩٥ — ١٩٥٩)

خليل مردم بك

(١٨٩٥ — ١٩٥٩)

في صبيحة الثلاثاء اذافع في ١٥ محرم ١٣٧٩ هـ ، والموافق لـ ٢١ تموز ١٩٥٩ ،
قضى رئيس مجمعنا العلامة الشاعر الأستاذ خليل مردم بك ، إثر مرض لازمه
شهوراً ، فبكته البلاد ، وشيعه أعلام العرب ، ومشى وراء نعشه رجالات البيان .
وكان لنعيه رنة حزن وأسى في القلوب جميعاً ، لما كان عليه الراحل الفقيد من
مزايا نادرة وصفات باهرة في الخلق والأدب والنتاج . وبموته انطوى عالم من
أعلام الجيل الماضي ظل خفاقاً منذ أهل القوت .

كان الفقيد نموذجاً رائعاً من رجال البيان لصدر هذا العصر في أدبه ونتاجه ،
يلز بالفحول من الشعراء في مصر والعراق ولبنان ، ويلحق بكبار الأدباء من
الصفوة المختارة ، رفع اسم بلاده عالياً ، وقضى حقها كاملاً ، وناضل في سبيلها
كل حياته ، فأصبح منارة يستضيء بها الجيل الصاعد ، وغدا أمثلة تحذى
وسيرة تقرأ . فقد كان من الأوائل الذين استساغوا الأدب الضخم والعبارة
الفخمة والشعر المتين ، عكف على تراثنا الخالد ، وأفاد منه ، وحببه إلى الناس
فخدم الأدب المعاصر خدمة لا تنسى ، وكان صلة الوصل بين القديم والحديث ،
جمع أطيب القول وأحسن الصور ، وعرضها في أجمل ثوب وأحسن حل ،
وقامى في سبيل ذلك ما لا يقاسيه جيلنا من فقد المصادر . وندرة الخزائن ،
وقلة الثقافة ، وضآلة التعليم ، وجفاف البنايع .

كان القرن التاسع عشر يتنفس آخر سنيه ، شقياً بما شهد من ظلم وعسف
وضيق ، وكانت الأنوار تظهر حيناً وتختفي أحياناً . وفي سنيه الأخيرة ، قبل

أن يموت هذا القرن ، ولد خليل مردم بك حوالي سنة ١٨٩٨^(١) بدمشق ،
 لأب هو أحمد مختار مردم بك ، وأم هي السيدة فاطمة الجزاوي ابنة السيد
 محمود الجزاوي منّي دمشق وعلاقتها ، وصاحب التصانيف المعروفة من شعر ونثر .
 ولم يكن له إخوة من الذكور ، وإنما كانت له خمس شقيقات ، فدفع به
 أبوه إلى التعلم ، وسلكه في مدارس ذلك الزمان ، وهي ضعيفة الثقافة ، فنشأ
 الصبي كما نشأ أقرانه ، ودرج في مدرسة الملك الظاهر الابتدائية . ولكنه
 ما كاد يتم الرابعة عشرة من عمره حتى فقد أباه ، ثم فقد أمه بعد أربع سنوات ،
 فغدا في صدر حياته يتيم الأب والأم ، يسير بين أشواك الدنيا حذراً قلقاً
 متردداً ، حياً خجولاً ، وكان المصيبة طبعته بطابع الصمت والحذر والسكون
 ولازمه ذلك طوال حياته .

ومضى الشاب إلى إكمال تحصيله رغم بعمه ، يتم علمه على أساليب تلك الأيام ،
 فأقبل على الحديث والفقه والنحو والصرف ، فدرس الحديث على المحدث الشيخ
 بدر الدين الحسيني ، والفقه على قاضي الشام الشيخ عطاء الله الكسم ، والصرف والنحو
 على الشيخ عبد القادر الإسكندراني ، وهم علماء دمشق والمقدمون في مجالي
 الثقافة والمعرفة ، فأفاد منهم ، وأخذ عنهم ، حتى علفت به أساليب القدماء وطرقهم ،
 فوقف على العربية وهو ما يزال يزحف نحو العشرين من سنه ، وراح يقرض
 الشعر ، ويتلمس بقرائنه ، يقلّد القدماء ويمجري على صنفيهم حتى أصبحت له
 ملكة في الشعر ، فدار اسمه ولمع صيته في بلده .

واقضت سنة ١٩١٨ يوبلاتها وشرورها ، وجلال الأثرak عن دمشق ،
 فعين الشاب مميزاً لديوان الرسائل العامة ، يتنقح ما بين يديه من أوراق ،

(١) ذكر بروكمن ٣/٣٥٦ في ترجمته لفتيد ، أنه ولد سنة ١٨٩٥ ، وله قلها
 عن كاهنهم الذي استكتب أدباء دمشق سيرهم ، بأنفلهم . ولكننا تابع في
 حساب السنين ما كان الراحل يريد أن يحله سنة لولادته في أوراقه الرجبة .

ويختار أشرف الألفاظ ، ويمارس الوظيفة مترقياً في مراتبها حتى أواخر سنة ١٩١٩ .
وقد شهد خلال هذه الحقبة كثيراً من الرجال الرسميين عن كتب ، واستمع
إلى أحاديثهم ، ورأى بعينه تاريخاً جديداً للأمة العربية يسطر ويكتب ،
فاهتز قلبه للأجناد ، وفتحت نفسه للمناصب ، وظل عمره كله يذكر تلك الحقبة
السعيدة من سنيه ، ويتغنى بأنه رأى أمته تنشئ الحياة وتبني العز من جديد
بعد ركود طويل . فأمن بعروجه ، وتعشق بطولاتها ، وسحر بتاريخها ،
وأحب أن تعود كما كانت لتسابق النجوم وتنافع المفاخر ، فمال قلبه إلى الشعر
الوطني ، وتغنى لسانه باستقلال العرب .

ولما دخل الفرنسيون دمشق ترك الوظيفة ، وانصرف عن خدمة القوم ،
وتغلغل في قلبه كرههم ، وعرف بذلك كل حياته ، وعشق الشعر الموهجي ، وأطال
صحبه لإنتاج الرابطة في نيويورك ، فكان من ذلك أن أسس مع صحبه « الرابطة
الأديبة » ، دخلها معه أدباء ذلك العهد ، وفيهم : محمد الشريفي ، أيفانوس ،
شفيق جبري ، حيدر مردم بك ، سليم الجندي ، سليم دموس ، أحمد شاكر
الكرمي ، قبلان الرباشي ، عبد الله التجار ، جورج ريس ، نسيب شهاب ،
ماري عجمي ، عز الدين علم الدين ، نجيب الريس ، فخري البارودي وغيرهم . . .
وعقد أعضاء الرابطة أول اجتماع لها في شهر آذار سنة ١٩٢١ ، ووضعوا قانوناً
لجمعيتهم ، وانتخبوا خليل مردم بك رئيساً للجنة الإدارية وعمره ثلاث وعشرون سنة .
وكانت الجمعية تعقد كل أسبوع اجتماعاً ، يلقي فيه أحد الأعضاء محاضرة
في موضوع معين . ثم أنشأت الرابطة مجلة باسمها « مجلة الرابطة الأديبة »
فكانت من خيرة الصحف لذلك الزمان في موضوعاتها وفي أسلوبها ، تختار أطايب
القول في الشعر والنثر ، وترجم عن غول الغربيين ، وتغنى باللغة ومفرداتها .
وقد صدر العدد الأول منها سنة ١٩٢١ ، وفي صدرها شعارها : « إنشاء جامعة
أديبة تلم شملهم وتوحد قوتهم » .

وفي هذه المجلة نشر الفقيه شعراً ودراسات ، وكان الشعر في الغزل ،
وهذه مطالع بعضه :

الهوى يابى صعب فارحى من لك يصبر

أما ينك قلبك مستطارا إذا ما البرق أودى واستطارا

هل تذكرين بسفح دمر ساعة فيها اقترشت يدي وفضل ردائي

وهذه القصائد مشوبة العاطفة ، مضطربة الالوعة ، تمثل الشاب في هذه السن ،
وقد تفتح قلبه للهوى وخفت ضلوعه للحنين ، رسالت في دروب حفظه أرقام البحري
وابن المتمر وقصائد العذويتين ، فكان صورة عنهم في الرقة والالوب وفي كثير
من معانيه ، فقد سلك الشاب في حب الشعر القديم والتراث الخالد منذ هذه
السن مسلماً عجيباً ، وعكف على المخطوطات ، وأخرج مع زملائه من أعضاء
الرابطة كتاب «معاني الشعر» للأستاذاني ،^(١) وطبعه بدمشق سنة ١٩٢٢ .
وظفق بعد ذلك بكتب مقالات ودراسات في مجلة المجمع العلمي عن المخطوطات
ونقد الكتب المحققة ، فكان لأسانيذه القدماء فيما نظن أثر في توجيه هذه
الوجهة ، بل كان للمحققين في زمانه يد في هذا الحب ، وفيهم الشيخ طاهر
الجزائري والأستاذ محمد كرد علي .

وظل الرجل يعمل للرابطة وحلقاتها وعجلتها حتى شعر المستعمرون أنه محور
بقضة ، وموضع بحث فأغلقوا المجلة ، وحلوا الجمعية ، وانتشر العقد ووقفت الرابطة
بعد أن قامت بنشاط منتج ، وأصدرت من المجلة تسعة أعداد مدت بها فراغاً كبيراً .

ولا شك في أن هذا النشاط وهذا الانتاج دفعا بالمجمع العلمي العربي إلى
تقدير شاعرنا وانتخابه عضواً في المجمع^(٢) ، فتقدم إليه برسالة عن «شعراء الشام

(١) طبع بنقطة الرابطة سنة ١٩٢٢ في ٢٠٨ صفحات .

(٢) انتخب في ٩ كانون الثاني سنة ١٩٢٥ .

في القرن الثالث» تمت على حذق وفهم وحب عميق للشعر الأصيل ، وعكوف على هذه الطبقة المختارة من شعراء العرب ، ظل قعيدنا يفتديها بقراءاته وبحوثه ، وجهوده في جمع الدواوين طوال عمره حتى كاد يستكمل حلقة الشعر في الشام منذ القرن الثالث حتى السابع . وقد نشر دراسته هذه في مجلة المجمع^(١) أولاً ، ثم طبعها على حدة في كتاب صدر سنة ١٩٢٥ .

وهكذا احتل الرجل مقعداً من مقاعد الخالدين . وكانوا خلاصة الأعلام وصادة الثقافة والبيان ، ينظر إليهم العرب في أقطارهم على أنهم معقد الأمل وحسن العريية ومصنمها الضخم ، عنهم تصدر المقالات الرصينة ، وفي دارهم تعقد الندوات الأدبية الرفيعة ، ويديم تحرر أدنى مجلة علمية نشأت مع الاستقلال العربي . وما زالت كذلك إلى اليوم نطيف على عالنا كؤوس المعرفة صافية ، ودراسات الأدب نقية ، خالية من شوائب العصر ، بعيدة عن السياسة كل البعد ، حتى غدت منارة وحدها بين صحف تولد وتموت ، وتظهر وتطوى ، ولكنها كالجميع تقف جلت على الظلود ، والظلود لا يجتبه عيب ولا يلحق به نقصان . وكانت هذا المجمع مثلاً ناجحاً احتذاه علماء القاهرة وبغداد ، فأنشؤوا في كل من الحاضرتين مجعاً ومجلة ليسيروا بها على غرار دمشق .

وفي هذه المجلة نشر الفقيه مقالات يجب أن تجمع ليوم ذكراه ، كما فعل في جمع مقالات غيره ، فقد كان الرجل مثلاً التواضع والتفاني فنصرف ممتد إلى دواوين غيره ومقالات زملائه ، ولا يصح أن ينصرف زملاؤه عن العمل لمقالاته ودراساته .

وفي هذه السنة نفسها (١٩٢٥) نشر قعيدنا « كتاب وقف الوزير لالا مصطفى باشا » وكتاب وقف فاطمة خاتون بنت محمد ابن السلطان الملك

(١) انظر مجلة المجمع سنة ١٩٢٥ (ص ٢٩٤ وما عليها) وكتاب شعراء الشام ، طبع دمشق سنة ١٩٢٥ ، في ٩٦ صفحة .

الأشرف قانصوه الغوري» وكتب على الغلاف : « وقف على طبعها خليل بن أحمد مردم بك »^(١) .

ولم تكن أعمال النشر والتحقيق والمقالة وحدها هي التي تستبد بوقت فقيدنا ، فقد كان يؤمن بأن للنضال عليه حقاً ، لذلك عاش حياته كلها بعمل للأدب وبتحني بالثورة ، فهو في برزخين أبداً ، ينتقل من هذا إلى ذاك ، كما ينتقل الطير من قن إلى قن ، فكان ينظم الشعر في الجبال كما ينظمه في خير وطنه وفي إثارة الشعب ورد الطغيان ودفع الظلم ، فكانت منه قصائد عامرة نظمها في الوطنية والعروبة وطرد الفرنسيين ، ردّدتها دمشق ووقعت بها ، فلما نشبت الثورة السورية سنة ١٩٢٥ ، وقام الاله والحريق والقتل في جنبات الفوطة الفناء وفي رحاب دمشق الفيحاء أرسل قصيدته المشهورة « يوم الفزع الأكبر » ومطلعها^(٢) :

أمدّه الدمع حتى غاض جائده فن بأدمع عينيه يرافده

فتأقلمها الناس ، ونشرتها الصحف العربية ، وتلفت الفرنسيون إلى هذا النور ليطفئوه ، وأرسلوا في أثره يطاردونه ، ففر إلى لبنان ، واستخفى فيه بقرية « المروج » بمساعدة صديقه الشاعر أدب مظهر . وما علمت السلطة بوجوده هناك حتى راحت تلاحقه للقبض عليه ، فهرب إلى الاسكندرية سنة ١٩٢٦ ، ونزل عند شقيقته السيدة فائزة زوجة المرحوم الدكتور أحمد قنبري (وهو من أعلام الثورة العربية ومن رجال فيصل الأول المقربين) .

ولبث الفقيد في مصر أربعة أشهر كان لها أثر كبير في حياته ، فقد كان يقرأ عن بعد لأعلام المصريين ، ويستمع إلى أخبارهم ، ويتلقف آثارهم ،

(١) طبع بدمشق على نخ قليلة ، سنة ١٩٢٥ في ٣٠٠ صفحة .

(٢) انظر ديوان الثورة ، جمع عبد ياسين عرفة ، مصر ١٩٢٦ ، ص ١٢٤ .

ويشتاق إلى معادن العربية من مكانها ، فلما بلغ اليهم اتصل بالأعلام ، وعرفهم كما عرف من قبل رجال السياسة العربية في بلده . وقد عرفنا من أحاديثه الشخصية ما كان يلقى من إكرام وما يصيب من ود ، ورجوته أن يسجلها لجيلنا ، فكان منه مقالان في ذكرياته مع حافظ إبراهيم بالاسكندرية وحلوان ، نشرهما في مجلة المجمع العلمي العربي^(١) ، تحدث فيها عن شاعر الشعب في أدق عبثه وحركاته .

وتأثر الفقيه من غير شك بجو الاسكندرية وثقافتها ، فعزم على الدراسة في الغرب ، وقرر أن يقصد إلى انكلترا ، فسافر إليها وانتسب إلى جامعة لندن ، ولقي فيها آفاقاً رحبة واستمع إلى كتاب الانكليز ، وظل طوال عمره يذكر أثر ذلك ، وما كان من استماعه إلى ويلز وغيره من الكتاب الغربيين . ولبت في تلك البلاد أربع سنوات درس فيها الآداب وحصل على شهادة تعادل الدكتوراه . وقد كان لوقوفه على الأدب الانكليزي ورحلته في الغرب أثر هام في شعره . وظهر الأثر في قصائده : سكران وسكري ، والغوطة ، ويردى والرقص ، فجمع جزالة العبارة إلى براعة الصورة ، وأفاد من الشعر الفحل في مصر ، واللون الغربي ، ووفق في الموسيقى والخيال ، وارتفع بالشعر الشامي المعاصر إلى مراتب الجودة والتوفيق .

وعاد إلى دمشق سنة ١٩٢٩ مشوقاً ظمآن إلى ربوعها ومواطن صباه ، والجراح تحت ردهائه لما أصابها من نكبات وحزات ، فاستقبلها بقصيدة لعلها من خير شعره ؛ حيا فيها عاصمة بني أمية ، وجعل عنوانها « سلام على دمشق » قال في مطلعها :

تلافوا بعد ما افترقوا طويلا فما ملكوا المدامع أن تـيـلا

فاهتزت مشاعر قومه ، وصفق له الأدباء ، ورأوا فيه شاعراً ألان القوافي لبراعته ،

(١) انظر مجلة المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٥٦ (ص ٣٥٣ - ٣٧٠) .
(ص ٥٢٩ - ٥٤٣) .

فأكبروه وأحلوه مكانة الود والإكرام . وعيّن مساعداً لرئيس الأدب العربي في الكلية العلمية الوطنية ، وظل فيها تسع سنوات من (١٩٢٩ - ١٩٣٨) وفي هذه الكلية تخرج على يديه أدباء وعلماء سلكوا في دروب المعرفة ، ورفعوا لبلدهم في مختلف الميادين ذكراً لا ينسى .

وفي سنة ١٩٣٣ حنّ من جديد إلى الصحافة الأدبية ، فأصدر مع الدكتور جميل صليبا ، وكاظم الداغستاني ، وكامل عياد مجلة « الثقافة » جاء في مقدمتها كلام يبين عن بعض أهدافها : « للأدب أبلغ أثر في تكوين هذه الثقافة ، فهو روح النهضة ، ومظهر حياة الأمة ، ولقد طفت عليه جلبة السياسة في هذه الأيام حتى كادت تخفت صوته في ضوضائها ، فأصبح من الواجب إقالبته من عثرته والأخذ بيده ، وتقديس حرمة ، واتمّاج طريق واضح له في الدراسة والوضع » . وهذه السطور تغني عن شرح كثير في وصف الحال ورسم البواعث التي أهابت بالفقيد ورفقائه إلى إنشاء هذه الصحيفة .

وكانت « مجلة الثقافة » صورة للصحف الراقية في بحوثها ومقالاتها وصورها الفنية ، تختار الشعر الجميل والقصص البديع والترجمات الحسنة . وكان للفقيد فيها شعر ونثر ، كما كان في مجلة الرابطة من قبل . ولكنه هنا أبلغ وأحسن ، فقد سار الفقيد بخطى نحو الجمال والإتيقان ، وأصبح يفهم الشعر على أحسن ما تفهمه الآداب الراقية . وكتب مقالاً نشره في هذه المجلة تتخذ دليلاً على أسلوبه في الكتابة والنثر ، وشاهداً على ما نقول من فهم لرسالته في الأدب قال (١) : « الشاعر : مخلوق خالق ، وروح خالد ، يصور من خفقات قلبه وخلجات ضميره وإبداع فكره أشباحاً يتفخ فيها من روحه فإذا هي من الخالدين . ملك أو جني ، هبطت روحه من عالم الغيب ، فتثلت بشراً صورياً ، فهو مع بني الإنسان ،

(١) انظر مجلة الثقافة بدمشق ، تموز ١٩٣٣ (ص ٣١٧ - ٣١٨) .

ولكنه غريب عنهم ، فما يزال يصيغ إلى هبنة الملائكة في السماء أو عزيف
الجن في الصحراء ، ويستشف من وراء الأفق عالمًا نورانيًا ، ويتيسن في الجو
مسارح أنه الأولى ، ومعاهد هواه القديم :

لابنة الجن في الانس طلال

فهو يقظان حالم ، أنكر الناس أمره وحاروا في شأنه ، وقالوا : شاعر
أو مجنون .

« يأنس بالوحدة لأنه من نفسه في عالم ، ويؤثر السكون لسمع جلجلة
الوحي وأصداء الأرواح ، ويسكن إلى الظلام لي شاهد الرؤى والأشباح ،
ويغمض عينه ليرى ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى » .
وهذا أسلوب جميل ، يجري بغير تكلف ، ويقتبس من القرآن الكريم ،
ويسمو في فهم الشاعر ، لأن كونه يصف نفسه في حال الوحدة والسكون
حين يصطاد حقائق قلبه وما يحبك في صدره وما يشع في بصره وما يفيض
من عينيه . والذين أطلوا الاستمتاع بمحدث الفقيه وسكروا معه بكوؤوس
الصداقة هم الذين يعرفون كيف كانت تحوم أشباح الشعر حول عينيه وبصره وفيه ،
وهم الذين يعرفون نشوة الشاعر حين يحس أضلاعه تنهس همسا ألد من نسمات
الصباح على أوراق الشجر مع أوائل النور ، يحوس خلالها الشعر وتطرق القوافي ،
فينشرح صدره وتضحك عيناه .

والأدباء الذين قرأوا الشعر المعاصر يعرفون أن شعر الفقيه كان يحوم حول
جمال الكون ، وفتنة المرأة ، وجلال الدين ، وعظمة الحرية ، وكرامة الوطن .
ويعرفون أنه كان ينسج من خيوطها قصائده منذ اقترشهايه حتى خبا آخر شعاع
في عينيه ، فكانت أغانيه والحانات أسلما إلى كرايس دفن فيها أقدم أسرارها ،
ولم يفضح منها إلا ما ارتقى خطبته وإشاعته^(١) .

(١) هذه الكرايس يقوم معنا السلي بطلبها وتقرها إحياء لذكره .

وفي هذه الكراريس ألوان من الثمر واخيال ، ليس هنا مكان الافاضة فيها ، فهي تترى بصور الغزل على ألوانه ، منه اللين ومنه المنيف ، وفيه القبل تترى والأشواق تنساب ، فتلحق بالرومانسية الأوربية ، وتتصل بالأصاليب العباسية ، وهي في كثيرتها كشمس المذريين ، أو الغزلين المتعطفين يسقط على القبله ولكنه لا يهوى إلى ما بعدها ، فيقول :

فكأنا إذ ذاك زوج من قفا يتطاعمان بروضه غناء

قد كان في طوفي بلوغ مآربي لولا زواجر عفة وحياء

وهذا يذكرنا بالعباس بن الأحنف أو بابي فراس الحمداني ، حين بقدر العاشق ويعف . وهذه الكراريس تنص بالصور الفاتنة في وصف دمشق وغموطتها وأبنهارها وجبالها ، وليلها ونهارها ، وما فيها من مؤذن وأذان ، وما في أعيادها من ضحايا تلعب فيها مدينة الجزار ، وما في الجو من فراش ، وما في الأرض من زنبق . وهو في ذلك كله مؤمن أعمق الإيمان بالله ونيته يقول فيه :

شب أميا ولكن نال في العلم الإمامة

وهو وطني مخلص لمروجه وبلاده ، بكرم الأبطال في ميلون فينابي « يوسف العظمة » :

غضبت لامة منها « معدة » فأرذلت العروبة والإطسا

فياك رائداً نهت شعباً وأبقت النواظر من كراها

وبكرم دمشق في الثورة التي ألهبتها ويغنيها إثر عودته من لندن :

دمشق ولست بالباغي بديلاً وعن عهد الأوبة لن أحولا

ذكرتك واليب له وميض يتشر من شقائه ذيولا

له وهج إذا وازاه طير رماه ولو علا في الجو ميلا

وأمرت الرصاص فكان دبلاً شدد الوكف منهراً ويلا

ولعله في هذا الشعر القليل الذي روينا يشير بنفسه الى طريقته وأسلوبه ، فما
يروجنا إلى دليل أو تحليل ، بل لعله إذا جمع إلى النثر الذي بسلطانا وهو قليل
كذلك ، يكفي لرسم صورة عن أدبه وقد اشد عوده واستند ساعده ،
ونضج فنه .

وخلال هذه السنوات السعيدة الخمسة (١٩٣٣ - ١٩٣٩) التي كان يدرس
فيها الأدب العربي بالكلية العلمية - كما قلنا - راح يؤلف الدراسات الأدبية
ويترجم لفحول الأدباء القدماء ، فأصدر عدداً من الكتب جعلها بعنوان :
« أئمة الأدب » ، ونشر منها خمسة : « الجاحظ » ، وابن المقفع ، وابن العميد ،
والصاحب ، والفوزدق »^(١) وهي دراسات مبسطة تجمع حياة الشاعر إلى مختار
شعره ، وتعرضه عرضاً واضحاً موفقاً تعين طلاب البكالوريا وتفتح باباً للكتب
المدرسية في الأدب العربي يلاذنا .

*
*
*

ووقعت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ، وقد جاوز التقيد الأربعين من العمر ،
وعرفه العالم العربي ، وأكبره قومه ، واحتل بين إخوانه في المجمع مكانة سامية ،
فانتخبوه أميناً للسنة ١٩٤١ ، وراح يعمل مجابة أيامه مع الرئيس الأسبق
المرحوم محمد كرد علي في انجسام وصفاء .

وكانت المجالس الصباحية في المجمع أشبه بمجالس القدماء تطوف فيها كؤوس
النوادر الأدبية ، والصفحات العلمية ، فكان الصبح في « داره الخالدين »
أشهى ما يشرب الناشئة وألد ما يعالج الشيوخ ليومهم . وكان الحرب ما دارت
منها رنح ، وكان ظلام الدنيا ما اختلف إلى هذه العقول النيرة ، وعاش الرضي

(١) الجاحظ ٩٦ صفحة - ابن المقفع ٩٦ صفحة - ابن العميد ١٤٤ صفحة -
الصاحب ٢٥٦ صفحة - الفوزدق ١١٢ صفحة ، وكلها من الطبع المتوسط .

بين جدران « المدرسة العادلية »^(١) شهوراً جميلة أعاد إليها جهاد العلم ، وانتصار الثقافة ، وسمو الاتاج .

وفي سنة ١٩٤٢ ، شاعت الحكومة أن تختطف العلامة الأديب من جدران المجمع لتجعله وزيراً للمعارف في ظروف قلقة ، فترك ما بين يديه من دواوين إلى حين . ولكنه عاد بعد ذلك إلى أمانة السر لتقر به عيون الأعضاء ، وبفرح به الرئيس الجليل .

ومنذ سنة ١٩٤٦ ، أصبح العلامة الفقيد يحيا حياة جديدة أحيها منذ صباه ، وهي العكوف على المصادر القديمة ، واحياء الشعر الشامي يترغم به ويتغنى ، ويبحث وينقب ، حتى عرف كل حي من أحياء دمشق في قديمه وحديثه ، وأتقن كل لفظة دمشقية جاءت على لسان الشعراء قبله ، ففدا مرجعاً وثقة في هذا ، كما كان رئيسه ثقة في تاريخ الشام وحضارة الإسلام . والذين يتذوقون الأدب القديم ويمشقون الرحلة في مطاويه ، ويصبرون على التجوال في هوامش الكتب يجدون في تعليقات علامتنا سطوراً لا تضاهيها صفحات كثيرة ، ففيها من اللذة والجمال ما ليس في كتابات كثير من المصريين المجددين المتأدبين ، فهي حقائق من الأدب لا يسمو اليها خيالهم ، ولا تحملهم اليها قوائمهم .

وهذه التعليقات نجدها في الدواوين التي حققها قعيدنا واحداً إثر واحد على كمال متصاعد ، ما يزال يحسن فيه حتى يبلغ الذروة . فقد حقق ديوان ابن عنين الدمشقي سنة ١٩٤٦ ، وديوان علي بن الجهم سنة ١٩٤٩ ، وديوان ابن جبوس سنة ١٩٥١ ، ثم ديوان ابن الخياط سنة ١٩٥٨ . وطبعها كلها المجمع العلمي بدمشق ، وصدرها علامتنا بمقدمات ودراسات تقارب كل مقدمة منها خمسين صفحة ، لو جمع بعضها إلى بعض ، ولو جردت من صدور الدواوين

(١) مقر المجمع العلمي للبري منذ نشأته إل اليوم .

لكأنت تاريخاً للأدب في الشام ، بكل الدراسة التي أنشأها عن القرن الثالث للهجرة في صدر شبابه . فقد كانت الفقيه منسجماً مع ماضيه يسير على خط مستقيم في عمله ، يعرف كيف بدأ ويعرف كيف يتم ، لا يصرفه نقد بعض المتطعمين لأعماله وأعمال الجمع ، ولا يغضبه قولهم فيه ، فهم يرون أن التحقيق والنشر من العبث والترف ، ويظنون أن الأدب كل الأدب قصة تنشر وقصيدة تخطر ، ومقالة تروج ، وخطبة تلقى فحسب .

وقد كان الفقيه يلتقي عند المستشرقين أكباراً وأعجاباً وثناً لو جمع في ذكره لأغنى القائلين في مدحه ، كما كان يلتقي عند رجفائه من أعضاء الجامع العربية والدولية إكباراً وثناً ، فتهاوت عليه الجامع العلمية والمدارس العالية تهدي إليه عضويتها ، وتلتحق إليه قبول الانتساب إليها . فانتخبه مجمع اللغة بمصر عضواً سنة ١٩٤٨ ، والمجمع العلمي العراقي عضواً كذلك سنة ١٩٤٩ ، ومدرسة الدراسات الشرقية بلندن عضواً سنة ١٩٥١ ، ودائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين عضواً في تحريرها سنة ١٩٥١ ، وجمع البحر المتوسط في بالرمو عضواً سنة ١٩٥٢ ، والمجمع العلمي السوفياتي عضواً سنة ١٩٥٨ .

وفي سنة ١٩٥١ ، عادت إليه الحكومة السورية لتدعوه الى تسلم منصب وزير مفوض لها في بغداد ، فسافر إليها وكان فيها موضع الحب والتقدير ، وغدت دارتنا هناك ملتقى العرب الأعلام .

وفي سنة ١٩٥٣ اخير وزيراً للخارجية .

وفي السنة نفسها ، انتخب رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق ، فبلغ أعلى ما يطمح إليه عالم وأديب ، وقضى أماني قلبه ووثبات روحه واشراقه نقه ، وأصبح في الدروة تعقد عليه الآمال وترنو إليه الأبصار .

فلما انصرف عن السياسة والمناصب ، عاد الى المجمع العلمي ليسير بمنشوراته العلمية صيرة بجامع العرب ، فاطرد العمل ومضت المجلة في ثوبها الجديد ، ثاب

في قوة وجلاء حتى قطعت إلى اليوم من عمرها قرابة أربعين سنة ، وقد كان فقيدنا يقطعها أجل ساعاته ويخصها بأغضب عنايته ، يكاد يقرأ مقالاتها كلها قبل النشر ، ويراقب ترتيبها ، ويبحث على المقفي في طبعها وتصحيحها ، واخراجها في نظام موقوت ، فكأنها قطعة من حياته ، كما كانت قطعة من حياة سلفه قبله .

أما مطبوعات المجمع فكانت يعمل لها في جد متواصل ينظر فيها ويدققها كأنها بقلمه ، وكم راجع أصحابها وزودهم بما يعرف من أمور ، واشترك معهم في التعليق والتصويب . وكان بهذا الحرص المتواضع والجيد الدائم يدفع الشباب إلى العمل ، ويوجب برسالة المجمع ، ويستزبد من الأصدقاء ، ويجمع حوله القلوب .

ولم يكن يدفع إلى الإقتاج فحسب ، وإنما كان يضرب الأمثال بنفسه ، فيجبر المقالات في دراسة الأدب وتقده وتحقيق نصوصه كما كان يفعل منذ أول نشأته في « الرابطة الأدبية » . فهو في السنين من عمره كما كان في الخامسة والعشرين ، يمشق الأدب ، ويميل إلى التحقيق ، فيقبل على شعره يسجل مسمات خاطره ، ويقبل على شعر أهل الشام فيعني به ، وكان آخر إنتاجه « ديوان ابن الخطيب » - الذي ذكرناه - أتمه قبل عام من وفاته على أحسن ما يصنع المحققون في العالم العربي ، فحشد له ثمانين نسخ خطية ، جمعها من أطراف الدنيا ، وصار في التعليق عليها وموازنتها سيراً لا اقتطاع فيه ، فاذا خلا من زواره انقلب إلى عمله يرسم بخطه الجميل أبيات الشعر ، كما رسم غيره من الدواوين لا يعتمد على ناسخ أو ناقل ، فكأنه في الثلاثين من عمره جداً وجهاداً ، لا يفتر ولا يني ، حتى ملك الإقتان في هذا الديوان ، وكان لنا شرف الحديث عنه في مجلة المجمع^(١) ، فألمنا إلى أبياده على الجليل في هذا الكتاب وفي غيره ، وبسطنا خطه في تاريخ الأدب العربي لأقربينا - كما قلنا - ورجونا أن يتم

(١) انظر المجلد ٣٤ ، سنة ١٩٥٩ (ص ١٢٦ - ١٣٣) .

السلسلة إلى القرن السابع الهجري حيث وقف الشعر العربي عن فيض إبداعه .
ولو قد مد الله في عمر الفقيه لعمد إلى طبع ابن منير الطرابلسي وابن القيسراني ،
وقد حدثني عنهما ، وأطال في الشوق إلى اخراجهما ، فوفر لهما النسخ والمصادر
ولكن المنية بالمرصاد للنفوس الكبيرة المجاهدة التي تستقل ساعات الحياة دون
تحقيق مشاريعها الضخمة .

ولعلّ هذا الإجهاد من غير راحة بعد بلوغه الستين قد أضر بجسمه ، فأورده
موارد المرض والعلة ، فأقعدته عن السعي إلى المجمع ، فافتقده إخوانه وصحبه
وهم كثير ، ورأوا مكانه خالياً لا يسد ، فلا مرجع يرجعون إليه ، ولا مشير
يطلقون على رأيه الأمل . فقد كان مستودع الأسرار ، شديد الحرص عليها
وفياً لصحبه ، جميل التواضع ، كأن النمر الرفيع مكب عليه برداً من أجمل
أمراده ، فكساه بأجمل الحلي وزينه بأقوى الصفات . فقد كان رحمه الله صورة
للرقة في حديثه ومجلسه ، ما تنقطع بشاشته عن خديته ، حتى لكأنه ورد الريح
بنشر العطر ، ويمجد الذكر ويكسو الحديث أطيب النكهة . فما عرفنا أن
لسانه الحي المتروّد انطلق مرة إلا في خير الناس وقمع الأدب ، وخدمة المجمع
ومجد العرب . وكانت عيناه الواسعتان تشعان أبداً بنور النبيل والحياء الجم
والتواضع الجميل تفرحان للجمال ، وتضحكان للنكته البريئة ، وتسران غور
المحدث ، وكان في حركاته مثلاً للرجل الرصين الرزين الوقور ، على مر
السنين : فتى يافعا ، وأديبا ناشئا ، ومدرسا نافعا ، وعضواً عاملاً ، ووزيراً
مشواصاً ، ورئيساً مخلصاً ، تقلّب في حياته على الفنى والجاه وتنقل في المراتب والمناصب ،
فما أبطرت ولا أسكرته ، لأنه كان فوق ما أعطته ، وكانت دون ما يستحق .
ولهذا غدت سيرته في صحبه ورفقاته من أعضاء المجمع وأصدقائه الأدباء
تقعة عطر وأوراق زهر وصفحات خلود وسطور أنجاد ، ما يستطيع قلبها أن ي

من قوة أن يرسم مبلغ صفاتها وقائها ، وما يبلغ بيان إلى وفاتها حقها . فهي
جوانب كثيرة لا يلزم بها مقال معها طال ، لأنها أخذت من كل روض
وجمعت من كل أفق فندت باقة في الأعمار ، كلما كشفنا عن زهرة منها فاح
عبق ، وكلما قلبنا ورقة منها ملأت وجه الأفق ، فهي سيرة تفيض على السنين
التي عاشها ، ولا تعد الأعمار الكريمة بالأعوام ، ففي كل مرحلة من مراحل
عيشه التي ألمنا إليها أثر كبير وخير كريم .

وقد حاولنا في هذه الصفحات أن نوجز في سيرته لنصف فاجعة المجمع
العلمي العربي ، وحزن المجتمع ، وثكل الشعر وحداد الأدب ، وألم المحبين
والصعب والأهل ، فقد فقدوا شاعراً عبقاً ، وأديباً محققاً ، ورئيساً
لا يمارى ، وصديقاً وفياً لا يبارى ، وإماماً في التواضع والنبيل لا تنسى محامده
على الزمان .

رحمه الله رحمة واسعة ، وألمنا العزاء والسلوان على فقده .

الدكتور محمد سامي الدقانه

ترجمة جديدة

لابن خداويردي

كان ابن خداويردي (واسمه محمد الراعي) من أدباء القرن الثاني عشر ألف كتابه المشهور «البرق المتألق في محاسن جيلتي» وهو كتاب جمع فيه ما قيل في مدح دمشق ثراً ونظماً ، وكنا نشرنا له «أرجوزة في محاسن دمشق» ، وترجمنا له ترجمة موجزة في مقدمتها^(١) ، لم نستطع يومئذ التوسع بها لعدم وجود مصادر ترجمت له .

وكان من المفروض أن يترجم له المرادي . ولكننا لم نجد شيئاً عنه في سلك الدرر المطبوع .

ثم صور معهد المخطوطات العربية من مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة نسخة مخطوطة من كتاب البرق المتألق . فوجدنا في أول صفحة منها ترجمة المؤلف منقولة من تاريخ المرادي . وهي ترجمة لطيفة . فأحيينا أن نقلها هنا ؛ لأنها لا توجد عند المرادي المطبوع :

«هو محمد بن مصطفى بن خداويردي بن مراد بن ابراهيم الشهير بالراعي ، «بفتح الراء» ، الحنفي الدمشقي الكاتب المتشي الأديب ، أحد الكتاب الماهرين بالفنون . ولد بدمشق في سنة تسع عشرة ومائة وألف ، ونشأ بها ، وأخذ «الكتابة والمعارف عن أربابها» ، وتخرج بذلك على يد محمد عاصم بن عبد المعطي «أحد أعيان الكتاب بدمشق» ، ومهر بصناعتي النظم والنثر ، وصار يكتب «المخطوط المتنوعة كالرقعة ، والديواني ، والقرعة ، والسياسة ، والنسخي ، وغير ذلك . وبرز باللغتين الفارسية والتركية . وصار مقاطعياً ياب الدقري بدمشق» ، وكان في أوقاف الحرمين المحترمين . وكان يظلب على شعره المبحر .

(١) انظر مجلة الجمع للطبي العربي ، المجلد ٢٧ (سنة ١٩٥٢) ص ٢٢٥

« وله أهاج في الناس كثيرة ، وفكت ونوادير مقبولة . وفي آخر أمره تراكت عليه الأمراض والعلل والأكدار ، وقل ما ييده ، الى أن مات . »
 « وله من الآثار البرق التالتي في محاسن جيلتي يحتوي على ذكر دمشق ورياضها وغياضها ومياهها . ورسائل أخر في الأدب . وشعره كثير . »
 « وكانت وفاته في يوم الثلاثاء خامس صفر الخير سنة خمس وتسعين ومئة وألف . »
 « رحمه الله تعالى . »

« انتهى ملخصاً من تاريخ جناب المولى إمام العالم الإمام السيد محمد خليل أفندي المرادي المقتي بدمشق الشام » .
 وهذه الترجمة تبين لنا أطرافاً من أحوال ابن خداديردي ، وتدلنا على أن تاريخ المرادي المطبوع ناقص .
 الدكتور صلاح الدين النجم



هدية مخطوطات

أهدى الى دار الكتب الوطنية (الظاهرية) فضيلة الأستاذ المرحوم الشيخ محمد جبل الشطي مجموعة من المخطوطات الثمينة هذا ثبتها :

العدد

٢	شرح الغاية لعبد الحلي بن أحمد بن العماد السمطي
٦	شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المنادي المصري
٦	شرح الاقناع بخط مؤلفه منصور بن يونس البهوتي الحنبلي
٣	شرح المتنبي لمؤلفه منصور بن يونس البهوتي الحنبلي
٤	الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعلي المرادوي

٢١ المجموع

وكذلك أهداها الأمير جعفر والأمير إدريس الحسني الجزائري المخطوطات التالية وعددها ثلاث وسبعون مخطوطاً :

المؤلف	اسم الكتاب
أحمد بن علي بن المهذب بن نصر الخواري	تحفة البررة في المسائل العشرة
محمد بن عبد الغني الأردبيلي	شرح الانموذج في النحو
محمد سبط المارديني	رقائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق
محمد نسيب الحمزاوي	الصلاة الأحذية على الذات الهاشمية
الصدر القنوي	تحفة الأسماع بمولد حسن الأخلاق والطباع
محمد الحفناوي	شرح الشجرة النعمانية
أبو علي بن ميتا	مجموع أوله رسالة على رسالة الوضع
الأمير أحمد بن الأمير عبد القادر الحسني	كتاب النجاة في العلوم الحكمة
عيند الله محمد بن أحمد بن جعفر	حاوي المختصرات في العمل بربع المقطرات
السقطي البغدادي	تفسير غريب القرآن
محمد بن مالك الطائي	تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد
	اختيار المختار في كشف الأسرار
	رسائل في العقيدة الدرزية أولها رسالة التنزيه
محمد بن عباد النفري	شرح الحكم
علي بن عطية الملقب بعلوان الحموي الميمني	شرح قصيدة ابن حبيب الصفدي
عبد الوهاب بن محمد بن علي بن أحمد . .	تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس
ابن سلطان قلسان	
	مجموعة رسائل وأشعار
	شرح قصيدة محمد العربي بن يوسف القاسمي في الزكاة عبد العزيز بن الحسن بن يوسف بن
مهدي الزياتي	

المؤلف	اسم الكتاب
عبد الرحمن الخبازي	عيون المذاهب الكألي المظفري
القشيري	شرح أسماء الله الحسنى
	الفتح المبين شرح الأربعين
محمد بن أبي الفضل قاسم المرعي التونسي	تذكرة المعجبين في أسماء سيد المرسلين
النجم الغزي	مجموع أوله رسالة شرح لامية ابن الوردي
القاضي عباس	شرح حديث أم زرع
	تلخيص المفتاح (في علم البلاغة) (الأول من مجموع)
	رسالة في الفقه والفروض والواجبات والتوافل عبد الله بن أبي زبد القيرواني
	الدر الحسان في اختصار كتاب النبيان شرح مورد الظآن (مخرومة في بعض المواضع)
محمد البركوي	الطريقة المحمدية
	مجموع أوله مشتمل العقول في متعنى القول
	موصل الطلاب الى قواعد الإعراب (شرح القواعد) خالد بن عبد الله الأزهرى
عصام الدين بن محمد	شرح السمقندية
مصطفى البكري	مجموع أوله أوراد البكري
	مجموع أوله سلك طريق العمل وفيه عندليب المناظرة
عبد السلام اللقاني	إتحاف المرید بجوهرة التوحيد
الشيخ علي الحلبي	فرائد العقود العلوية حل ألفاظ الأزهريّة
خالد بن عبد الله الأزهرى	تمرين الطلاب في صناعة الإعراب
سعد الدين عمر التفتازاني	مختصر شرح تلخيص المفتاح
عبد الله محمد القزويني	عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات
أحمد بن غلام الله الكوم الربشي	الأمعة في حل السبعة (مختصر نزهة الخاطر)

المؤلف	اسم الكتاب
محمد بدر الدين	كلمات على نظم المصري للونكري (البدور الجلية شرح نظم السنوسية) تلخيص المفتاح في علم البلاغة مجموع أوله شرح السلم المروني
عبد الغني النابلسي	كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض
عبد الله بن محمد الكردي البيتوشي	صرف العناية في كشف الكفاية
محمد بن ابراهيم الثاني	غرة الأبصار على الثلاثة الأذكار
عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري	شرح الزرقاني على متن العزبة
..	كتاب في الفخر (مخروم الأول) أوله .. ان اذا ظرف فيه معنى ..
مصطفى البناني	حاشية البناني على هوامش الصبان على شرح التلخيص للتفتازاني (الأول)
..	كتاب في الفقه مخروم الأول والآخر أوله .. المذكورة علنا معرفة التجس ...
..	كتاب في الحديث مخروم الأول والآخر أوله .. النفس نشيطاً وإلا أصبح خبيث النفس كسلات ..
محمد البناني	تجريد البناني من هوامش الصبان على شرح التلخيص مصطفى بن محمد البناني
محمد الثاني	القرآن الكريم
..	الدرة البهية شرح المقدمة القرطبية
..	كتاب في النحو مخروم الأول والآخر أوله .. وقد علمت بكنه ذلك عدنان وقحطان (وهو شرح قصيدة)
..	حواش على عمدة أهل التوفيق شرح عقيدة أهل التوحيد الحسن بن مسعود البوسي
..	حاشية الكمال بن أبي شريف على المحلى (الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع)
..	الخامس من القسطلاني أوله فضائل النبي (ﷺ)

المؤلف	اسم الكتاب
	الثالث من صحيح مسلم
محمد بن أحمد بن محمد الحسني الفرناطي	شرح مقصورة أبي الحسن بن حازم الأنصاري
ابن حجر	فتح الباري على صحيح البخاري (الأول)
أحمد الشنقي الحنفي	المنصف من الكلام على مغني ابن هشام
	السيرة النبوية (مخرومة الأول)
	كتاب في الحديث مخروم الأول أوله : ابن اختيار أخبره أن المقداد . . .
الابن (شارح مسلم)	إكمال الأكمال (الثالث)
	عنوان التفاسير في شرح ديوان الحماسة (الأول)
ابن فلكور ؟	(مخرمة الأول)
	كتاب في الفقه كتب عليه الجزء الثامن الاجور
	كتاب في الحديث مخروم الأول أوله . . ان الشياطين تأكل حقيقة . .
	جزء من الجامع الصحيح أوله . . كتاب الحج البخاري
أحمد بن عبد المؤمن . . القبسي الشريشي	شرح مقامات الحريري
ابن عظموم	القواعد الكبرى
عبد المؤمن السباطي	كتاب الخيل
	الأول من المناوي الكبير على الجامع الصغير
المناوي	(فيض القدير)
	مولد ابن حجر الهيتمي

نتقدم إلى المهددين المشار إليهم أطيب التثاء والشكر على هديتهم النفيسة .

الفهرس العام

لمواد المجلد الرابع والثلاثين

منسوقاً على حروف المعاء

(أ)	الإمام الصادق ملهم الكيمياء (كتاب):
ابن حزم في أمهات الخلفاء (رسالة): ٢٩١	٣٧٦
ابن الخطاط (ديوان) : ١٢٢ ، ٥٢٥	الإمام محمد بن عبد الوهاب (كتاب) :
أحمد شوقي (مهرجان) : ٣٥	٦٦٣
أسرار العربية لجمال الدين الأنباري: ٣٧٦	أنا والشعر (كتاب) : ٣٥٨
أسرار العربية (كتاب) : ٦٧٠	انتخاب عضو جديد : ١٥٥
أسماء الشهور في العربية : ١٤	الإبلا ف أو المعونات غير المشروطة : ٢٤٣
أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون :	الأئمة الاثنا عشر (كتاب) : ٣٥١
١٤٧	(ب)
أعضاء المجمع العلمي العربي العاملون :	البحر الزخار (كتاب) : ٥١٢
١٤٥	بطولات العرب (قصيدة) : ٤٢٥
أعضاء المجمع العلمي العربي المرسلون :	(ت)
١٤٥	تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد
الأعلام (كتاب) : ٥٢٤	الأقصى المبارك (كتاب) : ٣٦٤
أغلاط مطبعية : ٥٤٣	ترجمة جديدة لابن خلدون ويريدي : ٦٩٣
الإفصاح عن آيات مشكلة الإفصاح	تطبيق على مقال الأستاذ عبد الخالق
للفارقي : ١٩٢	عضيمة : ٣٨٣
اقتصاديات العراق : ٦٧٢	تفسير القرآن الكريم (كتاب) : ٣٥٣

(ر)	توضيح الكافية الشافية (كتاب) :
رسالة ابن حزم في أمهات الخلفاء : ٢٩١	٥٠٩
(ز)	(ث)
الزجاجي (٣٠٢٠١) : ٢٥٦ ٤	الثقافة الإسلامية في الهند (كتاب) :
٦٠٢ ٤ ٤٣١	١٣٣
(س)	ثقافة الأطباء عند العرب (٢٠١) :
سخرية الشدياق : ٢٠٩	٥٥٩ ٤ ٣٩٣
(ش)	ثلاث رحلات : ٣٨٥
شاعر العرب (قصيدة) : ٤٣	(ح)
الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة	الحق الواضح المبين (كتاب) : ٥٠٩
(كتاب) : ٢٤٩	الحياة الجنسية عند العرب (كتاب) :
شرح الألفات (٢٤١) : ٤٤٧، ٢٧٣	٣٤٥
الشيوعية والإسلام (كتاب) : ٦٦٨	(خ)
(ع)	(٥٥) ألف كيلومتر على دراجة فارسية
عبد الوهاب عزام (وفاته) : ٣٦٨	(كتاب) : ٣٦٥
العرب والإسلام (كتاب) : ٥٢٤	خليل صردم بك (وفاته) : ٦٢٦
العلاقات الجوهرية بين اللتين العربية	(د)
والآرامية « السريانية » (٥٤٤، ٣٤٢) :	الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي :
٢٠ ٤ ٢٣٥ ٤ ٤٠٩ ٤ ٥٧٦	٥٣٥
علاوة خاصة من حياة شيخ الإسلام	ديوان ابن الخطيب (كتاب) : ١٢٧ ٤
ابن نجية : ٣٧١	٥٢٥
العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل	ديوان محمد النجار الشامي : ٥٤١
الزمان : ٢٠٤	ديوان موسى الطالقاني (كتاب) : ١٣٨

معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات	(ف)
(نظرة) : ٦١٨ ٤٤٦٢ ٤٣٠٠ ٤٨٨	فتح الغفار (كتاب) : ٥١٥
ملاحظات على الجزء الثالث من كتاب	(ق)
الواني بالوفيات (٢) : ١٩٨	قبور العظام في دمشق : ٦٤٦
منصور فهمي (وفاته) : ٥٣٠	قصيدة منصور النخري في الرشيد : ٣
منصور النخري في الرشيد (قصيدة) : ٣	قضايا الفكر في الأدب المعاصر
المنظمات الاقتصادية الدولية (كتاب) :	(كتاب) : ٥٠٧
٥٢٧	(ك)
مهرجان أحمد شوقي : ٣٥	كتاب النفس لابن باجة الأندلسي
موسى الطالقاني (ديوان) : ١٣٨	(٨٦٧٦٦٥) : ١١٢ ، ٣٣٢
(ن)	٦٢٤ ٤٩٠
نثر شوقي : ٦٦	كلمة الدكتور جميل ضليبا في جلسة استقبال
نسخة تاسعة من ديوان ابن عني : ٥٨٦	الدكتور محمد كامل عباد : ١٥١
نظرة في أعماق الإنسان (كتاب) : ٥١٨	كلمة الدكتور محمد كامل عباد : ١٦٥
نقرة إمامين عن الرواية والقصة : ٥٥٨	(م)
(هـ)	محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان
هدية مخطوطات : ٦٩٤	(كتاب) : ٣٤٧
(و)	محمد النجار الشامي (الحافظ) : ٥٤١
وجوب التعاون بين المسلمين (كتاب) :	مختارات مما لم ينشر من شعر البحري
٥٠٨	(٣٦٢٦١) : ١٠٠ ، ٣٣١ ، ٤٧٩
الوصف والنزل في شعر شوقي : ٤٨	مدى التخت في اللغة العربية : ٥٤٥
الوطن العربي (كتاب) : ٥٢٣	مستدرک على تصويبات في الوايف
	بالوفيات : ١٩٦

فهرس الأعلام

أي أسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد
منسوقاً على حروف الهجاء

(أ)	(س)
أبو محفوظ الكريم معصومي : ٢٧٣ ، ٤٤٧	سامي الدهان : ٣٥ ، ٤٨ ، ١٢٧ ، ٦٧٥
(ج)	(ش)
جعفر الحسني : ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٣	شفيع جبزي : ٤٢ ، ٢٠٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٨٥ ، ٤٢٥ ، ٥٥٥
جميل صليبا : ١٥١ ، ٣٥٨	شكري فيصل : ٦٦
(ح)	(ص)
حسن حسني عبد الوهاب : ١٩٦	صالح الأشتري : ١٠٠ ، ٣٣١ ، ٤٧٩
حسن القا : ٣٦٧	صلاح الدين المتجدد : ٢٠٤ ، ٢٩١ ، ٦٩٣
حسني صبح : ٨٨ ، ٣٠٠ ، ٤٦٢ ، ٦١٨ ، ٥١٨	(ظ)
حسين علي محفوظ : ٥٢٥ ، ٤٤١	ظافر القاسمي : ٢٤٣
(خ)	(ع)
خليل مردم بك : ٣	عبد الرحمن سلطانونف : ٥٣٥
(ر)	عبد الرحمن الكيالي : ٣٩٣ ، ٥٥٩
رشدي الحكيم : ١٩٨	عبد العزيز البجني : ١٩٢ ، ٥٨٦

٣٨٣ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٢ ،	عبد القادر الرحاوي : ٦٤٦
٥١٥ ، ٦٦٣ ، ٦٦٨ ،	عز الدين التوخي : ٦٧٠
محمد صفيح حسن المعصومي : ١١٢ ،	(غ)
٣٣٢ ، ٤٩٠ ، ٦٢٤ ،	غريغوريوس بولس جهنسام : ٢٠ ،
محمد عبد الخالق عضية : ٣٧٦	٢٣٥ ، ٤٠٩ ، ٥٧٦
محمد كامل عياد : ١٦٥	(م)
مصطفى الشهابي : ١٤ ، ٥٠٧ ، ٥٣٠ ،	مازن المبارك : ٢٥٦ ، ٤٣١ ، ٦٠٢ ،
٥٤٥	محمد جهجة اليطار : ١٣٣ ، ١٣٨ ،
منير الشريف : ٥٢٧ ، ٦٧٢	٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٧١ ،

فهرس الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين

صفحة

- ٥١٥ مدى التّحّت في الفنة المربية للأمير مصطفى الشهابي . . .
- ٥٥٥ نكرة إمامين عن الرواية والقصة للأستاذ شفيق جبري . . .
- ٥٥٩ ثقافة الأطباء عند العرب (٢) للدكتور عبد الرحمن الكيالي .
- ٥٧٦ العلاقات الجغرافية بين القنّين المربية والآرامية } للطيران غريغوريوس بولس بهنام
« السريانية » (٥)
- ٥٨٦ نسخة قاسية من ديوان ابن عنين (١) للأستاذ عبد العزيز الميني .
- ٦٠٢ الرّجائي : حياته وآثاره (٣) للأستاذ مازن المبارك . . .
- ٦١٨ نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكبرائيات (٤) للدكتور حسني سبع . . .
- ٦٣٤ كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (٨) بتعقيق الدكتور محمد منير حسن المصري
- ٦٤٦ قبور النّساء في دمشق للأستاذ عبد القادر الريحاوي .

التعريف والنقد

- ٦٦٣ الإمام محمد بن عبد الوهاب { للأستاذ محمد بهجة السيطار .
- ٦٦٨ الشيوعية والإسلام
- ٦٧٥ أسرار المربية للأستاذ عز الدين التتوخي .
- ٦٧٢ اقتصاديات العراق للأستاذ منير الشريف . . .

آراء وأنباء

- ٦٧٦ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك للدكتور سامي الدمان . . .
- ٦٩٣ ترجمة جديدة لابن خلدون للدكتور صلاح الدين الخجد .
- ٦٩٤ هدية مخطوطات إلى دار الكتب الوطنية (الظاهرية)
- ٦٩٩ فهرس العلم لمواد المجلد الرابع والثلاثين
- ٧٠٢ فهرس الأعلام (أي أسماء كتاب المجلات المنشورة في المجلد الرابع والثلاثين) .



Bibliotheca Alexandrina



0652724